الفيصل

مجلة ثقافية شهرية

AL FAISAL MAGAZINE

ISSUE 15 AUGUST/SEPTEMBER 1978

العدد الخامس عشر - رمضان ١٣٩٨ هـ أغسطس / سبتمبر ١٩٧٨ م

بسم الله الرحمن الرحيم

شهر رمضان الذي
انزل فيه القرآن
هدى للناس وبينات
من الهدى والفرقان





بسم الله الرحمن الرحيم

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير
علوي طه الصافي

العدد ١٥ - السنة الثانية رمضان ١٣٩٨هـ - أغسطس/سبتمبر ١٩٧٨م

هذا العدد



★★ رحلة في كتاب «العلوم في الإسلام» لمؤلفه الكاتب الايراني د. سيد حسين نصر.. وهو أول كتاب في الانجليزية والعربية يتناول بالدراسة والتحليل نشأة العلوم في الإسلام وتطورها وتأثر علماء الغرب بها.. (ص ٨٣)



★★ مظاهر الاحتفال بشهر رمضان المبارك عند الخلفاء المسلمين تنوعت وتميزت واتخذت طابعاً دينياً ودنيوياً لا يزال حتى يومنا هذا في غالبية الدول الإسلامية والعربية منها بصفة خاصة.. (ص ١٢٣)



★★ رحلة مع المدينة التي تتكىء على نهر «العاصي».. من خلال تاريخها العريق.. وجغرافيتها.. والشعوب القديمة التي سكنتها.. آثارها.. أسواقها.. معالمها.. ذكرياتها.. ص (٣٥).



د. يوسف أبو الحجاج

★ دكتوراه في الجغرافيا - جامعة لندن.

★ عمل مهندسا جغرافيا ثم جيولوجيا .. كما عمل معيدا ومدرسا مساعدا بآداب القاهرة وعين شمس واستاذ كرسي الجغرافيا الطبيعية، فرئيس قسم الجغرافيا بآداب عين شمس.

★ يعمل حاليا عميدا لكلية الآداب بجامعة عين شمس.

★ عمل في جامعة بغداد .. وجامعة الرياض .. وجامعة (ويسكونسين) في أمريكا وجامعة (واترلو) بكندا.

★ عضو في عدد من الجمعيات .. واللجان العربية وغير العربية.

★ له عدد من البحوث والكتب .. إلى جانب ترجمته ومراجعته لعدد من الكتب الأجنبية.

محمد محمود حافظ

★ من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٥٧ هـ.

★ الشهادة (العالمية) في الدراسات الاسلامية.

★ عمل في حقل التدريس فترة من الزمن.

★ عمل في الصحافة .. ثم تولى رئاسة تحرير جريدة «أخبار العالم الاسلامي».

★ شارك في عدد من المؤتمرات الاسلامية داخل المملكة وخارجها.

★ عضو نادي مكة الأدبي .. وعضو لجنة الدراسات الاسلامية لجائزة الملك فيصل العالمية.

★ يعمل حاليا رئيسا لتحرير مجلة «رابطة العالم الاسلامي» .. ومديرا لادارة الصحافة والنشر في الرابطة.





محمد سعيد العامودي

● من مواليد مكة المكرمة عام ١٣٢٣هـ.

● تلق علومه في مدرسة الفلاح بمكة.

● عمل في عدة وظائف حكومية .. وبعد اتجه إلى الصحافة.

● عمل رئيسا لتحرير جريدة «صوت الحجاز» ورئيسا لتحرير مجلة الحج.

● آخر عمل له كان رئيسا لتحرير مجلة «رابطة العالم الاسلامي» ومديرا لادارة الصحافة والنشر في الرابطة .. وهو الآن متفرغ للبحث والقراءة.

● مثل بلاده في عدد من الوفود الصحفية في الوطن العربي.

● له كتاب مطبوع بعنوان «من تاريخنا» .. وله تحت الطبع ديوان شعر رباعيات .. وبعض كتب أخرى.

د. أحمد عبد القادر المهندس

★ من مواليد المدينة المنورة عام ١٣٦٨ هـ.

★ بكالوريوس جيولوجيا/ كيمياء - جامعة الرياض.

★ دكتوراه في علم المعادن جامعة مانشستر ببريطانيا.

★ عمل معيدا في قسم الجيولوجيا - جامعة الرياض.

★ يعمل حاليا مدرسا لعلم المعادن والبصريات - قسم الجيولوجيا - جامعة الرياض.

الياس قنصل

● من مواليد مدينة «يبرود» في سورية عام ١٩١٤م.

● تلق مبادىء تعليمه في مدرسة مدينته الابتدائية.

● هاجر إلى البرازيل برفقة والده عام ١٩٢٥م، ثم انتقل فيما بعد إلى الأرجنتين.

● تولى رئاسة تحرير «الجريدة السورية - اللبنانية» في بوينس ايرس .. كما أصدر مجلة «المناهل» .. وفي دمشق أصدر مجلة «الفنون».

● يقيم حاليا في عاصمة الأرجنتين حيث يلقي محاضرات عن حضارة العرب باللغة الاسبانية.

● أعماله الأدبية المطبوعة شعرا ونثرا ٤٢ كتابا وديوانا تقريبا باللغتين العربية والاسبانية.

الحركة الثقافية

في شهر

* * من خلال هذا «الملف» سوف نحاول رصد الحركة الثقافية من اصدارات جديدة .. وندوات .. ومؤتمرات .. ومعارض .. ومناسبات .. وأحداث ثقافية .. وادبية .. وفنية بصورة نطمح أن تكون مسحاً شهرياً لمجريات الحركة الثقافية ليس في «الوطن العربي» فحسب، بل في «العالم» الانساني.

أملنا أن نجد من المؤسسات العلمية .. والتربوية .. والفنية .. الى جانب الأدباء .. والمفكرين كل عون في إمدادنا بالجديد الدائم من النشاطات لتحقيق الأهداف التي تسعى اليها المجلة لخدمة القارىء .. لإضافتها الى ما يزودنا به مندوبونا، والله الموفق **

في الوطن العربي :

- مؤتمر إسلامي دولي في مكة المكرمة .
- ندوة عالمية عن القدس العربية في القاهرة .
- اكتشافات أثرية جديدة في الأردن .
- فلسطين تاريخ وحضارة .. معرض وكتب .
- مهرجان لصاحب لسان العرب في العاصمة التونسية .
- مهرجان للمسرح المحترف في العاصمة الجزائرية .

في العالم :

- نسف قصر فرساي وإعادة ترميمه .
- لغة الموسيقى عند العرب .. كتاب لمؤلف بريطاني .
- مؤتمر دولي للأدباء الراحلين في المانيا .
- ٢٣٠٠ سنة على رحيل الفيلسوف ارسطاليس .
- الذكرى ١١٧ لميلاد الشاعر الهندي طاغور .

الحركة الثقافية في الوطن العربي


د. محمد عبده يماني


هلال ناجي


احمد صالح الصالح

السعودية :

مؤتمر إسلامي دولي في مكة المكرمة

أعلن الدكتور **عبد المقصود عبد الفتاح** الأمين المساعد لرابطة العالم الإسلامي أن الرابطة في سبيلها إلى عقد مؤتمر إسلامي دولي موسع في مكة المكرمة لتعزيز التضامن والتنسيق بين المسلمين والمنظمات الإسلامية في العالم .

متحف وطني وستة متاحف أخرى

المتحف الوطني المركزي يقام على أرض المربع بالرياض .. ويقام أيضاً متحف في كل من **العلا والجوف وتيماء والهفوف وجازان ونجران ومدائن صالح .**

متحفان إسلاميان وخمسة متاحف أخرى

اختيرت « **قلعة أجياد** » بمكة المكرمة لتتحوّل إلى متحف إسلامي كبير ، كما اختير « **قصر سعيد بن العاص** » ليتحول إلى متحف « المدينة المنورة » .. وستنشأ خمسة متاحف فرعية في كل من **جدة وتبوك والدمام وأبها وجيزان .**

مجلة النادي الاسلامي بالمدينة

أصدر « **النادي الاسلامي** » بالمدينة المنورة ، العدد الأول من مجلة « **الفتح** » ، أسهم في تحريرها وإخراجها شباب النادي .

كتب جديدة

- « **حديث في الاعلام** » نص المحاضرة التي ألقاها **د . محمد عبده يماني** وزير الإعلام في نادي الطائف الأدبي .
- « **مع الشعراء** » دراسات وخواطر أدبية للشاعر **محمد بن علي السنوسي** ، صدر عن نادي جازان الأدبي .
- « **جوانب صحية في التشريع الاسلامي** » تأليف **حمد الدعيج** الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود .. الكتاب صدر في الرياض .
- « **عندما يسقط العراف** » الديوان الأول للشاعر **أحمد صالح الصالح** أو « **مسافر** » .. قدم له الناقد **جلال العشري .**
- « **مختارات شعراء العرب** » لابن الشجري ، تحقيق الدكتور **نعمان محمد أمين طه** ، يصدر في سلسلة « **التراث العربي** » التي تبدأ بهذا الكتاب .
- « **أمية بن أبي الصلت** » إعداد **علي حسن العبادي** رئيس نادي الطائف الأدبي .
- « **قبيلة ثقيف** » إعداد **محمد سعيد كمال** اصدار نادي الطائف الأدبي .
- « **محمد بن عبد الوهاب .. حياته وفكره** » تأليف الدكتور **عبد الله الصالح العثيمين** .. يصدر عن دار العلوم بالرياض .
- « **المسؤولية وصلتها بالتكاليف الشرعية في ضوء القرآن الكريم** » دراسة **لعبد الصمد بن بكر إبراهيم** أشرف عليها الدكتورمحمد حسن السماحي .
- « **الحسن بن أسد الفارقي** » جمع وتحقيق وتقديم الكاتب العراقي **هلال ناجي** .. والكتاب هو العدد ٢٦ من سلسلة « **المكتبة الصغيرة** » التي يصدرها ويشرف عليها الأستاذ **عبد العزيز الرفاعي .**

مصر :

ندوة عالمية عن القدس العربية

تعقد في القاهرة خلال شهر رمضان ـ سبتمبر الحالي ندوة عالمية عن « **مستقبل مدينة القدس** » يدعى إليها عدد من المفكرين والمؤرخين والإعلاميين العالميين ، للمشاركة في جدول أعمالها حول الموضوعات الآتية : الوضع الديني للقدس وحق جميع الجاليات في أداء شعائرها الدينية في أماكنها المقدسة .. عروبة القدس .. تاريخ القدس عبر الأجيال الماضية .. الإصرار على الدفاع عن القدس ومقدساتها الدينية .

آثار عين شمس أو أونو القديمة

تقوم بعثة **كلية الآثار بجامعة القاهرة** بالبحث عن آثار **جامعة أونو** وبيوت

إحصائية

● معدل كثافة السكان في بعض الأقطار العربية ●

	مناطق مرتفعة الكثافة ألف نسمة في الكيلومتر المربع	مناطق متوسطة الكثافة بين ٥٠، ٢٥٠ نسمة في الكيلومتر المربع		مناطق منخفضة الكثافة من نسمة الى ٥٠ لكل كيلومتر مربع		مناطق منعدمة الكثافة نسمة في الكيلومتر المربع		
البلد	مصر	السودان	العراق	ليبيا	اليمن	الجزائر	موريتانيا	الصومال
نسبة الحضر	٪ ٤٠	٪ ٢٠	٪ ٤٠	٪ ٣٥	٪ ٢٠	٪٤٠	٪٢٠	٪٢٠
نسبة القرى	٪ ٥٦	٪ ٥٠	٪ ٤٠	٪ ٣٥	٪ ٢٠	٪٤٠	٪٤٠	٪٤٠
نسبة البادية	٪ ٤	٪٣٠	٪٢٠	٪٣٠	٪٦٠	٪٢٠	٪٢٠	٪٢٠

● المصدر : صندوق الامم المتحدة للنشاطات السكانية ١٩٧٨م

كهان الشمس الذين طلعوا بأقدم نظرية في تفسير نشأة الوجود منذ أكثر من خمسين قرناً .. وكانت البعثة قد كشفت في نفس الموقع عن معبدين للملكين رمسيس الثاني ورمسيس الرابع ، وأعمدة نخيلية وحزمة من نبات البردي .

مجمع ثقافي عائم في الجيزة

في محلة الجيزة أعدت «**المراكز الثقافية**» مجمعاً ثقافياً على النيل ، يضم قاعة معارض ومكتبة وصالة سينما ومسرح .

أول معرض يطل على النيل

في «**قصر المانسترلي**» القديم والمطل على نيل القاهرة ، أقيم أول معرض لمجموعة من الفنانين الشبان ، ضم أشكالا متنوعة بهدف إحياء التراث العربي والإسلامي .. فحفل المعرض بفنون الباتيك والكانفاة والنسجيات المرسمة والطباعة والزخارف الزجاجية الملونة .

العيد الثاني للثقافة والفنون بالاسكندرية

افتتح «**العيد الثاني للثقافة والفنون**» بالاسكندرية بثلاثة معارض تمثل ثلاثة أجيال من النحاتين المصريين وهم : **محمود مرسي** (الذي تعد أعماله امتداداً لفن النحت المصري القديم) **وأحمد عبد الوهاب** (الذي يربط بين الأصالة والمعاصرة) **وعصمت داوستاشي** (الذي يعبر عن الرؤى المستقبلية) .

ندوة دولية للطاقة الشمسية

اجتمع **بمبنى جامعة الدول العربية بالقاهرة** ٣٠٠ عالم من علماء الطاقة الشمسية لمناقشة الأبحاث المقدمة من الجامعات **الأمريكية والكندية والسعودية والمصرية** حول الاستفادة من الطاقة الشمسية في الزراعة والصناعة والحصول على الكهرباء والتبريد والتسخين منها .

وقد حصلت **مصر** على **أول وحدة تبريد** بالطاقة الشمسية من ألمانيا الغربية .. وتصل درجة التبريد بهذه الوحدة إلى اثنتين مئوية .

مهرجان شعري تقيمه جامعة الأزهر

«**مهرجان الربيع الشعري الثالث**» أقامته جامعة الأزهر ، اشترك فيه عدد كبير من أساتذة وشعراء وأدباء الجامعة .. ألقيت في بداية المهرجان قصيدة «**الربيع**» للشاعر **محمود أبو الوفا** .. وأثيرت قضية **عمادة الأدب العربي** .

كتب جديدة

- «**في انتظار ما لا يجيء**» الديوان الرابع للشاعر **فاروق شوشة** .. صدر له من قبل «**إلى مسافرة**» و«**العيون المحترقة**» و«**لؤلؤة في القلب**» .
- «**أحكام وقواعد الميراث في القرآن والسنة**» تأليف **محمد رضا محمد صالح** ومراجعة الشيخ **سليمان محمد سليمان** .
- «**العقاد وقضية الشعر**» مجموعة أبحاث أصدرتها لجنة الشعر بالمجلس الأعلى للفنون والآداب .
- «**بين الفولكلور والثقافة الشعبية**» دراسة **لفوزي العنتيل** صدرت عن الهيئة العامة للكتاب .
- «**رحلة آدم**» الديوان الأول للشاعر الشاب **محمد سعد بيومي** .
- «**الأمثال الشعبية**» دراسة مصحوبة بنماذج تطبيقية **لمحمد صفوت** .
- «**فارس على حصان من الخشب**» مجموعة قصصية **لعبده جبير** .
- «**حكايات في الطريق**» ديوان للشاعر **محمود شنيدي** .
- «**إليها**» ديوان للشاعر **إميل راغب** .

كلمة

الترجمة .. وروح النص

الترجمة هي أصلاً من أجل القارىء الذي لا يجيد لغة النص الأصلي .. فكيف يتسنى للمترجم أن يقدم له ترجمة سليمة وأمينة على ضوء هذا المفهوم المبدئي؟!

تشبه الترجمة عمليات «**نقل الدم**» تلك التي تتطلب توافق الفصائل ، فصيلة النص الأصلي وفصيلة النص المترجم ، **فالشعر شعر ، والنثر نثر ، والرواية رواية ، والمسرحية مسرحية** وهكذا .

لكن البعض يرى أن النص المترجم لا ينبغي أن يعطينا الإحساس بأنه كذلك .. ويرى البعض الآخر أن نجاح الترجمة هو في مطابقتها مرة أخرى بالأصل .. أما عملية «**نقل الروح**» فهي أقرب إلى «**الاقتباس**» منها إلى الترجمة ، وهنا فقط يمكن احداث التغير ، فيصير «الخواجة» ، «شيخاً» ويصبح «جوزيف» ، «يوسف» أو حتى «عوضين» .. بينما تقتضي الترجمة **الاحتفاظ بالأسماء والمسميات كما هي** ، فنقول «ميشيل» وليس «ميخائيل» ، ونقول «الساعة ١٤» وليس «٢ بعد الظهر» ، ونبقي على القمر مؤنثاً والشمس مذكراً .. وفي هذا يقول ناقد (التايمز) بعد قراءته لمسرحية توفيق الحكيم : «.. **يصدم العقل الغربي بأشياء غير مألوفة ، في حين أن القمر عندنا مؤنث نجد أن الوزير عندهم اسمه «قمر» ، وأن «شهرزاد» التي تعني الشمس هي عندنا مذكر**» .

أما فكرة «**المياه الاقليمية**» التي يدخل فيها النص الأصلي ليتحول إلى نص محلي ، فهي غير واردة ، لأنه ليس من المعقول أن يرتدي المواطن الغربي جلباباً لمجرد انتقاله من بلد إلى آخر ، فضلاً عن تغيير لهجته وعاداته وتقاليده ومفاهيمه ذاتها .. وهل تصبح مثلاً سفينة الشحن بما عليها من بضائع ، أو باخرة الركاب بما فيها من مسافرين ، بنمية لمجرد عبورها أو رسوها في قناة بنا؟!

في أوروبا ، بكل لغاتها المختلفة ، يستخدمون كلمة «**يوم سعيد**» في تحية الصباح ، بينما نستخدم نحن كلمة «صباح الخير» أو «صبحك الله بالخير» .. والترجمة الأمينة ، لم تفسد الأدب بأي حال إذا هي حافظت على التعبير الأول عند نقله إلى اللغة العربية وعلى التعبير الثاني إذا هي نقلته إلى اللغات الأجنبية .

وكثيراً ما يحدث هذا عند نقل الأمثلة الشعبية لكل أمة من الأمم ، والطبيعي أن ينقل المثل كما هو ، ولا مانع من ذكر المثل المقابل له في اللغة المنقول إليها النص الأصلي ، في الهامش .

فإذا انتقلنا إلى صيغ الاستعارة والكناية البلاغية ، وجدنا أن تشبيه الرجل بالجمل في اللغة العربية يعني وصفه بالصبر والقدرة على التحمل ، وهو تشبيه لا يعني شيئاً في اللغات الأجنبية .. بينما تشبيه الرجل بالأسد يدل على المعنى المقصود ، في أي لغة من اللغات .. وفي فرنسا يستخدمون تعبير «بقرتي العجوز» للدلال والمداعبة ، وهو تعبير قد يؤخذ في أي وطن آخر على أنه اهانة .

ويبقى «**الشعر**» من مشكلات الترجمة المستعصية ، ذلك أن نقل المضمون دون الشكل يفقد الشعر جرسه وايقاعاته أو موسيقاه ، **وهل يمكن ترجمة الموسيقى؟!**

لذا فإن عملية «نقل المعنى» ينبغي أن تصحبها عملية «**نقل المبنى**» أيضاً حتى يتم نقل «**الكائن**» بأكمله .. **وهنا ترتفع «الترجمة» بأمانتها وصياغتها البلاغية والأدبية إلى مستوى التأليف الابداعي ذاته!**

المحرر



الحركة الثقافية في الوطن العربي

سورية

افتتاح المكتبة الوطنية السورية

افتتحت في دمشق **المكتبة الوطنية** التي تتسع في المرحلة الأولى لمليوني كتاب، ويصل استيعابها في المرحلة التالية إلى ستة ملايين من الكتب .. وقد أعد الطابق الثاني لحفظ الكتب والوثائق والأشرطة والمخطوطات .

* كتب جديدة *

- «**ناظم حكمت**» الشاعر التركي أعد عنه الروائي السوري «**حنا مينة**» دراسة تقع في ٣٠٠ صفحة، وتضم عدداً من الرسائل الشعرية التي بعث بها ناظم حكمت إلى صديقه كمال ظاهر .
- «**أزاهير تشرين المدماة**» رواية للدكتور **عبد السلام العجيلي** .
- «**لعبة القرية**» رواية للكاتب المصري **محمد جلال**، صدرت عن اتحاد الكتاب العرب .
- «**منارات**»، و «**أنا باز**» و «**منفى وقصائد أخرى**»، ثلاث مجموعات للشاعر الفرنسي «**سان جون بيرس**» ترجمها إلى العربية الشاعر اللبناني علي أحمد سعيد (**أدونيس**) .. صدرت عن وزارة الثقافة .

لبنان

فنان الطبيعة الصامتة رحل في صمت

مرت ذكرى الفنان «**عمر الأنسي**» في صمت .. حتى وصيته الوحيدة بتحويل مرسمه إلى متحف لم تتحقق حتى الآن .. وقد فاز الفنان في حياته بجوائز عديدة للفنون التشكيلية .

المعرض الأول لفنانة لبنانية

افتتح في بيروت المعرض الأول للفنانة «**سليمى ذود**» التي استخدمت المواد المستخرجة من البترول بالإضافة إلى الزجاج وورق الذهب .

* كتب جديدة *

- «**ديوان الجبل**» هو أول كتاب ينشر للشاعر **بدوي الجبل** ويضم كل قصائده التي نشرت متفرقة على مدى سنوات طويلة .
- «**لبنان رسالة المستقبل**» كتاب جديد للأديب الكاتب **صلاح مطر** .
- «**بطاقة دعوة إلى سجن ما**» ديوان للشاعر **أنطوان رعد** .
- «**مع الحب حتى الموت**» ديوان جديد للشاعرة **باسمة باطولي** .
- «**الحب والحرية**» هو عنوان الأعمال الكاملة للشاعر العراقي **محمد جميل شلش** .. الكتاب صدر عن دار العودة ببيروت .
- «**تاريخ السوسيولوجيا**» دراسة **لجاستون بوتول** ترجمها **ممدوح حقي** .
- «**سفر العودة**» ديوان جديد للشاعر **سليم نكد** .
- «**كليلة ودمنة**» دراسة لحيوانات وطيور «**الف ليلة وليلة**» **لفاروق سعد** .
- «**أمطار الحزن والدم**» ديوان للشاعر **راضي صدوق** مزود بست عشرة لوحة فنية .
- «**رياح النار**» ديوان جديد للشاعر **غطاس الحكيم** .
- «**أزهار الشر**» ديوان **شارل بودلير** المعروف والذي ترجمه إلى العربية الشاعر **إبراهيم ناجي**، أعادت دار العودة نشره .
- «**أنا والأسوار**» الديوان الثالث للشاعرة **بشرى بستاني** .
- «**لبنان .. جبين لا ينحني**» الديوان الرابع للشاعرة **ابريزا المعوشي** .
- «**ديوان الأخطل**» المجموعة الشعرية الكاملة للشاعر **الأخطل الصغير** .
- «**اشربوا .. هذا دمي**» ميلودراما شعرية للدكتور **ميشال سليمان** .
- «**دراسات في تاريخ الفكر العربي والاسلامي**» كتاب جديد للدكتور **طريف الخالدي** .

العراق

مهرجان الربيع العاشر في الموصل

تضمن الاحتفال بمهرجان الربيع العاشر في مدينة الموصل افتتاح **معرض المخطوطات** الذي ضم أكثر من مئتي مخطوطة نادرة لمختلف أنواع العلوم والفنون يرجع تاريخها إلى القرن السادس الهجري .

حدث في مثل هذا الشهر

أول رمضان
٢هـ شرع الصيام لأول مرة .

٦ رمضان
٣هـ مولد الحسين بن علي بن أبي طالب .

١٠ رمضان
٣ ق . هـ توفيت خديجة أم المؤمنين .
١٣٩٣هـ انتصار العرب على العدو الصهيوني .

١٤ رمضان
١٣ ق . هـ نزول الوحي على رسول الله ﷺ .

١٥ رمضان
٣٥٨هـ فتح جوهر الصقلي مصر .
٥٨٤هـ استولى صلاح الدين على قلعة صفد .

١٧ رمضان
٢هـ غزوة بدر الكبرى .
٤٠هـ مقتل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه .
(طالع شخصية الشهر) .
٥٨هـ توفيت السيدة عائشة رضي الله عنها .

٢٠ رمضان
١١هـ توفيت فاطمة الزهراء بنت الرسول .

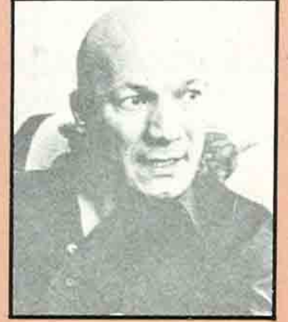
٢١ رمضان
٨هـ فتح مكة .

٢٥ رمضان
٦٥٨هـ معركة عين جالوت .

وفي رمضان
٣ ق . هـ توفي أبو طالب عم الرسول .
٩هـ غزوة تبوك .
٩هـ دخلت ثقيف في الإسلام .
٥٣هـ فتح جزيرة رودس .
٩١هـ فتح الأندلس .
٣٦١هـ بناء الجامع الأزهر بالقاهرة .

* كتب جديدة *

- « **الأشرعة الممزقة** » ديوان جديد للشاعر **ريكان إبراهيم** .
- « **مرثية للعمر الجميل** » الديوان الرابع للشاعر المصري **أحمد عبد المعطي حجازي** .
- « **الأدب في المعركة** » كتاب للدكتور **جليل كمال الدين** .
- « **قصائد** » ديوان يضم ٢٣ قصيدة للشاعر **حسين عبد اللطيف** ، صدر عن وزارة الإعلام .


احمد عبد المعطي حجازي


سامية عمر

الكويت

ترميم بوابة سور الكويت

تقوم البعثة الأثرية التونسية بدراسة « **سور الكويت** » استعداداً للقيام بترميم بوابته التي أتلفتها عوامل التعرية .

فنان يحول الخطوط إلى لوحات

قدَّم الفنان الكويتي « **عيسى حجي موسى** » نماذج عديدة من محاولاته التشكيلية الخطية التي تعنى بتحويل الخطوط العربية بأساليبها المختلفة إلى لوحات تشكيلية . . والجدير بالذكر أن الفنان قصر محاولاته على « **آيات من القرآن الكريم** » .

فنانة ترسم للمرأة

تستعد الفنانة **سامية عمر** العائدة من إسبانيا ، لإقامة معرض يضم لوحاتها التأثيرية المستوحاة من الطبيعة الكويتية ، ولوحاتها المعبرة عن المرأة في الكويت بشكل عام .

* كتب جديدة *

- « **حوار المفكرين** » كتاب جديد للكاتب **عبد الله زكريا الأنصاري** .

الأردن

مات الشاعر .. ولم يقل وداعا

توفي الشاعر الطبيب **مهنا محمود أبو غنيمة** عن ٣٣ سنة في حادث تصادم وهو في طريقه إلى المطبعة لمراجعة ديوانه الذي لم يظهر بعد بعنوان « **أغاني طائر النورس** » ، أطول قصائده بعنوان « **لن أقول وداعا** » .

معرضان تشكيليان ومعرض فوتوغرافي

أقيم معرضان للفن التشكيلي ، الأول في عمَّان للفنان **أحمد نعواش** والثاني في الزرقاء لطلاب المدارس الثانوية . . وأقيم معرض ثالث للصور الفوتوغرافية نظمته وزارة الثقافة والشباب .

اكتشافات أثرية جديدة

اكتشفت **دائرة الآثار الأردنية** في موقع مطار الملكة علياء ، **مقبرة** تضم ١٣٠ مدفناً وأدوات فخارية وزجاجية وحلي وتماثيل بالإضافة إلى حجر نقشت عليه كتابات باللغة الثمودية .

* كتب جديدة *

- « **البحيرة .. ست محاولات لرسم الغروب** » ديوان جديد للشاعر **فواز أحمد طوقان** . . والديوان قصيدة واحدة طويلة .
- « **الأمثال الشعبية الأردنية** » دراسة للدكتور **هاني العمد** ، صدر عن وزارة الثقافة والشباب .
- « **عرض حال للوطن** » ديوان مشترك للشاعرين **محمد الظاهر** و **غسان زقطان** .
- « **قصائد** » ملف سنوي يضم قصائد أعضاء رابطة الكتب الأردنية .
- « **أوراق مطوية** » مذكرات للأستاذ **سليمان موسى** .
- « **العودة للشمال** » رواية للأديب **فؤاد القسوس** .
- « **المركز القانوني للقدس** » دراسة تاريخية وقانونية للدكتور **سالم الكسواني** .



شخصية الشهر

علي بن أبي طالب
كرم الله وجهه

- ابن عم النبي ﷺ .
- عاش في كنفه صبياً وآمن برسالته وهو في العاشرة .
- نام في فراش النبي ﷺ عند هجرته .
- شهد جميع الغزوات إلا تبوك .. وفتح خيبر .
- تزوج فاطمة بنت الرسول ﷺ وأنجبت له الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم .
- بايع أبا بكر وعمر وعثمان ، وبايعه المسلمون بعد مقتل عثمان .
- انتصر في وقعة الجمل واتخذ الكوفة عاصمة له .
- توزع جيشه بين الخوارج وأنصار معاوية بعد معركة نهر الفرات شرقي حلب ، مما دفع معاوية وعمرو بن العاص إلى رفع المصاحف مطالبين بتحكيم كتاب الله .
- طعنه أحد الخوارج وهو يهم بصلاة الفجر عام ٤٠هـ عن ثلاث وستين سنة ، فقد ولد عام ٢٣ ق . هـ .

الحركة الثقافية في



الوطن العربي

فلسطين

فلسطين .. تاريخ وحضارة

« **فلسطين تاريخ وحضارة** » هو عنوان المعرض الذي قدمه الفنان **إسماعيل شموط** ، ويضم لوحات محفورة .. وقد قامت منظمة التحرير الفلسطينية بطبع المجلد الذي يحمل نفس عنوان المعرض ويضم لوحات مصورة للفنان .

* كتب جديدة *

- « **أسطورة ليلة الميلاد** » رواية للكاتب الفلسطيني **توفيق المبيض** ، قدمت لها الدكتورة **سهير القلماوي** .
- « **الآن خذي جسدي كيسا من الرمل** » ديوان جديد للشاعر الفلسطيني **معين بسيسو** .
- « **موسوعة الفولكلور الفلسطيني** » دراسة للكاتب **نمر سرحان** تقع في ثلاثين جزءاً .. صدر منها الجزء الثالث .
- « **العودة** » المجموعة القصصية الأولى للكاتب الفلسطيني **جمال بنورة** ، صدرت عن دار صلاح الدين في القدس .

أبوظبي

* كتب جديدة *

- « **ديوان العويس** » مجموعة الأشعار التي نظمها الشاعر **سلطان بن علي العويس** ، جمعها وقدّم لها الشاعر **حمد بورشهاب** .. صدر عن مؤسسة الاتحاد .
- « **دانة يا بحر دانة** » مجموعة قصص قصيرة للأديب **محمد ماجد السويدي** تضم ١٧ قصة .. صدرت عن دار الوثبة .

البحرين

* كتب جديدة *

- « **مخطوطات البحرين** » فهرس من إعداد الدكتور **علي أبا حسين** ، قدّم له معالي الشيخ **عبد العزيز محمد الخليفة** وزير التربية والتعليم .
- « **ديوان النجفي** » ويضم قصائد الشاعر العراقي **أحمد الصافي النجفي** التي لم تنشر من قبل .. قدّم لها الدكتور **جلال الخياط** .

تونس

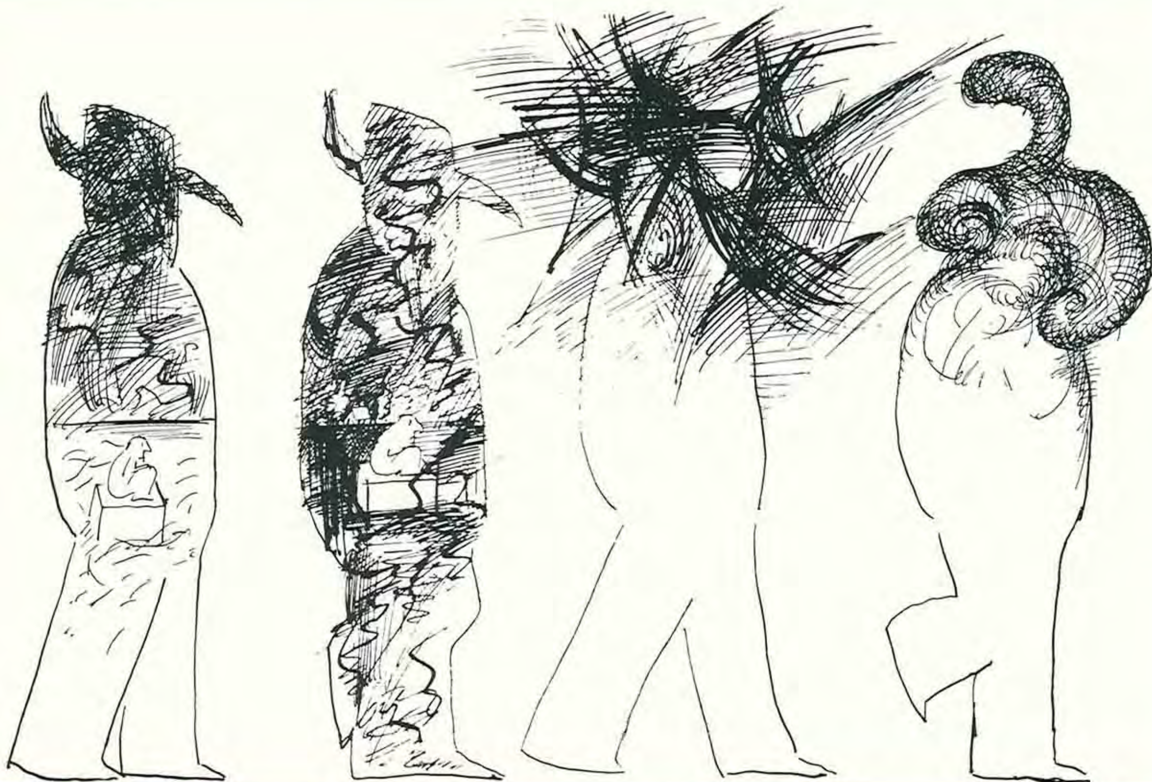
دار جديدة للثقافة

أنشئت في العاصمة التونسية دار للثقافة تحمل اسم المناضل « **علي البهلوان** » بالإضافة إلى دور الثقافة الثلاث الأخرى « **ابن خلدون** » و « **ابن زيدون** » و « **ابن رشيق** » .

مهرجان الفن العربي في تونس

افتتح في العاصمة التونسية **المهرجان الفني العربي** الذي شاركت فيه غالبية الدول

حين يفقد الانسان آدميته!



العربية بفرقها الفنية المتنوعة كفرق الفنون الشعبية والموسيقى العربية وفرق الآلات الشعبية .. وقد اختتمت المهرجان فرقة الإمارات العربية للفنون الشعبية .

* كتب جديدة *

- «**حركات**» الكتاب الرابع للأديب **مصطفى الفارسي** .. صدر له من قبل «**المنعرج**» و «**سرقت القمر**» و «**الأخبار**» .
- «**من قضايا التجديد والالتزام في الأدب العربي**» الدراسة الثانية للشاعر الفلسطيني **ناجي علوش** .. صدرت له من قبل دراسة عن **بدر شاكر السياب** ، فضلاً عن ديوانيه «**هدية صغيرة**» و «**النوافذ التي تفتحها القنابل**» .
- «**مسؤولية الآباء**» دراسة عن معاملة الأطفال للأستاذ **بشير الفرشيشي** .. مطبوعات كلية الحقوق والعلوم السياسية والاقتصادية .
- «**قارب الرحيل**» المجموعة القصصية التاسعة للكاتب السوري **عدنان الداعوق** .. صدرت عن المؤسسة التونسية للنشر .

المغرب

أربعة معارض للربيع

شهدت مدينة **فاس** سلسلة من المعارض التشكيلية تصور فصل الربيع بأساليب متنوعة .. كان أولها للفنان **حسن العلوي** ، ثم الفنان **عبد المالك العلوي** ، ثم الفنان **الكريد** .. أما آخر هذه المعارض فقد ضم الأعمال السيكولوجية للفنان **حميدي** .

* كتب جديدة *

- «**المعين**» قاموس في مصطلحات الفلسفة والعلوم الإنسانية للدكتور **محمد عزيز الحباني** ، صدر عن دار الكتاب في ٧٠٠ صفحة .
- «**اليتيم**» رواية قصيرة للأديب **عبد الله العروي** .. صدرت له من قبل رواية «**الغربة**» وكتاب «**أزمة المثقفين العرب**» .
- «**وأخرجها من الجنة**» مجموعة قصص قصيرة للأديب **عبد الكريم غلاب** ، صدرت عن الدار العربية .
- «**المعركة الكبرى**» رواية تاريخية يسجل فيها **محمد بن أحمد أشماعو** أحداث معركة وادي **المغازن** بعد مرور أربعمائة سنة على وقوعها .
- «**خطب الجمعة**» قضايا اجتماعية يطرحها **محمد الطنجي** ، أصدرتها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .
- «**المدخل إلى دراسة الأدب والتاريخ العربيين**» دراسة للدكتور **نجيب محمد البهبيتي** .

الجزائر

مهرجان المسرح المحترف

أقيم في العاصمة الجزائرية لأول مرة **مهرجان للمسرح المحترف** ضم إلى جانب «**المسرح الوطني**» فرقاً من وهران وقسنطينة وعنابة وبلعباس .. وقد ناقش المسرحيون قضاياهم وعرضوا مشاكلهم وخرجوا بتوصيات أهمها تنفيذ قانون الممثل المحترف لحماية وضعه الاجتماعي .. وعرضت في المهرجان مسرحيات «**آه يا حسان**» للمخرج رويشد ، و «**العراب والصالحين**» لعبد الرحمن كاكي ، و «**يوم الجمعة وجو الأيام**» لابن عيسى .

* كتب جديدة *

- «**يتامى الامبراطور**» المسرحية الثانية التي كتبها بالفرنسية الأديب الجزائري **مصطفى حسيبان** .. صدرت له من قبل مسرحية بعنوان «**فيما ينفع تثبيت الشمس**» .



على ألسنتهم
(عن رمضان)



هو حرمان مشروع وتأديب بالجوع وخشوع لله وخضوع ، وكل فريضة حكمة ، وهذا الحكم ظاهره العذاب وباطنه الرحمة ، يستثير الشفقة ويحض على الصدقة ويكسر الكبر ويعلم الصبر ويسن خلال البر ، حتى إذا جاع من ألف الشبع وحرم المترف أسباب المتع ، عرف الحرمان كيف يقع والجوع كيف ألمه إذا لذع .

أحمد شوقي

أضيف أنت حل على الأنام
وأقسم أن يحيا بالصيام
قطعت الدهر جواباً وفياً
يعود مزاره في كل عام

محمود حسن إسماعيل

كبر الله فشاعت نشوة
في السما رددت الأرض صداها
نغم حلو تعالى داوياً
فأعارته الدنى السمع انتباها

عدنان مردم

أنت في الدهر غرة وعلى الأر
ض سلام ، وفي السماء دعاء
وبكل القلوب أنت رجاء
وبكل النفوس أنت ضياء
ليلة القدر عندهم فرصة العمـ
ـر تدانت على سناها السماء

أحمد مخيمر

رمضان أقبل بعد طول حنيني
فيه الهدى، فيه فضائل ديني
أتلو كتاب الله فيه تبتلاً
آياته قدسية تهديني

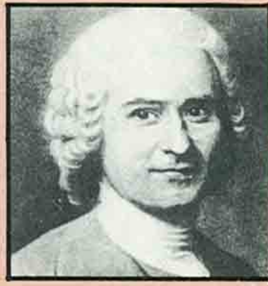
روحية القلليني



العالم

فرنسا :


ڤولتير


روسو


فيليب سوبو

نسف قصر ڤرساي

أصيب **الجناح الجنوبي لقصر ڤرساي** نتيجة لانفجار قنبلة وضعت خلسة خلف أحد تماثيل بهو الدور الأرضي .. وقد أصيبت عشر قاعات مخصصة لعصر القناصل والإمبراطورية بخسائر لحقت بالتحف الفنية والمحتويات الثمينة .

وبعد أن وصلت مئات البرقيات من أنحاء العالم تبدي تعاطفها إلى أمانة القصر ، عقد اجتماع وجه الأمين العام في نهايته **نداء دوليا** للمساهمة في إعادة ترميم القصر الأثري الهام .

٢٠٠ سنة على وفاة ڤولتير وروسو

بعد الاحتفال الرسمي الكبير الذي أقيم في **قصر البانتيون** بباريس بمناسبة **الذكرى المئوية الثانية** لوفاة **ڤولتير وروسو** - فقد توفي الأول في ٣٠ مايو ١٧٧٨م ، وتوفي الأخير في ٢ يوليو من نفس العام - عقدت ثلاثة اجتماعات في كل من «**نيس**» و«**باريس**» و«**شانتي**» إحياء لهذه الذكرى الثنائية .

والمعروف أن رفات الكاتبين الكبيرين يرقد منذ فجر الثورة الفرنسية في قصر البانتيون .

وفاة الروائي هنري بوسكو

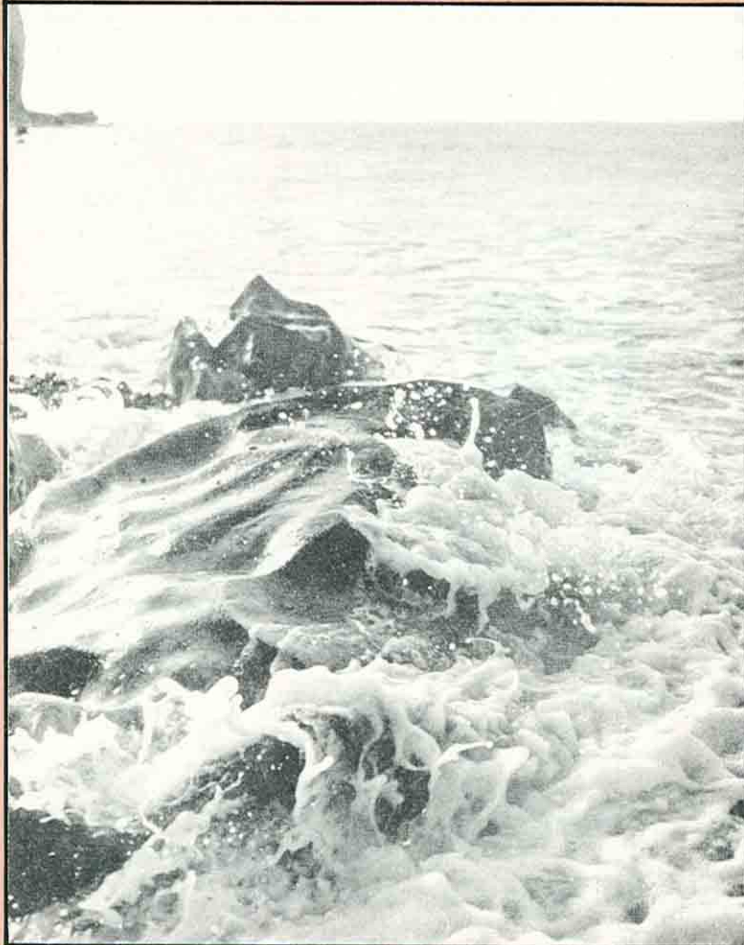
توفي الروائي الفرنسي «**هنري بوسكو**» عن ٨٨ عاماً .. وكان قد ولد في مدينة «**آميثنيون**» عام ١٨٨٨م لأب موسيقي .. وحصل على ثلاث جوائز هي «**جائزة رينودو**» عام ١٩٤٥م ، و«**جائزة الآداب الوطنية**» عام ١٩٥٣م ، و«**جائزة الأكاديمية الفرنسية**» عام ١٩٦٨م .. وقد أهدى بوسكو مكتبته إلى كلية الآداب بجامعة نيس .

المؤتمر الفيزيائي الخامس

اجتمع علماء أكثر من أربعين دولة في «**مارسيليا**» حيث عقد **المؤتمر الفيزيائي الخامس** لمواصلة الأبحاث التي بدأت عام ١٩٦٨م ، حول أحدث اكتشافات «**علم الغدد الصم**» .. وهو المؤتمر الذي يعقد كل خمس سنوات .



كاميرا



أمواج ..

نافذة

علماء النفس .. ومرض الكتابة !

عرف ميدان التحليل النفسي تطوراً كبيراً ، وأصبح له أثراً متزايداً في حياة الناس ، منذ أن وضع له الطبيب النمساوي **فرويد** (١٨٥٦ ـ ١٩٣٩م) أصوله العلمية .. وقد تبع نظريات فرويد وعمل على تطويرها عشرات العلماء ، وما من أحد يشك اليوم في فضل علم التحليل النفسي على الإنسان وحضارته ، لما كشف عنه من قدرة على التصدي لبعض المشكلات المرضية التي كانت تستعصي معالجتها على الطب البشري .

وقد صدر في باريس كتاب لكاترين كليمون بعنوان **«أحفاد فرويد في حالة توعك»** .. والمؤلفة تضع المحللين النفسانيين في موقف الاتهام ، رغم أنها ليست محللة نفسانية وإن كانت إحدى مريضاته ، وهي لهذا تحمل وجهة نظر قائمة على التجربة والتأمل ، فالكاتبة تطرح تساؤلات تتعلق بجوهر نظرية التحليل النفسي ذاتها ، فهي تسأل : «لماذا يولع علماء النفس بالكتابة والنشر ؟ .. وما هي العلاقة بين التحليل النفسي والكتابة ؟!» .

وهكذا لا ترى المؤلفة ضرورة لهذه العلاقة على الإطلاق ، بل ترى أن الكتابة عادة ما تكون ركيكة وتنتمي إلى القرن التاسع عشر ، وتكون النتيجة الإضرار بعلم النفس ذاته وبعلماء النفس أنفسهم .. والأفضل أن يهتم هؤلاء بالتحليل والعلاج ، بدلا من استغلال ما أتيح لهم معرفته من خبايا مرضاهم وأسرارهم ، رغم ما في هذه المادة الجاهزة والخصبة من حكايات تصلح للكتابة وإن ظلت مادة خام ، لا تتحول إلى أدب إلا بين يدي أدباء موهوبين ومتمرسين .. وإلا أمكن لكل أديب بما له من دراية بنفسية شخصياته أن يتحول بدوره إلى طبيب نفساني !

وتلاحظ المؤلفة فضلاً عن ذلك أن كل علماء النفس المعاصرين الذين كتبوا أدباً إنما يعمدون إلى تقليد **«كتاب الرواية الجديدة»** في فرنسا ، أولئك الذين يسعون ، منذ ثلاثين عاماً ، إلى نقل نبضات اللاشعور .. إلا أن علماء النفس قد وقعوا أيضاً في أسلوب السرد الزمني الواقعي للأحداث لافتقارهم إلى فن كتابة الرواية بشكل عام .

وتتهم المؤلفة المحللين النفسانيين الذين يتوزعهم بين ممارسة الكتابة وبين الممارسة الطبية ، إنما يرفضون في واقع الأمر شفاء مرضاهم .. والدليل هو ذلك الفشل الذريع الذي يحققونه كل يوم فيما يتعلق بأمراض النفس التي أصبحت مستعصية بالفعل .

وتدعو **كاترين كليمون** في نهاية كتابها **«أحفاد فرويد في حالة توعك»** هذا النوع من العلماء أو الأطباء إلى الخروج مما أسمته **«المقبرة النظرية»** التي تاهوا فيها والالتحام بواقع النفس البشرية مع الاكتفاء بتكريس الجهود من أجل الإنسان .

ولكنا نطرح بدورنا هذا السؤال : **«هل كان لأي علم من العلوم أن يتقدم بدون كتابة ؟!»** .. إن اللوم الموجه لعلماء وأطباء النفس ينبغي أن ينصب فقط على طريقة الكتابة وليس على الكتابة ذاتها !

نور الدين عزيزة



ماتيس



السلام لبيكاسو

أربعة علماء في أكاديمية العلوم

احتفلت **أكاديمية العلوم الفرنسية** بانضمام أربعة علماء إليها من خارج فرنسا .. اثنان من **بريطانيا** هما العالم الفسيولوجي **كينيث تيمان** (المولود في ٥ أغسطس عام ١٩٠٤م) ، وعالم الأنسولين **كريستيان دي دوف** (المولود في ١٥ أكتوبر عام ١٩١٧م ، والفائز بجائزة نوبل في الطب عام ١٩٧٤م) ، والثالث من **الدانمارك** وهو عالم الذرة **كنات شميت نيلسن** (المولود في ٢٤ سبتمبر عام ١٩١٥م) ، والأخير من **بلجيكا** وهو عالم الغدة النخامية **مارك هيرلانت** (المولود عام ١٩٠٧م) .

من رينوار الى ماتيس .. معرض

أقيم في باريس معرض يضم إحدى عشرة لوحة **تعرض لأول مرة** ، معظمها للفنانين رينوار وماتيس وبعضها لسيزان وبيكاسو .

معرض لرومان يضم بساطا واحدا

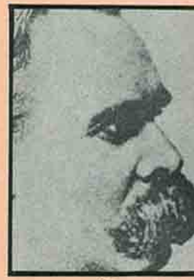
أقيم في **الجراند باليه** معرض للفنان **جول رومان** (تلميذ رفائيل) ، يضم نموذجاً لبساط يبلغ طوله مائة وثلاثة وأربعين متراً .. وقد تعرض للدمار عام ١٧٩٧م .

* أحدث الكتب *

- **«الشعر الغنائي في القرن الثامن عشر»** الكتاب الذي وضعه **فيليب رامو** (١٦٨٣ ـ ١٧٦٤م) ، أعيدت طباعته نظراً لأهميته التاريخية .
- **«الديجولية بين عامي ١٩٤٠ و ١٩٦٩م»** كتاب من تأليف **جان توشار** .
- **«الوجه الآخر لاندريه مالرو»** كتاب على شكل مذكرات سجلها آلان مالرو ابن شقيق الأديب الكبير .
- **«الفن الاسلامي»** دراسة وضعها **الكسندر بابادوبولو** الأستاذ بجامعة السوربون .. صدرت الدراسة في سلسلة **«حقب الفن الكبرى»** وتضم ١١٠٠ لوحة توضيحية .
- **«معرفة العالم الثالث»** دراسة صدرت عن جامعة جيسييه ، اشترك في كتابتها عدد من أساتذة الاجتماع .
- **«أبناء فرويد .. يدركهم السأم»** وجهة نظر للصحفية **كاترين كليمون** تتهم فيها المحللين النفسانيين بمرض الكتابة .
- **«الطفولة في فرنسا القديمة»** دراسة للكاتب **«بوسيه»** يساهم بها في احتفالات عام الطفل العالمي التي تبدأ مع مطلع صفر ـ يناير القادم .
- **«موسوعة تاريخ العالم»** أصدرتها دار بودا في ٨ مجلدات أشرف عليها **ميشيل مور** .. وتشتمل على إضافة لكل ما طرأ من المظاهر التاريخية والثقافية .
- **«ديوان سوپو»** مجموعة قصائد الشاعر السوريالي **«فيليب سوپو»** ، صدرت عن دار سيجير .
- **«العين والليل»** رواية المغربي **عبد اللطيف لعبي** ، صدرت بالفرنسية مع مقدمة للكاتب المغربي دريس شرايبي .
- **«ديوان بونفوي»** مجموعة قصائد الشاعر **«ايف بونفوي»** ، صدرت عن دار ميريكور .

الحركة الثقافية في العالم





دافنشي



دولاكروا



نيتشه

ايطاليا

ترميم لوحة بـ ٢٥٠ مليون ليرة

رصد وزير الثقافة الايطالي ٢٥٠ مليون ليرة لترميم لوحة «**العشاء الأخير**» للفنان **ليوناردو دافنشي**، بعد أن أصابتها الشقوق بمرور ٤٨١ عاماً على رسمها.

وليوناردو دافنشي (١٤٥٢ ـ ١٥١٩م) هو صاحب اللوحة الشهيرة الأخرى «**الجيوكندا**».

فنان سعودي يقيم معرضا خاصا

تلقى الفنان السعودي **أحمد فلمبان** دعوة لإقامة معرض فني خاص بأعماله التشكيلية في العاصمة الايطالية.. وكان الفنان قد تلقى تعليمه الأكاديمي بروما، وأقام العديد من المعارض المشتركة.

أسبانيا

الفلسفة والسلطة في مؤتمر

عقد في متحف **مرسيليانو سانتا مريا** ببرغس المؤتمر الخامس عشر للفلاسفة الشبان، حضره أكثر من ثلاثمائة فيلسوف إسباني وفرنسي وايطالي ويوناني.. ودار النقاش حول «**الفلسفة والسلطة**».

جوائز للفن ترصدها مجلة فنية

تولت مجلة «**ويلانكو**» إقامة مهرجان تشكيلي في المركز الثقافي بمدريد اشترك فيه عدد من الفنانين قدموا مائة وتسع وخمسين لوحة تمثل الرسم الإسباني المعاصر.. وفازت بالجائزة الأولى اللوحة المسماة «**الأمومة**» للفنانة **انساماريا موتيوس ريس**.

* أحدث الكتب *

● «**ممر الظلمات**» أحدث رواية للكاتب الإسباني «**خوزيه كاميلو سيلا**»، وهي إحدى رواياته الخيالية التي تستخدم الأسلوب العلمي الحديث.

سويسرا

* أحدث الكتب *

● «**مذكراتي**» للروائي البلجيكي **جورج سيمنون**.. آخر رواية كتبها عام ١٩٧٣م بعنوان «**السيد شارك**» وهي الرواية الـ ٣٣٥.. أما مجموع عدد قرائه في العالم

حدث في مثل هذا الشهر

(الأحداث التالية بالتاريخ الميلادي الموافق للشهر الهجري الذي تصدر فيه المجلة)

٥ أغسطس
١٨٥٠ مولد الأديب الفرنسي جي دي موباسان.

٦ أغسطس
١٨٠٩ مولد الشاعر الإنجليزي تنيسون.

٧ أغسطس
١٩٤١ وفاة الشاعر الهندي رابندرانات طاغور.

٩ أغسطس
١٦٣١ مولد الأديب الإنجليزي جون دريدن.
١٩٦٢ وفاة الأديب الألماني هيرمان هيس.

١٢ أغسطس
١٩٥٥ وفاة الأديب الألماني توماس مان.

١٣ أغسطس
١٩٦٣ وفاة الرسام الفرنسي ديلاكروا.
١٨٨٨ مولد جون بيرد مخترع التليفزيون.

١٤ أغسطس
١٩٥٦ وفاة الكاتب المسرحي الألماني برتولد بريخت.

١٥ أغسطس
١٧٧١ مولد الأديب الاسكتلندي والتر سكوت.
١٨٨٨ مولد توماس ادوار لورانس (لورانس العرب).

١٦ أغسطس
١٨٨١ مولد الكسندر فلمنج (مكتشف البنسلين).
(طالع شخصية عالية).

١٧ أغسطس
١٨٥٠ وفاة الأديب الفرنسي بلزاك.

١٨ أغسطس
١٦٦٢ وفاة الكاتب الفرنسي باسكال.

٢٠ أغسطس
١٩٠١ مولد الشاعر الايطالي سلفادور كازيمودو.

٢٢ أغسطس
١٨٠٦ وفاة المصور الفرنسي فراجونار.
١٨٦٢ مولد الموسيقار الفرنسي ديبوسي.

٢٥ أغسطس
١٧٧٦ وفاة الفيلسوف البريطاني دافيد هيوم.
١٩٠٠ وفاة الفيلسوف الألماني نيتشه

٢٦ أغسطس
١٩١٠ وفاة الفيلسوف الأمريكي وليام جيمس.

٢٧ أغسطس
١٧٧٠ مولد الفيلسوف الألماني هيجل.

٢٨ أغسطس
١٧٤٩ مولد الكاتب الألماني جوته.

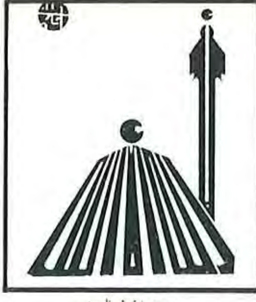
٢٩ أغسطس
١٦٣٢ مولد الفيلسوف الإنجليزي جون لوك.
١٧٨٠ مولد الرسام الفرنسي انجر.

٣١ أغسطس
١٨٦٧ وفاة الشاعر الفرنسي بودلير.
١٩٦٣ وفاة الرسام الفرنسي جورج براك.


سلامة حجازي


سيد درويش


جراهام جرين


فنون الخط العربي

ـ حسب إحصائية اليونسكو ـ فقد بلغ **٣٥٠ مليون قارىء** .. والمعروف أن سيمنون يكتب بالفرنسية ، وقد ترجمت رواياته إلى **مئة لغة** أخرى .

بريطانيا :

الآفاق المستقبلية للطاقة

ينظم **المعهد البريطاني للهندسة الكهربائية** أكبر ندوة لدراسة **مستقبل الطاقة** ومناقشة وضع تصور جديد لها في أنحاء العالم .. تعقد الندوة في شهر صفر ـ يناير القادم .

لغة الموسيقى عند العرب

أشاد المؤلف الموسيقي البريطاني « **ريتشارد جون** » بكبار الموسيقيين العرب أمثال **عبده الحامولي وسلامة حجازي وسيد درويش** ، كما أوضح آراءه في أشهر الآلات الموسيقية العربية .. وقد تعرض **للخليل بن احمد** ، وذلك في الحديث المستفيض الذي صرح به مؤخراً ، وينوي اصداره في كتاب بعنوان « **لغة الموسيقى عند العرب** » .

شخصية عالمية

الكسندر فلمنج
(١٨٨١ ـ ١٩٥٥م)

- بكتريولوجي اسكتلندي .
- مكتشف البنسلين والليزوزيم .
- اكتشف المادة الثانية عام ١٩٢٢م وهي تبيد البكتيريا ، وتوجد في افرازات بعض النبات والحيوان .
- لاحظ عام ١٩٢٨م أن عفناً لوث مستنبتاته البكتيرية ، فأباد الجراثيم منها .
- سمى المادة التي تنتج من هذا العفن « البنسلين » ،وهو أحد المضادات الحيوية التي تفرزها بعض سلالات الفطر المسمى « بنسليوم نوتاتوم » ، ثبت مفعوله في علاج مضادات السلفا والالتهاب السحائي والالتهاب الرئوي .
- اقتسم جائزة نوبل العالمية في الفسيولوجيا عام ١٩٤٥م مع العالمين « سير هوارد وولتر فلوري » و « ارنست تشين » .
- منح لقب « سير » .

* أحدث الكتب *

- « **دون هامبولت** » ترجمة ذاتية للكاتب الفائز بجائزة نوبل للآداب عام ١٩٧٦م « **جول بيلو** » .. تقع الرواية في **٥٠٠** صفحة من القطع المتوسط .
- « **الشعر الانجليزي الخفيف** » كتاب للناقد البريطاني **كينجز آدمز** ، أصدرته جامعة اكسفورد .
- « **تاريخ لندن** » كتاب صدر حديثاً عن قصة استقرار الإنسان حول نهر « **التايمز** » وتطوره الحضاري على مر العصور ، كما يعرض صورة شاملة لمعالم العاصمة البريطانية .
- « **العامل الانساني** » الرواية رقم ٢٠ في إنتاج الكاتب الروائي **جراهام جرين** التي تعكس حقبة من حياة الكاتب نفسه خلال الحرب العالمية الثانية .
- « **فنون الخط والقرآن** » دراسة للكاتب البريطاني **جاي ايشون** ، تقع في ٢٤٢ صفحة مزودة بـ ١١٤ لوحة فنية .. أشرف على اصدار الكتاب **المؤتمر العالمي الاسلامي** في لندن .

ألمانيا :

المؤتمر الدولي للأدباء الراحلين

يعقد المؤتمر الدولي الثالث عشر للأدباء الراحلين بين ٩ و ١٣ شوال ـ ١١ ، ١٥ سبتمبر القادم بمدينة **برونشفايج بألمانيا .. ويدور المؤتمر هذه المرة حول الأديب الفرنسي** « **ستندال** » وعلاقته الأدبية والحياتية بألمانيا .

رحيل العالم البيولوجي بوجنار

توفي العالم البيولوجي **لوي بوجنار** مدير معهد الصحة الدولي ورئيس لجنة الطاقة النووية والفائز بجائزة نوبل في الفسيولوجيا .

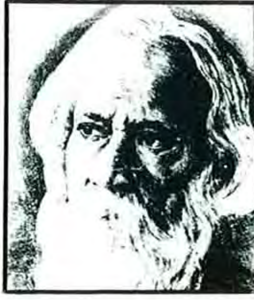
معرض أردني عن العرب الأنباط

أقامت المملكة الأردنية الهاشمية معرضاً بمتحف الراين في بون عن تاريخ وآثار **مملكة الأنباط** التي عاشت بحضارتها العالية إلى جانب الإمبراطورية الرومانية .. والأنباط هم العرب الذين سكنوا **جنوبي فلسطين** وعملوا بالتجارة ، فقاموا برحلات إلى مصر والشام وروما .. وقد برز من بينهم عدد من **الشعراء والأطباء** .

المعرض الدولي للدول النامية

افتتح في **ميونيخ** المعرض الدولي الثالث لمنتجات الدول النامية .. وكانت أبرز المعروضات **تماثيل الطيور والحيوانات الهندية ذات التاريخ القديم** .


يسرية ابو حديد


طاغور

النمسا

شاعرة مصرية في النمسا

اهتمت الأوساط الثقافية في العاصمة النمسوية بقصائد الشاعرة المصرية «**يسرية أبو حديد**» المولودة بالقاهرة عام ١٩٣٦م، والتي بدأت دراستها في جامعة ڤيينا عام ١٩٧٤م . . نشرت أول ديوان لها عام ١٩٧٠م بالقاهرة بعنوان «**المحاكمة**» والديوان الثاني بعنوان «**ايزيس**» . . وينشر لها هذا العام في نيويورك كتابها الأول بعنوان «**لماذا الأهرامات؟**» .

يوغوسلافيا

دائرة معارف بثلاث لغات

تصدر في العاصمة اليوغوسلافية دائرة معارف عن «**دول عدم الانحياز**» باللغات الثلاث العربية والفرنسية والانجليزية . . وتضم مئات الصور فضلاً عن دراسة كاملة لحركة عدم الانحياز وتاريخها منذ مؤتمرها الأول في بلجراد وحتى المؤتمر الخامس الذي أقيم في كولومبيا .

اليونان

مهرجان عن أرسطاليس

بمناسبة مرور **٢٣٠٠ سنة** على وفاة فيلسوف الفلاسفة، اليوناني **أرسطاليس**، نظمت هيئة **اليونسكو** مهرجاناً عالمياً شارك فيه عدد من فلاسفة العالم، ودارت المؤتمرات الخمسة التي عقدت في إطار المهرجان حول «المنطق وفلسفة المعرفة» و«الطبيعيات وعلم الأحياء» و«ما وراء الطبيعة والنفس» و«السياسة والأخلاق» و«انتقال تراث أرسطاليس إلى العرب والشعوب الغربية» .

كما نظم المهرجان **معرضا للمخطوطات** المحفوظة لكتب أرسطاليس وترجماتها . وعرض **فيلم وثائقي** عن حفريات يونانية ذات صلة بحياة فيلسوف الفلاسفة .

بولندا

جائزة فرنسية لكاتب بولندي

فاز الكاتب البولندي «أندريف كوزنوفيتش» بجائزة سيجييه الأدبية (ثلاثة آلاف فرنك) عن مجموعة أعماله التي ترجمت عدداً منها الفرنسية «فرنسواز ڤاجينيه» .

إيران

* أحدث الكتب *

● «**لغات أذربيجان**» كتاب من خمسة أجزاء يحلل فيه مؤلفه «ح . صديق» اللغات الرائجة في تلك المحافظة الواقعة شمالي إيران .

● «**مرقد أقا**» رواية الشاعر الإيراني الراحل نيما يوشيج، أعادت دار مرجان نشرها بعد ٤٦ سنة مرت على طبعتها الأولى .

الهند

الذكرى ١١٧ لميلاد طاغور

تحتفل الهند بذكرى ميلاد شاعرها الكبير «**رابندرانات طاغور**» رقم ١١٧ . . وكانت جامعة اكسفورد قد منحته الدكتوراه الفخرية في الآداب عام ١٩٤٠م، وبعدها بعام واحد فارق الحياة عن واحد وثمانين عاماً .

والجدير بالذكر أن جامعات العالم والأوساط الثقافية قد شاركت في الاحتفال بهذه الذكرى .

الكونغو

جائزة عالمية للشاعر تامسي

منح المهرجان العالمي للفنون الزنجية جائزة الشعر لرئيس اتحاد كتاب العالم الأسود الشاعر «**تشيبايا تامسي**» الذي يكتب باللغة الفرنسية عن ديوانه الأخير «**السترة الداخلية**» .

احصائية

معدل طول الأعمار في العالم

الدولة	ذكور	إناث
السويد	٧٣ سنة	٧٧ سنة
النرويج	٧٠ "	٧٧ "
هولندا		
فرنسا		
كندا		
سويسرا	٧٠ سنة	٧٥ سنة
الاتحاد السوفييتي		
اليابان		
الولايات المتحدة		
الهند	٣٥ سنة	
دول الشرق الأوسط	٥٥ سنة	

المصدر: دليل هيئة الأمم المتحدة


سنجور


مالرو

السنغال

جائزة عالمية لسنجور

فاز الرئيس السنغالي «**ليوبولد سيدار سنجور**» بالجائزة العالمية للآداب (١٥٠ ألف فرنك) تقديراً للدعوة الإنسانية التي تغلف أشعاره وكتاباته المتنوعة .

اليابان

مؤتمر عالمي لطب وجراحة العيون

عقد في اليابان المؤتمر العالمي **الثالث والعشرين** لطب وجراحة العيون .. وقد بحث المؤتمر أحدث النظريات في علاج ضعف الابصار واستخدام التكنولوجيا في لحام نسيج شبكية العين .

اليابان تحتفل بمالرو

تقيم الحكومة اليابانية في شهر ذو القعدة ـ نوفمبر القادم ، معرضاً يضم الأعمال الأدبية التي كتبها أديب فرنسا الكبير **أندريه مالرو** (المتوفي عام ١٩٧٦م) ، وذلك بمناسبة **ذكرى وفاته الثانية .**

معارض إيرانية في اليابان

بموجب الاتفاقية الثقافية بين اليابان وإيران ، تقام بعض المعارض الفنية والأثرية الإيرانية في العاصمة اليابانية .. وتقام بالمثل بعض المعارض اليابانية بعد ذلك في العاصمة الإيرانية .

الصين

وفاة شاعر صيني

توفي في بكين الشاعر الصيني المعاصر «**كوموجو**» وكان يشغل منصب نائب رئيس المجلس الوطني الشعبي (البرلمان) ورئيس أكاديمية العلوم الصينية .

كندا

أول مهرجان ثقافي مصري

أقيم أول مهرجان ثقافي إعلامي مصري في كندا بالعاصمة أوتاوا وبالمدينتين الكنديتين مونتريال وتورنتو .. وقد شمل المهرجان حفلات لفرقة الموسيقى العربية وأسبوعاً للفيلم المصري ومعرضاً للكتاب ومعرضاً للفنون التشكيلية والآثار القديمة

أمريكا

النبي ﷺ أهم شخصية في التاريخ .

صدر للكاتب الأمريكي «**مايكل هارت**» كتاب بعنوان «**المائة : ترتيب أكثر الشخصيات أهمية في التاريخ**» .. وقد ذكر المؤلف أن **النبي محمد** ﷺ هو أهم شخصية في تاريخ العالم ، لأن **النبي** ﷺ جاء ونشر واحداً من أعظم الأديان في العالم ولأنه ، صلوات الله عليه وسلامه ، بعد ١٣ قرناً من وفاته لا يزال أثره قوياً .

اكتشاف أول قلعة أميريكية

اكتشف علماء الآثار في **واشنطن** بالقرب من مدينة **ولمزبرج** قلعة مطمرة تحت الأرض كان الهنود الحمر قد قاموا بتدميرها فوق سكانها **عام ١٦٢٢م** .. وذكر العلماء أن هذا الاكتشاف جدير باعطاء فكرة واضحة عن حياة المهاجرين الأوائل وطريقة حياتهم والأدوات التي كانوا يستعملونها في هذه البقعة النائية من العالم قبل **٣٥٠ سنة** .. كما صرح ايجور هيوم العالم الأثري الذي يقيم حالياً بجوار القلعة بأن **الايرلنديين** هم أول من أقاموا في هذه المنطقة .

الجاذبية الأرضية .. هل أصبحت نظرية قديمة ؟

دحض العالمان الأمريكيان «**هامبرتو جيرولا**» و«**فيليب سيدين**» النظرية الفلكية القديمة التي ترى أن الجاذبية الأرضية «**الثقل النوعي**» هي السبب في حدوث مدارات للنجوم تشكل في مجموعها ما عرف باسم المجرة .. ويرى العالمان أن الشكل اللولبي الذي تتشكل به طريق المجرة جاء بفعل انفجارات في الكواكب الضخمة ، ثم تلى ذلك قيام الكواكب الصغرى بأخذ مكان ما جذبته الكرة الأرضية بعد انفجار الكواكب الكبرى .

طريقة جديدة لطباعة الصور القديمة

توصلت عالمة الكيمياء الدكتورة **بربارا سكينز** الباحثة بمركز **مارشال بولاية الآباما** ، إلى طريقة جديدة لإعادة إظهار الصور القديمة التي مر على تصويرها عشرات السنين بحيث تصبح في درجة وضوح ونقاء الصور الحديثة .. فقد تمكنت العالمة الأميريكية من استعمال أشعة إكس في إعادة طبع صور فوتوغرافية تم أخذها في مطلع القرن الحالي ، فتحولت إلى صور واضحة نقية كأنها التقطت منذ لحظات بأحدث الكاميرات .

الذاكرة تصنعها الكترونيا بالأشعة

أعلن فريق من خبراء إحدى شركات الإلكترونيات أن استخدام **الأشعة النووية** في تصنيع خلايا الذاكرة في الحاسبات الإلكترونية يمكن أن يطور هذه الخلايا تطويراً يقضي على احتمالات الخطأ فيها .

المحطة الملائمة لاستخدام الطاقة

أسفرت الدراسات التي جرت في **واشنطن** والتي قامت بها **وزارة الطاقة** الأميركية عن تحديد أنسب المحطات النووية لتوليد الطاقة ، وهي **المحطات المتوسطة القدرة** .

ندوة دولية عن مصادر الطاقة

تنظم **مؤسسة التعليم الصناعي الأميركية** ندوة دولية في شهر ذو القعدة - اكتوبر القادم بشيكاغو حول الاستخدام التجاري لمصادر الطاقة الأساسية .

من أقوالهم



هيسبورج

●● إن الإسلام هو دين الحق والعدل الأمثل وإنه دين وسط واضح .

فانسون مانتوي - فرنسا

●● أيتها النساء قد حان وقت الشجاعة الحقيقية لإعلان رفض دعوة الحرية المتحللة .

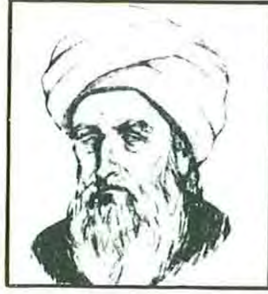
آنا ريبورن - سويسرا

●● إن أفكار الشرق الروحية هي أفكار عميقة ، تدعو للتأمل العميق إذا أراد الإنسان أن يهرب من عالمنا المادي المعاصر .

تيودور هيسبورج - أميركا

●● على الرغم من أن كلام الأديبات عموماً قد يبدو عاطفياً إلا أن من طبيعتهن جميعاً الاهتمام بشؤون الآخرين ، لتوضيح الحقيقة لهم .

لويزا كاشنيتز - المانيا



المعري



أمين الريحاني

فنان أردني في واشنطن

أقيم في إحدى صالات العرض بمدينة واشنطن أول معرض للوحات الفنان الأردني **« مهنا دره »** الذي عرض ٢٦ لوحة من لوحاته البيئية ذات الألوان الزاهية والتكوينات الهندسية والتركيبات العربية .

الأميريكيون يقرأون المعري

« لزوميات » أبو العلاء المعري التي ترجمها شعراً إلى اللغة الإنجليزية الشاعر اللبناني الراحل **« أمين الريحاني »** - ١٨٧٦ - ١٩٤٠م ، صدرت طبعتها الخامسة في الولايات المتحدة الأميركية .. والطبعة الجديدة تقع في ١٢٣ صفحة تضم ١٢١ رباعية بالإضافة إلى رسومات خطها **« رضوان الشهال »** للمعري والريحاني ورسومات أخرى **لفروخ وأوبرهارد** .

ندوة شعرية للرئيس سنجور

ألقى الرئيس السنغالي **سنجور** عدداً من قصائده في ندوة شعرية بمدينة **نيويورك** حضرها أكثر من ٧٠٠ أميريكي بمناسبة انعقاد جلسة الأمم المتحدة الخاصة بنزع السلاح .

عميد جديد لمعهد ييل للدراما

بارتليت جياماتي (٣٩ سنة) أستاذ الأدب الإنجليزي والدراسات الإنسانية ، خلف **« روبرت بروشتاين »** في عمادة معهد ييل للدراما .

معرض خاص بالرسوم اليابانية

أقيم بالعاصمة الأميركية معرض خاص بالرسوم اليابانية التي يرجع تاريخها إلى القرن السادس عشر الميلادي .. ويضم المعرض لوحات تصور التجار البرتغاليين وسفنهم البحرية .

* أحدث الكتب *

- **« ضجيج الذهب »** رواية الكاتب التونسي المقيم بنيويورك **مصطفى تليلي** صدرت بالإنجليزية مع مقدمة عن حياته وأعماله .
- **« العائلات »** دراسة للكاتبة **جين هاوارد** ، تتناول فيها قطاعاً عريضاً من الأسر الأميركية بجذورها وثقافاتها المتباينة .
- **« متحف الشمع »** رواية عن العصر الفيكتوري للكاتب **بيتر لافزلي** .
- **« حالة حب »** أحدث روايات الكاتب إيليا كازان .
- **« السفاح »** رواية عن الحرب العالمية الثانية للكاتب **جورج فوكس** .
- **« في انتظار الأمير »** رواية للكاتبة الشابة **شيلبي هيرون** .
- **« ايريندينا البريئة »** مجموعة قصص قصيرة للكاتب **جابرييل جراشيا ماركيز** .
- **« شوشا »** رواية للكاتب البولندي الأصل **إيزاك باشيفيس سنجر** .

الإعلام الإسلامي وجذوره التاريخية

بقلم : د . محمد سعيد الشعفي

ما أحوجنا والعالم الاسلامي يواصل مقاومته للمبادىء الهدامة ، ودفاعه عن الحق والعدل ، والوقوف في مواجهة أعدائه ، وما أحوجنا إلى دراسة تلك المعالم المضيئة ، التي ارتكز إليها الاعلام الاسلامي ، والتي قدمت الأنموذج الأمثل للاعلام الهادف ، وتحقق بها للمسلمين الأوائل ، نشر الدعوة ورفع راية لا إله إلا الله .. محمد رسول الله ، كما تحقق بها احراز القدوة الصالحة ، في الأخلاق والمعاملات والعلاقات على اختلاف أنواعها ، بالاضافة إلى ائتلاف القلوب وشحذ العقول .. بغية الاتجاه نحو الهدف ، في إيمان وقوة .

نعم ، ما أحوجنا إلى دراسة هذه المعالم كلها ، وإلى العمل على الافادة منها . والاستناد إليها ، وابرازها ، وتبصير المسلمين بها .. والفائدة في ذلك لنا جميعاً ، نحو أمة الإسلام .

ذلك لأنه إذا كان الإعلام يعتبر علماً حديثاً ، لم يتنبه رجاله إلى وجوده كحقيقة من بين حقائق العلوم الإنسانية ، إلا مؤخراً ومن ثم فقد راحوا يضعون له الأسس والقواعد ، والمناهج والأطر ، بغية ايجاد كيان مادي مستقل له ، فإن من الحق أن يقال إن الباحث في التاريخ الإسلامي عامة ، **وتاريخ الاعلام الاسلامي** خاصة ، ليستطيع أن يضع يده على عدد من الحقائق التي تؤكد أن الإسلام قد أدرك تماماً ما ينبغي أن يكون عليه الحال بين الناس في اجتماعهم واتصالهم ، وأمور ائتلافهم ، بل وحدد الطريق أمام الداعية للإسلام ، ووضع المعالم الواضحة ، والركائز المتينة التي يستند إليها رجل الإعلام ، أمس واليوم وغداً ، بحيث تمده بأسباب القوة ، ويزاد لا ينفد من ادراك حقائق الأمور وأسباب قوتها وضعفها وعلة ذلك كلها في صدق وجلاء .

الاعلام : قديم قدم الانسانية

وصحيح أن عملية الإعلام نفسها هي عملية قديمة قدم الإنسان وعهده بالحياة على هذه الأرض ـ ولسنا هنا في مجال تعداد أشكالها وملامح تطورها ـ ولكن الصحيح أيضاً أن تعريفات علمائه من المعاصرين تقترب من جذور الإعلام الإسلامي .. وسواء تلك التي جاء بها الدين الحنيف نفسه أم أضاف إليها مما وصل من عصور سابقة .. فالألماني « **أوتوجروت** Otto Oroth » مثلاً يقول في تعريفه عنه إنه « **التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت** » [1] .

كما يضيف العميد السابق لكلية إعلام القاهرة إلى ذلك قوله : « والمفروض أن الإعلام يقوم على الوضوح والصراحة ودقة الأخبار مع ذكر مصادرها ، كما أنه يشترط الالتزام بمعايير الصدق والأمانة ، فالإعلام هو تزويد الجماهير بأكبر قدر ممكن من المعلومات الصحيحة أو الحقائق الواضحة ، والمفروض أيضاً أن الإعلام يقوم على التنوير والتثقيف ونشر الأخبار والمعلومات الصادقة التي تنساب إلى عقول الناس وترفع من مستواهم وتنشر تعاونهم من أجل المصلحة العامة ، فهو يخاطب العقول لا الغرائز » [2] .. أي إن الإعلام هو في بساطة شديدة : الإخبار بالحقائق والوقائع والمعلومات الصادقة من أجل اتخاذ موقف صحيح .

وإذا كانت هذه كلها تتجه بالدرجة الأولى إلى بعض صور الاتصال والأنماط الإعلامية التي تعود إلى **العصر الجاهلي** نفسه ، وذلك مثل **الخطابة وإقامة الندوات والمناداة وعقد الأسواق التجارية والأدبية** ، على نحو ما هو معروف ، كما تتجه بقوة أيضاً إلى ما كان **للرواة** من دور كبير امتد هو الآخر حتى **العصر الاسلامي** نفسه ، حتى إنه خلال القرون الثلاثة الأولى للهجرة كانت **الرواية الشفهية** «**تسير جنباً إلى جنب مع الكتابة والتدوين** لا تعارض بينهما ، ولا ينفي وجود أحدهما وجود الآخر » [3] ، فإن من الحق أن يقال إنه بظهور دين الله الحنيف ، بدأت مرحلة جديدة كل الجدة ، وذلك في ماهيتها والهدف منها ، وفي أساليبها وأنماطها ، وحتى لغتها المميزة . ومن هنا ، فإنني أقول إن مثل هذه التعريفات تقترب من مفهوم هذه كلها .. ولكنها ـ حتماً ـ وبالنظر إلى المثل العليا التي جاءت بها ، إنما تسمو فوق التعريفات والإضافات ، كما تفوق ـ خاصة في المرحلة الأولى من

الدعوة المحمدية ـ كل ما اتجه إليه خبراء الاتصال بالجماهير وأصحاب النظريات التي تقسمه إلى **شخصي وجمعي** أو تستعير له عدداً من المصطلحات الحديثة **كالمرسل والمستقبل والتدفق ورجع الصدى وغيرها .**

معالم .. وجذور

والحق أن هذه الجذور الإعلامية ، التي تبين معالم الطريق ، وتحدد مواضعه لهي كثيرة ومتعددة ، كما أن بعضها يتفرع إلى عدد من الوسائل والأنماط والأساليب التي تحتاج إلى مجلدات كثيرة لتناولها ، فحسبنا في هذه العجالة أن نشير إلى النزر اليسير منها آملين أن تكون مجالا **لطلاب الدراسات العليا في الاعلام** ، يخدم دينهم الحنيف ويقدم للأجيال سبل الرشاد . نعم **إن من بين هذه الجذور ما تمثل في القرآن الكريم والأحاديث النبوية والأعياد الاسلامية ومجالس الشورى والبعوث الاسلامية والأذان والندوات والكتابة والخطابة والحج ..** وغيرها .. فحسبنا هنا أن نقف عند بعضها .. بعد الإشارة إلى عدد من المعطيات الهامة .. ولعل في مقدمتها :

●● إن الإعلام في المرحلة الأولى ـ نزول **الوحي** وبعثة الرسول ﷺ ـ كان يتخذ أطره ومفاهيمه شكل الدعوة الإسلامية ، أو كان إلى مفهومها أقرب ، ثم راح بعد ذلك يتخذ الأشكال الإعلامية المختلفة مما يمت إلى الإعلام نفسه ، وأساليبه ووظائفه ، بصلة كبيرة ..

نعم .. كان الإسلام منذ بدء ظهوره « دين دعوة من الناحية النظرية أو الناحية التطبيقية ، وقد كانت حياة محمد تمثل هذه التعاليم ذاتها ، وكان النبي نفسه يقوم على رأس طبقات متعاقبة من الدعاة المسلمين الذين وفقوا إلى ايجاد سبيل إلى قلوب الكفار »(٤) .

●● إن كلمة « **الوحي** » ذاتها يصح أن يتوقف عندها رجل الإعلام كثيراً ، فمن حقها أن تصبح أبرز كلمات الصدق والدلالة والبرهان الساطع على حقيقة من الحقائق البالغة الأثر في حياة الإنسان ، ولكنها هنا تسمو فوق حدود الصدق الإنساني وحده لتعبر عن الحقائق الكبرى المتصلة بمعاني الدعوة وما ينبثق عنها من أفكار ، حيث إن المعنى المراد به هنا هو « إعلام الله تعالى لنبي من أنبيائه بحكم شرعي ونحوه »(٥) كما أنها أيضاً « إلقاء المعنى في القلب »(٦) .

●● إن جميع المفاهيم والأنماط والمعايير ، وحتى المصطلحات الإعلامية أيضاً ، قد وجدت هذه الممارسة التطبيقية ، الايجابية والفعالة في حياة المسلمين الأوائل ، عندما كانت معالم دين جديد ترسخ وحضارة جديدة تتكون ، وعالم جديد يأخذ مكانه مستنداً إلى قيم وأخلاق ومبادىء لا عهد له بها ، بشرت بها وبذرت بذرتها وأخذت تمدها بأسباب الحياة ، تلك الركائز جميعها ، والتي انبثقت عن الدعوة الكريمة ذاتها .

الاعلام القرآني

إن هذه المرحلة الجديدة يقف **القرآن الكريم** منها موقف الأصل والأساس والعماد والركيزة ، والمنهج والجوهر ، والقلب والعقل ، فهو إلى جانب كونه دستوراً للبشرية ، ومخططاً لها ، ومبيناً لحدود الله ، وهادياً للناس ، فإنه **يعتبر منذ نزل على الرسول الكريم ﷺ ، وحتى يومنا هذا كما سيظل ـ على المدى ـ أكبر وأهم وسيلة إعلامية** ، ارتبطت بها ارتباطاً وثيقاً وتفرعت عنها الوسائل والأساليب الأخرى ، حتى تلك التي بقيت منذ الجاهلية ، فإنها راحت تغترف من معينه الذي لا ينضب الفكر الجديد ، والنهج الجديد ، واللغة الجديدة أيضاً .

على أننا نبادر فنقول ، إن نظرتنا هذه هي من وجهة نظر إعلامية فقط ، كما أن هذه النظرة بمعطياتها تحكمها حدود المساحة المتاحة .. والوقت أيضاً ، ولكننا على الرغم من ذلك نقف ـ كما يقف أي رجل إعلامي ـ تأخذ به للوهلة الأولى عدة حقائق تتصل بهذا « **البلاغ** » الإلهي ، الذي جاء بنبأ من قبلنا وخبر من بعدنا .. جاء بالهدى ودين الحق ﴿ **قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم** ﴾ .. ومن هذه الحقائق على سبيل المثال لا الحصر :

● أنه ـ وهو أول كتاب يكتب باللغة العربية ـ **إنما احتشدت له كافة المصطلحات والمفاهيم والألفاظ الاعلامية** الدالة على مختلف طرق وأساليب وأنماط الإعلام ، وجميعها ما تزال تستخدم بمدلولاتها الإعلامية وكمصطلحات حضارية ، حتى يومنا هذا ، إن من بينها على سبيل المثال ما جاء بالآيات البينات :

﴿ **هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا إنما هو إله واحد وليذكر أولوا الألباب** ﴾ ، ﴿ **عم يتساءلون ، عن النبأ العظيم** ﴾ ، ﴿ **هو الذي يصوركم في الأرحام** ﴾ ، ﴿ **يومئذ تحدث أخبارها ، بأن ربك أوحى لها** ﴾ وغيرها .. وإذا كان الشيء بالشيء يذكر فقد وردت كلمة « **صحف** » في القرآن الكريم « ثماني مرات كلها بصيغة الجمع »(٦) ، كما وردت كلمة **الكتاب** إحدى وستين ومائتي مرة إفراداً وجمعاً .

● أنه يتضمن جميع أساليب الإعلام والدعاية المعروفة ، بدءاً من تقديم **الخبر** على جميع أشكاله ومروراً **بالتوجيه والارشاد** ، وحتى استخدام **أسلوب الأمثلة والشواهد** ، وهي هنا شواهد بعضها جاءت به **الكتب السماوية السابقة** ، والبعض الآخر يضرب به المثل لأول مرة .. وكذلك استخدام **أسلوب التوقع** ووضع يد الدعاة على ما ينتظرهم ، وينتظر المسلمين وغيرهم ، ولفت الأنظار إلى ذلك بالترغيب حيناً والتهديد في أحيان أخرى ، وكثيرة هي الآيات الكريمة التي تدل على ذلك ، وتبرز جوهر هذه المعالم كلها .

● وإذا كان ما سبق يتجه إلى **الشكل والمضمون** ـ معاً ـ وعلى حد قول المحدثين ، فإن هناك أكثر من نقطة أخرى ، تتصل بهما .. ومن بينها تلك الحقيقة الثالثة المتصلة بهذا الدستور الإلهي .. ألا وهي رسم معالم الدعوة الإسلامية ، وتقديم المثل الأعلى ، والمنهج القويم الذي يوصل إلى أبرز النتائج ، مما جاء في الآيات البينات :

﴿ يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وداعيا إلى الله بإذنه وسراجا منيرا وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا ، ولا تطع الكافرين والمنافقين ودع أذاهم وتوكل على الله وكفى بالله وكيلا ﴾ .

وأيضاً : ﴿ إنه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين ، بلسان عربي مبين ﴾ .

وأيضاً : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن ﴾ .

وأيضاً : ﴿ واصبر على ما يقولون واهجرهم هجرا جميلا ، وذرني والمكذبين أولي النعمة ومهلهم قليلا ﴾ .

وأيضاً : ﴿ لا إكراه في الدين ﴾ .

● وأما الحقيقة الرابعة التي استند إليها هذا الإعلام المميز فهي استناده في أكثر مواطن التوجيه والإرشاد إلى أسلوب محبب إلى نفوس البشر ويقدم الدليل والعبرة معاً .. ذلك هو أسلوب القصص القرآني الذي قدم به حياة الرسل وما تعرضوا له وما قدموه في سبيل الدعوة إلى الإيمان بالله .. ومسار هذه الدعوات نفسها .. ويمكن أن يتصل بذلك أيضاً هذا التقديم الإخباري - الطازج - لما كان يتعرض له الرسول الكريم ﷺ ، من مواقف وأحداث نزلت فيها آيات بينات .. أو كان الوحي ينزل بها في أعقاب كل حادثة من هذه الحوادث .. ليس هذا فقط .. وإنما **كانت بعض آيات الدستور الاعلامي الالهي «تنبىء الرسول بما سيحدث له ولأصحابه في المستقبل»**[٧] ، كما كان بعضها الآخر يلفت نظره ويوقفه على أخبار المشركين والمنافقين وما يدبرونه من مؤامرات .. كما امتد ذلك أيضاً إلى تحليل للمواقف المختلفة ، اتبعه توجيه قرآني منزه .

ولعل ذلك كله هو ما حدا بعض المؤلفين في مجالات الإعلام إلى اطلاق تعبير « **الصحيفة الإلهية** » على القرآن الكريم .. تلك التي كانت لها جميع هذه الآثار .. كما كان لها أيضاً أبلغ الأثر في خلق معالم هذا المجتمع الجديد الذي نما وترعرع تحت ظلال هذه الصحيفة التي امتدت آثار ما حملته من جلائل المعاني إلى خارج الجزيرة .. إلى كل الأصقاع والأماكن ، متعدية حدود الزمان والمكان والقدرة البشرية أيضاً **﴿ قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا ﴾ .**

محمد : قدوة إعلامية

وكان من الطبيعي أن يصبح الرسول الكريم ﷺ وهو أول ممارس لما جاء به القرآن الكريم من أمور تتصل بالداعية وما ينبغي أن يكون عليه .. نعم ، لقد كان الرسول ﷺ المثال والقدوة في الصبر وتحمل الاساءة والاعراض عن المنافقين والبعد عن الغلظة ورجاحة الرأي وسعة الصدر .. «حتى نجح نجاحا لم يحظ به داعية قبله ولا بعده .. لقد غير الأفكار والآراء ، والنظرة إلى الحياة ، وطرائق التفكير لهدي الانسان إلى ربه ، وليعرف مركزه في الوجود ومصيره الذي ينتظره وترك أمة مسلمة تدين بهذه المبادىء وتؤمن بها إيمانا دفعها إلى أن تبسط سلطانها في الآفاق لتطارد الظلم والفساد وأسباب الحياة المعوجة»[٨] .

ولعل أبرز ما تركزت فيه أساليب الرسول الإعلامية ، أحاديثه النبوية ثم خطبه الكريمة ، حيث يمكن لباحث الإعلام ، ذلك الذي يقوم على الحقائق والمعلومات الصادقة ، أن يجد فيهما - الأحاديث والخطب - كل ما ينشده من معالم يصح تماماً أن يستقي منها هؤلاء الذين يبحثون اليوم عن صيغ جديدة **لمواثيق الشرف الاعلامية** كائناً ما كانت .. ومن بينها على سبيل المثال لا الحصر : الصدق ، الدلالة ، اعطاء الأمثلة الواقعية والقريبة من الأذهان ، الاعتراف بفضل السابقين من الأنبياء ، أدب الحديث ، بساطة التعبير ، التواضع ، احقاق الحق ، الايجابية الكاملة في المواقف والأعمال ، وضوح الإيمان الكامل بالذي يدعو إليه ، اكتساب محبة المستمع وغيرها .. مما يصلح لرجل الإعلام ، ويساعده على تحقيق الهدف ، في كل زمان ومكان ، ومما يستطيع رجل الإعلام الحديث ، في أي موقع من مواقعه أن يفيد منها أعظم فائدة .

وإذا كانت الأحاديث والخطب النبوية الكريمة ، تمثل الأساس الثاني ، الذي ارتكز إليه الاعلام الاسلامي ، من هذه الجذور نفسها ، فإن رجل الاعلام ليدهشه - حقا - أن يتوافر للوسيلتين أيضاً - وكما توافر للقرآن الكريم قبلهما - تحقيق المثل الأعلى الهادف للعمل الإعلامي في مجموعه ، ذلك أننا إذا كنا نقول - اليوم - إن أبرز مجموعة الأهداف التي تتجه إليها وسائل الإعلام على اختلافها - مقروءة أو مسموعة أو مرئية هي :[٩]

- ●● **الاعلام أو الأخبار .**
- ●● **التوجيه والارشاد .**
- ●● **التفسير والايضاح .**
- ●● **التثقيف .**

فمن الحق أن يقال إن الأحاديث النبوية الكريمة ، وإن الخطب قد أتت على هذه الأهداف « الجادة » جميعها .. بحيث تحققت هذه الأغراض تماماً من خلال الوسيلتين ، بل إن بعض هذه الأحاديث والخطب قد حملت كلماتها المضيئة وسطورها الصادقة الدليل الواقعي والحي على قيامها بهذه الأدوار جميعاً ، وهي أحاديث وخطب عديدة وتجل عن الحصر .. لعل من كلماتها - على سبيل المثال لا الحصر - النبوية وحدها - :

● **في النهي عن التعصب للنسب أو الجنس أو اللون : «دعوها فإنها منتنة» ، «ليس منا من دعا إلى عصبية ، وليس منا من قاتل على عصبية ، وليس منا من مات على عصبية» .**

● وفي الفضائل والآداب والقيام بالواجبات ونفع الأمة : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده والمؤمن من أمنه الناس على دمائهم وأموالهم» ، «عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة» ، «إن الله يحب معالي الأمور ، ويكره سفسافها» ، «ليس منا من لم يرحم صغيرنا ، ويوقر كبيرنا ، ويعرف لعالمنا حقه» .

● وفي العلم : «من سلك طريقا يطلب فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة ، وإن الملائكة لتضع أجنحتها لطالب العلم رضا بما يصنع ، وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم تورث درهما ولا دينارا ، وإنما ورثوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر» ، «طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة» .

● وفي الحق أنه يضيق بنا المقام كذلك عندما نحاول تتبع هذه الأحاديث التي تضع النقاط فوق الحروف ، وتقدم مفاتيح الدعوة والإعلام .. معاً .. ولكن حسبنا أن نشير هنا إلى أن **السيرة النبوية** العطرة .. هي كذلك ، تعتبر فيما تعتبر من مجالات وأطر الإعلام ، التي بقيت حتى يومنا هذا تقدم الأنموذج والقدوة ، في أسلوب فريد وأخاذ . ما أجدرنا أن نتدارك معانيه وأبعاده .

عندما تأتلف القلوب

وقد مضت هذه الجذور الإعلامية كلها ، تتعمق في عهد الرسول الكريم ﷺ ، واستمر بعضها ، ودخل إليه ما يناسب اتساع الدولة وترامي أطراف حدودها خلال عهد الخلفاء الراشدين .. كما شهد بعضها ، حتى هذا الذي ورثه العصر الإسلامي عن العصور السابقة ، شهد عدة تطورات تدخل به في مجال الإعلام الرفيع المستوى .. وربما يكون في استخدام بعض صور الإعلام الحديث ، ما يقرب من عقولنا هذه المشاهد كلها .

ففي المشهد الأول : نجد جدران الكعبة المشرفة وقد علقت عليها «**صحيفة قريش**» ، وجموع المسلمين تمر بها وتقف شاخصة تنظر وتقرأ «**هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو : اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس ويكف بعضهم ، على أنه من أتى محمدا من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ، ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه .. الخ**»[10] .. فإذا تجولنا بعد ذلك قليلاً ، خارج **الحرم المكي** ، لرأينا **دور الصحابة** رضوان الله عليهم ، وقد تحولت إلى دور للاستماع إلى السيرة النبوية ، أو دور للندوة ، يتبادل الناس فيها الآراء ، وتبرز فيها الحكمة والحكماء .

وفي المشهد الثاني : نجد عدداً من المسلمين وقد أغرموا **بالرواية والتأريخ والخبر** ، ولكنها تأخذ الآن أكثر من بعد جديد ، حيث تنتقل من مرحلة المشافهة ، انتقالا يكاد يكون كاملاً ، إلى مرحلة التسجيل والتدوين ، فلا تكاد تمر على بيت من بيوت هؤلاء ، إلا وتسمع من يقول : سمعت من .. أنه سمع من .. أنه رأى ، أو عن فلان ، عن فلان ، عن فلان ، أو حدثنا فلان قال ، أو ذكر فلان ، وغيرها من **طرق الاسناد** ، وقد كثر ذلك على وجه التحديد في عهد معاوية بن أبي سفيان حتى اعترف به المؤرخون «فأخذوا ينظرون في هذا الفن ـ يريد تدون الأخبار ـ باحثين منقبين وشرعوا يروون الأخبار التي يستطيعون الوصول إليها ، ولكننا لا نلبث أن نرى هذه الأخبار الشفوية تدون في **عهد معاوية** في رسائل صغيرة تسمى كتباً ، وكان هذا تحولا خطيراً يبشر بما سيتلوه من تقدم ورقي»[11] .

والحق أن رجل التاريخ لينظر إلى هذا الحصاد على أنه تسجيل للحوادث ، ولكن من حق رجل تاريخ الإعلام أن ينظر إليها ـ كذلك ـ على أنها تسجيلات إعلامية ، أو ليست وسائل الإعلام هي مجال تسجيل الحوادث أيضاً ، كما أن الصحيفة هي تاريخ العالم .. في يوم ؟!

على أن المشهد الثالث ، هو أبرز هذه المشاهد دون جدال .. وهذا المشهد ينتقل بنا من مكان لآخر من تلك الأماكن الكريمة الطاهرة ، كما يتمثل في أكثر من وسيلة أيضاً ، نعم إنه يتمثل في **أحاديث الخلفاء الراشدين** ، رضي الله عنهم ، وفي **كلام كبار المحدثين والعلماء** ، وكذلك **خطب الخطباء** منهم ، فجميعها تمثل هذا الرافد الثالث ، من هذه الجذور الإعلامية نفسها ، وصحيح أن حكومات الخلفاء الراشدين «ترسمت طريق الرسول الكريم ﷺ في أكثر المجالات الإعلامية التي ظهر فيها نشاطه ، ثم زادت عليها مجالات أخرى دعت إليها الظروف المحيطة بكل واحد من أولئك الأربعة»[12] ولكن ، من أبرز هذه المجالات ـ دون جدال ـ ذلك المجال الذي يتصل بدور **المسجد** وأثره في هذا المجال ، وذلك الذي يتصل بدور **الحج والعمرة** .. ثم بالاجتماعات الأخرى العديدة .

ذلك لأنه من الثابت أن جميع الأفكار الجديدة ، التي عملت على ربط المسلم بدولته التي تزداد كل يوم اتساعاً ، وكذلك ربطه بالمفاهيم الجديدة في الحكومة ، والمساواة ، والعدل ، والمحافظة على تراث

النبي ، والجهاد ، والدولة الإسلامية ، هذه كلها بذرت بذرتها الأولى في ظلال المسجد ، وبين كلمات الخطب العديدة ، فاتسعت المدارك ، وبدأت العقول تفكر فيما وراء شبه الجزيرة .. وكان ذلك مناخاً إعلامياً صالحاً لجميع هذه الأفكار ، ساعد عليه ذلك الإطار الروحاني ، الذي يصبح الجميع فيه إخوة بين يدي الله ، تتحد قلوبهم على العمل من أجل الدين الحنيف ، وتأتلف على الوفاء لتعاليمه .. ومن هنا خرجت الجيوش الغازية ، والتعاليم الواعية ، التي غزت البلاد ، وفندت دعاوى المرتدين وراحت تدعم الدين بكل ما تستطيع من قوة .

كذلك فقد كان **موسم الحج** يمثل الإطار الأمثل ، والتربة الخصيبة لمثل هذه الجذور .. تلك التي أحسن المسلمون الأوائل ، ورجال الدولة من بعدهم استغلالها خير استغلال يرتكز إلى كونه أكبر تجمع للمسلمين من مشارق الأرض ومغاربها ، بحيث يمثلون « **المؤتمر الأول** » الذي يتدارسون فيه أحوالهم ، ويتناقلون أخبارهم ، ويتبادلون الرأي والمشورة ، من **أركان الاسلام** .. يزيد من أثره الإعلامي هذا التآلف الكبير في القلوب ، والصفاء في النفوس والفرح الغامر بما حقق الله ، وترديد أناشيد الطواف العظيم « **لبيك اللهم لبيك** » .. ومن هنا - **وبالاضافة إلى كون الحج من أركان الاسلام - فقد اعتبر من أعظم وسائل وأطر الاعلام الاسلامي** ، التي التفت إليها الرسول الكريم ﷺ ، منذ بدء دعوته ، ثم الصحابة والخلفاء من بعده .

ألوان من الاعلام

على أننا ونحن نعدد هذه الجذور ، لا بد لنا من التوقف قليلا عند بعض الألوان الأخرى التي شهدتها الأرض العربية ، أو من تلك الأفكار التي تعتبر في لبها وصميمها من بين الأفكار الإعلامية المتقدمة .. ان من بينها - كذلك - وعلى سبيل المثال لا الحصر .. أسلوب « العلاقات الودية » التي قامت فوق أنقاض العصبية القبلية البغيضة التي كانت تشعل نار الحرب من آن لآخر ، فيروح الناس وتذهب القبائل وقوداً لها .. ومن أجل ذلك فقد راح الرسول الكريم ، وراح الخلفاء الراشدون ، وحتى في **العصر الأموي والعباسي** .. راح الخلفاء والولاة يتبعونها مع غير أمم الإسلام من شعوب الأرض ، ومن هنا دخلت **شعوب مسيحية** كثيرة في الإسلام ، ودخلت شعوب أخرى ، **كالبربر** وغيرهم دين الله الحنيف ، **كما امتدت الدعوة إلى إفريقيا وآسيا ، وكانت علاقات السلف الصالح الودية خير سفير لهذا النوع من الاعلام .**

وقريب من ذلك أيضاً ، أسلوب « **التسامح** » الذي اتبعه النبي والخلفاء والولاة والذي كانت له أكثر من صورة ذات مردود إعلامي لا يستهان به ، خاصة وقد بلغت الدعوة هذه الأمصار كلها .. ومن هذه الصور على سبيل المثال ، عقد الرسول الكريم ﷺ **المعاهدات** مع بعض المسيحيين والتي سمح لهم فيها بالاحتفاظ بدينهم القديم .

وبالنسبة لبعض **قبائل بلاد ما بين النهرين** ، فقد ضربت أعظم صور التسامح معهم عندما « **حرم الخليفة عمر استخدام أية وسيلة من وسائل الضغط عليهم عندما أظهروا أنهم لا يرغبون في ترك دينهم القديم ، وأمر بترك الحرية لهم في إقامة شعائرهم** »[١٣] حتى قبل في آثار ذلك كله ، وهو ما اعترف به حتى غلاة المستشرقين « **نستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الاسلام ، إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة** »[١٤] ..

إنه الأسلوب نفسه الذي تحاكم فيه المسيحيون إلى عدالة الإسلام ، والذي دفع بعض الخلفاء إلى الموافقة على بناء **الكنائس** والانفاق عليها مثل **كنيسة أبي سرجة بناحية مصر القديمة بالقاهرة** وهي مما بني في العهد الإسلامي الأول **بفسطاط عمرو بن العاص**[١٥] ، « **وليس أدل على سعة الصدر من أن والي الأمويين في العراق وفارس - خالدا القسري - بنى لأمه المسيحية كنيسة لتتعبد فيها في العهد الأول للدعوة وأيام صولة الفتوحات والحروب بين المسلمين والروم المسيحيين** »[١٦] .. وإذا كانت الصحف تطالعنا اليوم بالقصص العديدة للذين يتحولون عن دياناتهم إلى دين الإسلام ، فإننا نستطيع أن ندرك عمق وأصالة هذه الجذور المؤثرة كلها .. والتي ما تزال قراءة قصصها ، والتعرف على ملامح العدل والحق بها دافعاً إلى زيادة أعداد الداخلين في دين الله .

على أننا نشير في النهاية إلى لون آخر من هذه الألوان ، وإن كان ما يشار إليه هنا ، مما يعتبر من باب **فلسفة الاعلام** نفسها ، أكثر من اعتباره من باب **الاعلام المباشر** ، أو الجذور المباشرة لهذا اللون من ألوان النشاط الإنساني .. ذلك أنه إذا كانت أكثر الآراء حداثة ، من تلك التي تتجه إلى تقييم الوسيلة الإعلامية ، إنما تنظر إليها ، وتضع في مقدمة معايير النجاح ، مقدار ما تحرزه من شحذ لعقول القراء أو المستمعين أو المشاهدين ، ودفعهم إلى التفكير المنظم في كل ما يعد لهم من أمور تتصل بالاجتماع البشري ، وتمتد إلى أعقد المشكلات العلمية ،

وإذا كانوا يؤكدون على هذا الرأي بقولهم .. إنه إذا كانت غاية ما تقدمه **الجامعات** هو الدعوة إلى التفكير المنظم الذي يمكن الإنسان من اتخاذ القرارات الجوهرية ، فإن على وسائل الإعلام ، بصفتها مدارس للشعوب ، أن تقوم بنفس العمل وبعودة إلى الإعلام الإسلامي ، منذ وضع القرآن الكريم أسسه وقواعده أو حدد طرقه وأساليبه ومفاهيمه أيضاً ، وهو قد أولى هذه المسألة جانباً كبيراً من رعايته ، وهناك عشرات من الآيات البينات التي تشير إلى ذلك ، ومنها على سبيل المثال لا الحصر :

- ﴿ قل انظروا ماذا في السموات والأرض وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾ .
- ﴿ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ .
- ﴿ والراسخون في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب ﴾ .
- ﴿ الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السموات والأرض ﴾ .

بل إن الدعوة إلى التفكير في القرآن الكريم ذاته ، يعلن مشروعيتها وأهميتها كلام الله في عدد من آياته البينات ، ومنها على سبيل المثال :

- ﴿ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها ﴾ .
- ﴿ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبروا آياته ﴾ .



وفي هذا المجال نفسه يقول **عباس محمود العقاد** : **« القرآن الكريم لا يذكر العقل إلا في مقام التعظيم والتنبيه إلى وجوب العمل به والرجوع إليه ، ولا تأتي الإشارة إليه عارضة ولا مقتضبة في سياق الآية ، بل هي تأتي في كل موضع من مواضعها مؤكدة جازمة باللفظ والدلالة »(١٧) .**

كانت هذه هي بعض صور جذور الاعلام الاسلامي ، تلك التي تسمو على أية صور إعلامية أخرى وتعلو فوق أشتات النظريات والمناهج والأنماط .. ويتبقى بعد ذلك ان يهتدي بها ، وأن يتخذ منها مثلا ، رجل الاعلام عامة ، والاعلام العربي خاصة ، ففيها معين لا ينضب ، ودروس حق وصدق لا تدانيها دورس أخرى ، وحل لكل ما يعاني منه إعلامنا اليوم .. ووضع أساس مستقبل إعلامي مشرق يخاطب القلب والعقل معا ، وينفذ إليهما في وضوح وقوة .

« ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحا وقال إنني من المسلمين » .

هوامش

(١) د . عبد اللطيف حمزة : « الاعلام له تاريخه ومذاهبه » ص :٢٣ .
(٢) د . إبراهيم إمام : « الاعلام والاتصال بالجماهير » ص : ١٢ ،ص : ١٣ .
(٣) د . ناصر الدين الأسد : « مصادر الشعر الجاهلي » ، ص : ١٩٤ .
(٤) توماس و . ارنولد : « الدعوة إلى الاسلام » ، الطبعة الثالثة ،ص : ٢٨
(٥) السيد سابق : « دعوة الاسلام » ، ص ٢٢٤ ، ٢٢٥ .
(٦) ناصر الدين الأسد : « مصادر الشعر الجاهلي » ، ص : ٩٣ .
(٧) د . عبد اللطيف حمزة : « الاعلام في صدر الاسلام » ، ص : ٣٨ .
(٨) السيد سابق : « دعوة الاسلام » ، ص : ٢٧٢ .
(٩) هناك هدف آخر أوجده عصر القلق وخوف الانسان من المجهول وتعقد الحياة ورغبة وسائل الاعلام في التخفيف عن القارىء ومساعدته في تحمل ما تسببه هذه كلها وهو الترفيه أو التسلية والامتاع ، كما أن هناك هدفا أخيرا وهو التسويق « الاعلان » وهو ذو صبغة مادية تجارية تماما .
(١٠) د . شوقي ضيف : « الفن ومذاهبه في النثر العربي » ، ص : ٩٧ .
(١١) د .حسين نصار « نشأة الكتابة الفنية في الأدب العربي » ، ص : ١٧٨ .
(١٢) د . عبد اللطيف حمزة : « الاعلام في صدر الاسلام » ، ص : ٢٠١ .
(١٣) سير توماس و . ارنولد ، ترجمة د حسن إبراهيم وآخرون : « الدعوة إلى الاسلام » ،ص : ٦٧ .
(١٤) المصدر السابق ،ص : ٧٠ .
(١٥) كانت الفسطاط عاصمة لمصر في ذلك العهد .
(١٦) عبد الرحمن عزام « الرسالة الخالدة » ، ص : ٣٠٨ .
(١٧) عباس محمود العقاد : « التفكير فريضة إسلامية » ، ص : ٥ .

نظرات في خريطة العالم الإسلامي

بقلم: د. يوسف أبو الحجاج

لا يملك الباحث في خريطة الاسلام إلا أن يشعر بأنه يتناول موضوعا من أجل موضوعات الجغرافية الحضارية. فمثل هذا البحث ينصب على خريطة دين تولدت عنه، وارتبطت به، حضارة لا شك في أنها أروع حضارة عرفتها البشرية، لا لأنها بلغت في انجازاتها المادية ما لم تبلغه حضارات أخرى، بل لأنها الحضارة الوحيدة التي صنعت، والتي يمكن أن تواصل صناعة الانسان السوي، والانسان الذي وضعت هذه الحضارة بين يديه طائفة متكاملة من المثل العليا، وتطلبت منه في الوقت نفسه ـ وكشرط لا مندوحة عنه لاكتمال تحضره ـ أن يتحرك وفقا لهذه المثل العليا، في علاقته بنفسه، وعلاقته بغيره من البشر، وعلاقته بربه في آن واحد. فالاسلام بلاغ للعقل كما هو بلاغ للضمير، وهو ـ في خاتمة أي تحليل لمبادئه ـ الدين الوحيد الذي يجمع بين السمو الفكري، والسمو الروحي، والتهذيب الاجتماعي، وينظر للحياة نظرة كاملة وشاملة، ولا يمكن إلا أن يفرز حضارة قوامها الانسان السوي، السعيد في قرارة نفسه والمسعد لغيره من إخوانه في الدين.

ولعلني وفقت في اختيار هذا العنوان المريح: «نظرات» في خريطة العالم الإسلامي. فنحن إزاء خريطة هائلة في مساحتها، حتى لو قصرنا تعريف العالم الاسلامي على أنه مجموع الوحدات السياسية التي يؤلف المسلمون أكثر من نصف سكانها باجماع التقديرات.

وبهذا التعريف، **نحن أمام عالم يمتد ٧٠ درجة عرضية و١٤٠ درجة طولية: من الفولجا في الشمال إلى زنجبار في الجنوب، ومن اندونيسيا في الشرق حتى السنغال في الغرب، عالم تزيد مساحته مثلا على مساحة كل القارة الافريقية، وتزيد على مساحة قارة أوروبا وأمريكا الجنوبية مجتمعتين، عالم يكاد مجموع سكانه يقترب من علامة الألف مليون.**

كان من حسن التوفيق إذن أن يكون العنوان «نظرات» في هذه الخريطة، وهو عنوان يحتمل أن تكون هذه النظرات كثيرة أو أن تكون قليلة، أن تكون عميقة أو محدودة العمق، أن تكون دقيقة كلَّ الدقة وأن تكون هذه النظرات اجتهادية، أن تشمل كل خريطة العالم الإسلامي أو أن تكون دون ذلك.

وفي ضوء ذلك أمكن أن أحدد إطارا لمقالي هذا من حيث المكان ومن حيث الموضوع، وأنا على قدر من الاطمئنان بأنني أتحرك في حدود العنوان.

انتشار الاسلام في افريقيا

من حيث المكان سوف أقصر البحث على **القارة الافريقية**، لا لضخامة عدد المسلمين النسبي فيها فالعدد قد لا يزيد كثيراً على ١٥٠ مليوناً، أي سدس مجموع المسلمين، ولكن لأن إفريقية هي المجال الأول لانتشار الإسلام في الوقت الحاضر، وفيها يزحف الدين الحنيف بمعدل يتفوق على زحف أي دين آخر على سطح الأرض. والإسلام فيها هو دين المستقبل بلا مراء.

من حيث الموضوع سوف أقصر نظراتي على كيفية انتشار الإسلام في هذه القارة، سعياً وراء البحث عن نمط هذا الانتشار، مع محاولة لتحليل القيمة الحقيقية للعوامل الجغرافية في رسم معالم هذا النمط. وهنا استأذن القارىء في أن أقفز إلى عدد من الملاحظات التي أرى أنها جديرة بالابراز في هذا المقام:

●● أول هذه الملاحظات أن الظروف الجغرافية لم تلعب في الحقيقة إلا دوراً ثانوياً للغاية في تحديد هذا النمط، وأن انتشار

الإسلام إنما تم في الأغلب الاعم رغم هذه الظروف الجغرافية .

●● الملاحظة الثانية : أن نشر الإسلام لم يكن حكراً للعرب بل أسهم في نشره أقوام أخرى .

●● الملاحظة الثالثة : أن الإسلام قد انتشر هنا ـ كما في سائر جهات العالم الإسلامي ـ بين شعوب شتى في سلالاتها ، وفي لغاتها ، وفي تقاليدها ، وفي عاداتها ، فضلاً عن معتقداتها .

●● والملاحظة الرابعة هي أن اعتناق الاسلام في إفريقيا جاء نتيجة للاقتناع بهذا الدين من أقوام لا تتصف بالبساطة أو البدائية كما يريد بعض المؤلفين أن نعتقد ، ولا تتصف كذلك بالانزواء والعزلة وقت اعتناقهم لهذا الدين ، ولم يكن إسلامهم إذن مجرد « انبهار » بشيء جديد ، وإنما جاء من أقوام كانت قد بلغت قدراً من التفهم وحسن الادراك ، واعتنقت الدين طواعية وباقتناع ، ونتيجة للمقارنة والموازنة بينه وبين غيره من المعتقدات .

ولأبدأ في ضوء ذلك بالحديث عن إفريقية الشمالية ، ثم عن إفريقية الغربية ، ثم عن إفريقية الشرقية .

في إفريقية الشمالية

كان فتح **مصر** في العام التاسع عشر من الهجرة فتحاً لقطر بعيد ، يمتاز بظروف جغرافية تختلف اختلافاً جذرياً عن ظروف مهد الإسلام . ففيها التقى المجاهدون المسلمون بسهل فيضي فسيح يخطه نهر هائل ويزخر بقنوات الري ، ويمتاز بنمط اقتصادي مختلف ، ومركب محصولي مختلف ، ويصطنع أهله عقيدة مختلفة ، وعادات وتقاليد مختلفة ، ولغة مختلفة . ومن الصحيح أن البيئة المصرية كانت أقل صعوبة في ظروفها الجغرافية الجديدة على الفاتحين منها في **جبال الشام أو جبال إيران وأفغانستان** أو حتى من **السهل العراقي** بأهواره ومستنقعاته ، ولكنها كانت من الصعوبة بمكان ، فضلاً عن أنها امتازت بكثافة سكانية أكبر ، وبأن سكانها كانوا قوماً لهم خلفية حضارية بعيدة الجذور ، وكان لهم بحكم ظروف بيئتهم وبحكم موقع بلادهم الجغرافي اتصالاتهم الوثيقة بالعالم الخارجي ، وكان لهم دين سماوي ، كما كانوا قد عرفوا غيره من المعتقدات .

ومع ذلك فما أيسر ما وصل جيش **عمرو بن العاص** إلى رأس الدلتا ، ومنها إلى **الاسكندرية** ، حتى اضطر **الروم** الى التسليم في عام ٢٠ للهجرة . واكتمل بذلك فتح ثلاثة أقطار كبيرة ، **الشام والعراق ومصر** ، تختلف كلها عن الصحراء العربية في معظم ظروفها الجغرافية ، في مثل هذا الوقت القصير .

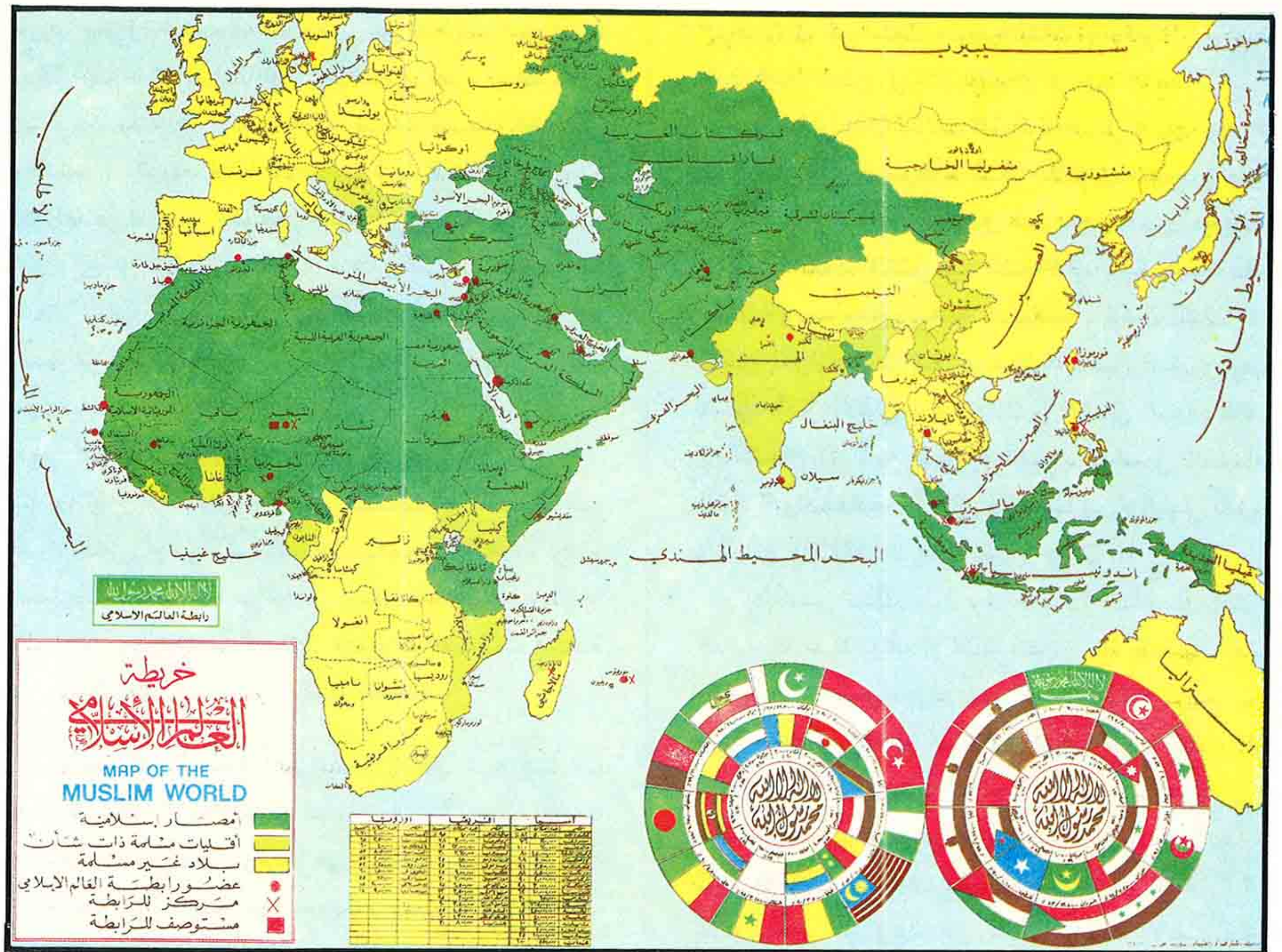
وما لبثت معجزة الاسلام أن تحققت حين انتشر ، وئيدا ولكن أكيدا ، وانتشرت معه لغة القرآن بين المصريين ، دون اكراه أو قسر ، وفي ظل تفهم وحسن ادراك لفضائل الدين الجديد ، وبعد الموازنة المتاحة بينه وبين غيره من المعتقدات .

وفي مدى نحو نصف قرن فقط بعد فتح مصر ، حقق حملة الدين الحنيف معجزة أخرى ، فتمكنوا من فتح ما يعرف **بليبيا والجزائر والمغرب** . وتلك أقطار فسيحة ، وتبعد آلاف الكيلومترات عن مهد الإسلام ، وهي فوق ذلك مناطق شديدة الوعورة ، ففيها جبال **أطلس** بأقسامها العديدة ، ومسالكها الوعرة ، وبأوديتها العميقة المنحشرة وسط الجبال والتي كان يعتصم بها البربر المعروفون بصعوبة مراسهم ، والذين كانوا يتملكون القدرة على الكر والفر ، وعلى خداع المغير ، والايقاع به بين خوانقهم العميقة الملتوية ، وقمم جبالهم الشامخة .

وقد أفلح المسلمون في الانتصار عليهم رغم هذه الظروف القاسية ، ورغم الأحوال المناخية المختلفة عما ألفوه من قبل . **وما لبث الاسلام هنا أيضا أن عم ضياؤه سكان الاقليم ، وقامت بذلك الدولة العربية الاسلامية ، وفي ذلك يقول أحد المؤرخين الأوروبيين :**

« الحق أن تأثير الأقدمين كان قاصراً على النطاق الساحلي الخصيب ، ولم يتجاوز هذا التأثير اعتناق أهل هذا النطاق وحده للمسيحية أمام الرومان والبيزنطيين . **أما صبغ جموع البربر بصبغة عربية وتحويلهم إلى دين الإسلام ، وتجنيد جند منهم يتسابقون في مضمار الفتوح فتلك معجزة الإسلام التي مكنت له من إنشاء وطن جديد استعان به في ارتقاء سلم الزعامة الإسلامية » .**

وهكذا ، وفي أقل من قرن من الزمان ، كان المسلمون قد بسطوا سلطانهم على كل أنحاء العالم العربي من الخليج إلى المحيط ، وكان دخول الإسلام والتعريب أمراً محتوماً في خاتمة المطاف . ففي مدى ثلاثة قرون من الهجرة تحول إلى الإسلام أهل العراق والشام ومصر ، وفي غضون القرن العاشر الميلادي كان الإسلام قد غطى كل إفريقيا الشمالية ، كما أنه شمل كل السودان الشمالي في غضون العصور الوسطى ، إلا من جيوب صغيرة صمدت طويلاً أو تأخر إسلامها بعض الشيء مثل **النوبة** التي تأخر إسلامها حتى القرن الرابع عشر الميلادي ، ومثل **واحة الكفرة** التي تأخر إسلامها حتى القرن الماضي .



ومن الطبيعي أن يؤكد « الحتميون » على انتشار الإسلام في الصحراء الكبرى بمساحتها الهائلة كمثل لدور الظروف الجغرافية في رسم خريطة الإسلام . فها هنا بيئة مشابهة لبيئة الصحراء العربية ، ولا عجب في زعمهم في أن يكون انتشار هذا الدين فيها ميسوراً وشاملاً لكل أجزائها . وينطوي هذا الزعم على اغفال حقيقة مهمة ، هي أن نشر الدين الحنيف هنا لم يكن حكراً للدعاة العرب . **ومن الصحيح أن العرب لعبوا دورهم في هذا المضمار ، ولكن دور البربر في ذلك كان لا يقل شأناً ، إن لم يكن هو الدور الأول** . والبربر أهل جبال في المقام الأول ، ينتمون إلى بيئة تختلف سطحاً ومناخاً ونباتاً عن بيئة الصحراء العربية . وفي الوقت نفسه فإن الدعوى القائلة بأن الإسلام وجد هنا طائفة من القبائل البسيطة في مستواها الحضاري والتي كان من السهل لذلك أن « تنبهر » بهذا الدين الجديد ، قول لا يستند إلى أساس سليم . فالواقع أنه ما إن دخلت الإبل الصحراء الكبرى في القرن الخامس الميلادي أو قبله ، حتى انتشرت فيها طرق القوافل بين الشمال والجنوب أي بين إقليم البحر المتوسط وإفريقية الغربية ، وكان أهل الصحراء الكبرى كالطوارق وغيرهم ، وسطاء هذا الاتصال ، مما أتاح لهم الاحتكاك بالمناطق الحضارية وخاصة في إفريقية الشمالية ، كما أكسبهم بلا شك سعة في الأفق باعدت بينهم وبين هذه « البساطة » المزعومة ، وأتاحت لهم فهم مزايا هذا الدين الجديد ، فاقتنعوا به كل الاقتناع ، وأسهموا في اذاعته في محيطهم وفي ما جاورهم من أقطار في الجنوب ، وكانوا ولا يزالون من أشد المسلمين حماساً لعقيدتهم السمحاء .

في إفريقية الغربية

لا شك أن زحف الإسلام إلى إفريقية الغربية (بين القرنين الحادي عشر والخامس عشر الميلاديين بوجه خاص) يقدم برهاناً من أسطع البراهين على فساد دعوى أصحاب الحتمية الجغرافية في تحليلهم لخريطة الإسلام . فها هنا ، في ما يسميه الجغرافيون **إقليم السفانا** حيث يعيش أغلب مسلمي إفريقية الغربية ،

ظروف جغرافية تختلف اختلافاً جذرياً عن الظروف التي تسود معظم أنحاء العالم العربي. فهذا إقليم مداري ممطر، يسقط مطره في الصيف ويمتنع في الشتاء، وحياته النباتية تسودها الحشائش والأشجار، وظروفه المختلفة تساعد على تربية الأبقار لا الإبل، والزراعة فيه تقوم على هذا المطر الصيفي أو على مياه ما به من أنهار، ويتجلى فيها مركب محصولي خاص يتألف من طائفة من الغلال المدارية، وبين حشائش الاقليم وأشجاره تعيش مجموعة خاصة من الحيوان والطير. وعلى الجملة فنحن هنا إزاء بيئة طبيعية تختلف كل الاختلاف عن بيئة الصحراء أو بيئة إقليم البحر المتوسط في الشمال.

ولا تقل البيئة البشرية اختلافاً، فالسكان في معظمهم من السود الخلص أو من السود المختلطين بالعناصر الحامية، وهم يتحدثون مئات اللغات التي تنتمي لعائلة اللغات السودانية، وكان لهم، حين جاءهم الإسلام، العديد من المعتقدات المختلفة التي يرتبط الكثير منها بظروف البيئة الطبيعية.

ورغم ذلك فإن سكان إقليم السفانا ونطاق شبه السافانا المجاور قد تقبلوا الإسلام بحماس شديد، وهم اليوم من أشد المسلمين غيرة على الدين وحرصاً على عباداته. ويتجلى ذلك مثلاً في اهتمامهم بأداء فريضة الحج، ومنهم من يسيرون على أقدامهم مئات الكيلومترات شرقاً إلى الأراضي المقدسة، مبتدئين رحلتهم قبل موسم الحج بعدة شهور. **ويلمس كل من أتيحت له فرصة الحج إلى بيت الله الحرام مقدار الايمان العميق الذي يتصف به مسلمو إفريقية الغربية سواء كانوا من أهل نيجيريا أو السنغال أو سيراليون أو غانا أو تشاد أو غيرها من أقطار هذا النطاق الافريقي الفسيح.**

وقد دخل الإسلام هذا الإقليم قادماً من إفريقية الشمالية على أيدي البربر بوجه خاص، وقد شاركهم في ذلك بعض العرب الذين لا يزال أحفادهم يعيشون في بعض أقطار إفريقية الغربية حتى اليوم، مثل أولاد سليمان وقبائل «**شوا**» في تشاد. ولكن نسبة العرب إلى مجموع السكان تظل مع ذلك نسبة صغيرة. والبربر وسكان السفانا أنفسهم سواء كانوا من **قبائل الفولبة أو قبائل الحوصة** هم باجماع الآراء أصحاب الفضل الأول في نشر الدين الحنيف في هذا الجناح الغربي للعالم الإسلامي. كما ينبغي أن نذكر أن نشأة المرابطين كانت أصلاً في هذا الإقليم، حين اتخذ **عبد الله بن يس**، وهو من البربر، خلوة له أو رباطاً في جزيرة في نهر السنغال، ووضع بذلك نواة **دولة المرابطين** ذات الدور المعلوم في نشر الإسلام في هذه الاصقاع.

لا أساس إذن لذلك الربط «الحتمي» بين جغرافية مهد الاسلام وجغرافية هذا الاقليم المداري المطير الذي يقدر مجموع المسلمين فيه بنحو خمسين مليوناً أو يزيدون. فقد انتشر فيه الاسلام تدريجيا بقوة دفعه الذاتية، وبروعة مبادئه السامية، وكان انتشاره في المقام الأول بفضل معتنقيه الجدد من البربر ومن السود أهل الاقليم، وعلى نفس النسق الذي انتقل به الاسلام إلى شبه جزيرة الهند بفضل العناصر التركية والأفغانية، أو إلى بلاد ما وراء النهر بفضل الفرس والأفغان، على سبيل المثال.

ولا أساس كذلك للقول بأن الإسلام صادف في إفريقية الغربية بيئة بشرية بدائية أو شبه بدائية كان طابعها العزلة والتخلف، مما جعل دخولهم الدين مجرد «انبهار» سريع بوافد حضاري جديد. فالواقع أن سكان إفريقية الغربية كانوا قد تجاوزوا هذا المستوى البدائي المزعوم، وكانت لهم ممالك ونظم حكم متقدمة بمقياس العصر. ومن الممالك التي ترجع إلى ما قبل العهد الإسلامي نذكر مثلا **مملكة «الماندنجو» الكبيرة** التي كانت تمتد من **سيراليون** نحو الشرق، ومملكة «**السونغاي**» أول من أسلم من أهل الإقليم.

ولم يكن سكان الإقليم في عزلة عن العالم، لا يدرون من أمر الدنيا حولهم شيئاً. فقد كانت لهم صلاتهم التجارية بإقليم البحر المتوسط وما وراءه منذ وقت بعيد بفضل طرق القوافل عبر الصحراء الكبرى، وأتيح لهم بذلك العلم بمناطق الحضارة في الشمال، كما أن الحاميين كانوا قد اختلطوا بهم اختلاطاً وثيقاً قبل العهد الإسلامي بوقت طويل، مما أسفر عن نشوء الشعوب التي تختلط فيها الدماء الحامية والزنجية والتي تمثل اليوم مظهراً من مظاهر الخريطة الإسلامية للإقليم.

والاسلام إذن قد وجد حين وصل إفريقية الغربية أقواما على درجة عالية من التفهم وحسن الادراك، وأدركوا ما يكفله لهم الاسلام من سمو روحي، وانطلاق حضاري، فدخلوا في دين الله أفواجا.

وبالحكم والموعظة الحسنة كان اعتناق الدين، في إفريقية الغربية كما في سائر الأقطار التي تؤلف خريطة الإسلام. فقد أسهم الناس بعد أن خالطوا من سبقهم للإسلام من مرابطين،

وتجار من الحوصة كانت رحلاتهم تمتد عبر الاقليم بل وتصل إلى مصر ، أو تجار من العرب مثل عرب « **التنجار** » الذين قدموا من **جنوب تونس** ، وذلك فضلاً عن جهود العديد من **الأتقياء الصالحين** ممن وهبوا حياتهم للدعوة كأفراد ، وحققوا بالقدوة الحسنة أضعاف ما حققه المبشرون المسيحيون كما شهد بذلك الكثير من الكتاب الأوروبيين . وفي هذا المعنى يقول الأستاذ « **هستون سمث** » صاحب كتاب « **ديانات الانسان** » :

« **إن الاسلام في الحاضر ـ كما في الماضي ـ أسرع الأديان إلى كسب الاتباع المصدقين ، وإنه على الرغم من قلة دعاته وكثرة الدعاة إلى المذاهب المسيحية فإن نسبة من يعتنقونه من الافريقيين كنسبة عشرة الى واحد ممن يتحولون عن معتقداتهم الوثنية** » . كما أن الأستاذ « **ديفيد صوفر** » يبرز في كتابه « **جغرافية الأديان** » كيف أن انتشار الإسلام كان في المقام الأول وليد الأتصال العادي المباشر بين المسلمين والوثنيين ، وثمرة لجهود فردية قوامها القدوة الحسنة ومحاولة الاقناع ، دون قسر أو اكراه ، ودون استناد إلى تنظيم تبشير كالذي عرفته المسيحية في هذا المجال .

ولا يزال زحف الإسلام في إفريقية الغربية مستمراً حتى وقتنا الحاضر ، نحو سائر السفانا ونحو الجهات الاستوائية في الإقليم ، وذلك رغم العقبات التي خلفها الاستعمار والتي تفرضها الاعتبارات السياسية المحلية . بل إنه يمكن القول إن خريطة الإسلام تشهد هنا توسعاً يفوق توسعها في أي من تخوم الإسلام الأخرى .

في إفريقية الشرقية

نلتقي بالإسلام هنا في **الحبشة والصومال وجزيرة زنزبار** ، وإلى الجنوب من ذلك في **ساحل الزنج** حتى **ناتال** ، كما نلتقي في الداخل في كل من **كينيا وتنجانيقا واوغندة** ، بالاضافة إلى ظهوره في **ملجاش (مدغشقر) وأرخبيلها** .

وتلك منطقة واسعة تتعدد فيها الأقاليم الجغرافية . ويمكن القول إنها تضم أربعة من هذه الأقاليم تتباين فيها الظروف الطبيعية . فمرتفعات الحبشة في إثيوبيا وجنوب إرتريا منطقة موسمية يهطل مطرها في الصيف ، وتعتدل فيها الحرارة وإن تفاوتت بتفاوت الارتفاع ، وهي في جملتها بلاد وعرة التضاريس ، وتطل على سواحل البحر الأحمر بحائط جبلي شديد الانحدار عظيم الارتفاع .

والصومال ـ ومعه شمال إرتريا والسواحل الشرقية لاثيوبيا ـ بلاد صحراوية أو شبه صحراوية تظهر فيها الخصائص الرئيسية المعروفة في مثل هذا الإقليم .

وفي جزيرة زنزبار والساحل المجاور وامتداده جنوباً في موزمبيق وناتال ، وفي أجزاء من مدغشقر ، تسود ظروف إقليم مداري غزير المطر عرف بغاباته الساحلية (**المانجروف**) وبما ينتجه من السيسل وجوز الهند والقرنفل .

وأخيراً فإن ظروف السفانا التي رأيناها في إفريقية الغربية تتجلى هنا أيضاً في معظم أنحاء كينيا وتنجانيقا وأوغندة ، بما هو معروف عنها من مطر صيفي ، ومركب نباتي طبيعي يجمع بين الحشائش والأشجار ، ورعي للبقر هنا ، وزراعة للحاصلات المدارية هناك ، وإن كانت الحرارة أكثر اعتدالا منها في سفانا إفريقية الغربية بحكم الارتفاع .

وقد دخل الإسلام كل هذه الأقاليم وإن يكن ذلك بدرجات متفاوتة . **وإذا صح تقدير جملة المسلمين في إفريقية الشرقية بعشرين مليون نسمة ، فان نحو نصف هذا المجموع يعيشون في إثيوبيا ، بينما يتوزع الباقون على سائر الأقطار** ، وبغض النظر عما لاحظناه من تباين في ظروفها الجغرافية .

ولا بد أن يخلص الباحث هنا إلى نفس النتيجة التي خلصنا إليها في معرض الحديث عن إفريقية الشمالية وإفريقية الغربية ، ألا وهي **أن المد الإسلامي لم يقف في سبيله حائل جغرافي من مناخ أو تضاريس أو نبات طبيعي ، فضلا عن أنه امتد إلى شعوب شتى في سلالاتها ولغاتها وعاداتها وتقاليدها ابتداء من زنوج « البانتو » وانتهاء بالحاميين وأنصاف الحاميين** .

وكما هو الحال في إفريقية الغربية ـ وفي سائر العالم الإسلامي في الحقيقة ـ لم يكن انتشار الإسلام هنا بناء على سيطرة عسكرية أو رهبة سياسية . . ومن الصحيح أن العرب حكموا زنزبار والساحل المواجه ، ولكنه من الصحيح أيضاً أن حكمهم لم يمتد إلى الصومال ، ولم يمتد إلى الحبشة التي رأينا أنها تضم أكبر نسبة من المسلمين في إفريقية الشرقية ، كما أنه لم يمتد الى الأصقاع الداخلية في كينيا وتنجانيقا وأوغندة . إنما انتشر الدين الحنيف هنا في ظل اتصال سلمي سلس ثم عن طريق التجار وغير التجار من العناصر العربية التي استقرت في الإقليم ، أو عن طريق المسلمين الجدد من أهل البلاد أنفسهم . ومما يجدر ذكره في هذا المقام أن العرب كانوا ولا يزالون أقلية في الإقليم ، وحتى في جزيرة زنزبار

التي تعتبر المركز الرئيسي للأثر العربي في إفريقية الشرقية لا تزيد نسبة العرب على نحو ٢٠ ٪ من مجموع السكان . كما ينبغي أن نذكر الدور الذي لعبه في العصر الحديث مسلمو الهند والباكستان والمسلمون الذين قدموا من منطقة شيراز في إيران . **وفي ذلك شهادة ناطقة بأن العامل الأصيل في نمط انتشار الإسلام هنا وفي كل مكان آخر إنما هو مبادىء الدين السامية وتعاليمه المقنعة ، أياً كان الشعب الذي حملها إلى الوثنيين .**

ذلك هو صميم الموضوع في خاتمة أي تحليل . فمن المعروف أن العرب قد اتصلوا بإفريقية الشرقية واستقروا في أجزاء منها قبل ظهور الإسلام ، ومع ذلك فلم يعرف عن أهل الإقليم أنهم أخذوا منهم أياً من معتقداتهم الجاهلية ، كما أن المسيحية التي أتت من مصر في القرن الرابع الميلادي لم تتجاوز الهضبة الحبشية إلى سائر بقاع الاقليم ، حتى بعد أن اشتد فيها نشاط المبشرين المسيحيين .

لا عجب إذن في أن يستجيب أهل إفريقية الشرقية إلى دعوة الإسلام . بل إن لنا أن نعجب في الحقيقة من أن جملة المسلمين بينهم لا تزيد على نحو عشرين مليوناً أو نحو خمس مجموع السكان ، وأن المسلمين لا يؤلفون غالبية السكان إلا في الصومال وزنجبار . ولا يمكن أن يلتمس التفسير في ظروف جغرافية ، فنحن إزاء اقليم قريب في موقعه من شبه الجزيرة العربية لا يفصله عنها إلا مضيق صغير ، هو باب المندب الذي كان عبوره ميسوراً منذ عهد بعيد ، وشتان بين هذا الموقع وبين موقع إندونيسيا أو باكستان أو السنغال ، وهي أقطار تبعد عن مهد الإسلام آلاف الكيلومترات وأصبح الإسلام مع ذلك دين الغالبية الساحقة من سكانها .

ولعل بعض السبب في هذه الظاهرة الملفتة للنظر هو أن المسيحية كانت قد وصلت إلى شرق إفريقية قبل ظهور الإسلام بوقت غير قصير ، واعتصمت الحبشة التي أبدى حكامها مقاومة شديدة والكثير من الجهالة والتعصب في سبيل وصول الدعوة الإسلامية . ولكن السبب الأهم فيما نرى إنما يرتبط بتاريخ الاستعمار الأوروبي كما يرتبط بشكل هذا الاستعمار في الإقليم . فما ينبغي أن ننسى أن البرتغاليين وصلوا إلى شرق إفريقية في أوائل القرن السادس عشر للميلاد . وكان البرتغاليون من غلاة المتعصبين ، وعلى أيديهم لقي المسلمون ألواناً من التعسف والاضطهاد ، مما اضطر الكثير من العرب إلى الاتجاه نحو الداخل حاملين أمتعتهم ، وانتهى نضال المستعمرات العربية الذي دام أكثر من قرن ونصف قرن بانتصار البرتغاليين بفضل سيادتهم البحرية حينذاك .

وقد تمكن سلطان مسقط بعد نحو قرنين من الزمان (١٧٣٠ م و ١٧٤٠ م) من أن ينتزع جزيرة زنزبار والساحل المواجه لها وما يليها جنوباً . ولكن الاستعمار الأوروبي ما لبث أن عاد من جديد في القرنين التاسع عشر والعشرين حين وفد على الإقليم جحافل **الانجليز والفرنسيين والألمان والايطاليين . وعلى عكس الحال في إفريقية الغربية كان الاستعمار هنا من النوع الاستيطاني في كل من كينيا وتنجانيقا وملاوي ، كما كان كذلك في زامبيا وروديسيا . وقد استخدم هؤلاء المستوطنون الأوروبيون مختلف الوسائل لاعاقة انتشار الإسلام ، ولتشجيع المبشرين المسيحيين . وهكذا أوقف المد الاسلامي الزاحف ، وإن يكن من الصحيح أيضاً أن اشتغال بعض المسلمين الذين أعماهم الجشع بتجارة الرقيق كان من بين العوامل المؤثرة في هذا المضمار .**

والآن وقد انحسر الاستعمار الأوروبي من إفريقية الشرقية أو كاد ، فقد آن الأوان لأن تتكاتف جهود الدعاة المسلمين في سبيل نشر الدين الحنيف في هذا الإقليم الفسيح الذي تغلب فيه الوثنية ، وتتطلع إليه المنظمات التبشرية .

﴿ ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون ﴾

من مصادر البحث

١ ـ ابن بطوطة الطنجي (تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار) القاهرة ١٩٢٨ .

٢ ـ جمال حمدان (العالم الاسلامي المعاصر) القاهرة ١٩٧١ .

٣ ـ حسن إبراهيم حسن (انتشار الاسلام والعروبة فيما دون الصحراء الكبرى) القاهرة ١٩٥٧ .

٤ ـ حسن أحمد محمود (قيام دولة المرابطين) القاهرة ١٩٥٧ .

٥ ـ عباس محمود العقاد (الاسلام دعوة عالمية) كتاب الهلال ، العدد ٢٣٧ ، القاهرة ١٩٧٠ .

٦ ـ محمد أحمد حسونة (أثر العوامل الجغرافية في الفتوح الاسلامية) القاهرة ١٩٦٠ .

٧ ـ يوسف أبو الحجاج (العالم الاسلامي في دنيا المواصلات العالمية وفي محيط السياسة الدولية) ، مجلة معهد الدراسات الاسلامية ، العدد الأول ، القاهرة ١٩٥٨ ، ص ١٠٢ ـ ١٢٥ .

٨ ـ يوسف أبو الحجاج (العالم الاسلامي : مكانته في الاقتصاد العالمي وارتباطها بالاطماع الاستعمارية) حوليات كلية الآداب بجامعة عين شمس ، المجلد الخامس ، ١٩٥٩ ، ص ٥٩ ـ ١١٧ .

٩ ـ David Sopher, Geography of Religions, Prentice-Hall, 1967.

١٠ ـ Defontaines, P., Géographie et Religion, Paris, 1948.

١١ ـ Fernau, W., Moslems on the March, London, 1955.

١٢ ـ Huston Smith, The Religion of Man.

١٣ ـ Meek, C.K., The Northern Tribes of Nigeria, London, 1925.

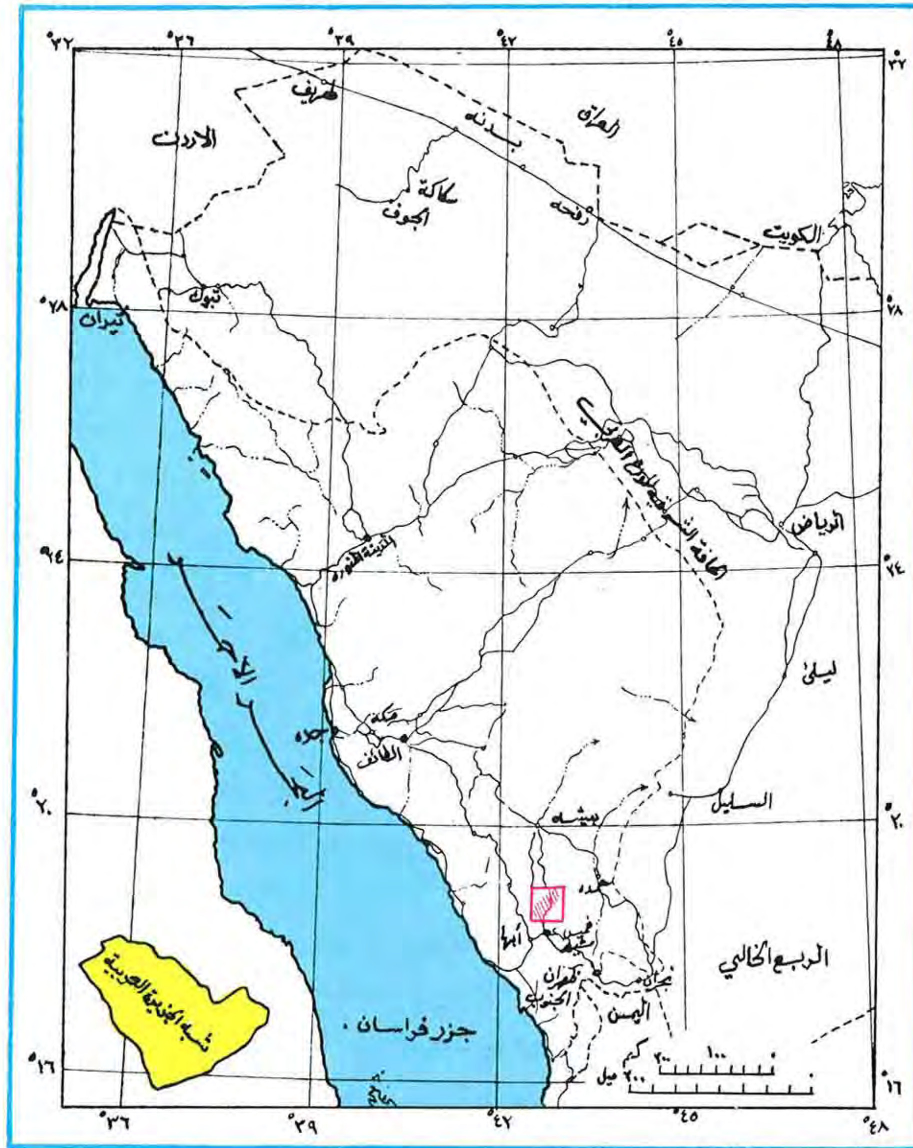
١٤ ـ Pierre Rondot, L'Islam et les musulmans d'aujourd'hui, Paris, 1960.

١٥ ـ Thomas Arnold, The Preaching of Islam, London, 1935.

١٦ ـ Trimingham, S., Influence of Islam upon Africa, London 1968.

رحلة علمية في...... بلاد خيبر الجنوب

بقلم: د. أحمد عبد القادر المهندس



خريطة توضيحية لموقع بلاد خيبر الجنوب بالنسبة للمملكة العربية السعودية وشبه الجزيرة العربية

(أ) مقدمة

كثير من الناس يجهلون بأن هناك قرية تسمى خيبر في جنوبي المملكة العربية السعودية في إقليم عسير إلى الشمال الشرقي من مدينة أبها عاصمة إقليم عسير، تبعد حوالي (١١٥ كيلومترا). كما أنها تبعد عن خميس مشيط بحوالي (٨٠) كيلومترا، وقرية خيبر الجنوب أكبر من خيبر المشهورة بوقعتها التاريخية في صدر الاسلام والتي تقع إلى الشمال الشرقي من المدينة المنورة، وهي أعدل هواء وأعذب ماء.

ومعظم أهل منطقة خيبر من **قبيلة شهران**، من فرعين هما **كرد وبني واهب**، ويشكل هذان الفرعان عدة قرى ممتدة على طرفي **وادي خيبر والشيق والمسيرق**. وتسمى البيوت في منطقة خيبر بالقصور وهي مبنية باللبن، وهي كأحراس واسعة في أحد اطرافها البيت الذي يشبه البرج وتطلى البيوت من الداخل بالجير وتصبح ذات لون مريح للنظر مثير للتأمل. ويتألف البيت في الغالب من طابقين، يستعمل الأدنى أيام الأمطار في فصل الشتاء، ويضم المواشي من بقر وماعز وأغنام، ويستعمل الأعلى في فصل الصيف لخزن المؤن، ولكن الغرض الرئيسي الذي كان يستخدم من أجله هو الغرض الحربي

لمراقبة العدو ومقاومته . أما **القرى الموجودة في منطقة خيبر فهي كالتالي :**

(١) **رغوة :** وتقع في أعلى وادي خيبر وأكثرها مزارع للحبوب ، وفيها قليل من النخيل ، وأهلها أكثرهم من كرد من شهران .

(٢) **البردان :** وأهلها من الصوح من شهران .

(٣) **العمار :** وأهلها من الصوح أيضاً .

(٤) **خيبر :** وهي لآل خزام من بني واهب .

(٥) وامسط .

(٦) الحامض .

(٧) القفاص .

(٨) المباريس .

(٩) الحنفة .

(١٠) القرز .

(١١) البغاث .

(١٢) الحرفين : وتقع إلى الشمال من خيبر .

والزراعة في جميع هذه القرى هي البر والشعير والذرة والنخيل .

(ب) سهولة الوصول إلى منطقة الدراسة

يمكن الوصول إلى منطقة الدراسة والتوغل في وديانها وجبالها بواسطة السيارات المرتفعة القوية مثل الجيوب وغيرها ، ولكن الجزء الشمالي الغربي من المنطقة يعتبر من الأماكن الوعرة جداً .

(ج) الزراعة والآبار في المنطقة

توجد آبار كثيرة في بطون الوديان مع ملاحظة ان الآبار المحفورة في **الأماكن الجنوبية** من المنطقة تعتبر أقل حلاوة من الآبار التي توجد في **الأماكن الشمالية** ، وبالتالي فإن **نسبة الملوحة في الآبار الجنوبية تكون أكثر من الموجودة في الآبار الشمالية .**

ويعتمد السكان وهم قليلون نسبياً على **الزراعة** كعامل أساسي لحياتهم ، كما أن **رعي الأغنام والمواشي** في المنطقة يعتمد اعتماداً أساسياً على كمية المطر الذي يسقط عادة في فصلي **الصيف والشتاء** ولا سيا في الفترة الواقعة بعد الظهر وأحياناً في فترة المساء ، ولا يمكنني هنا والمجال ضيق أن أذكر مشاكل الزراعة هناك وأنواع المزروعات والنباتات البرية التي تحفل بها المنطقة .

(د) طبوغرافية المنطقة

والمنطقة عبارة عن سهل منبسط تتشكل في أحشائه الوديان والشعاب وتحيط به الجبال القليلة الارتفاع نسبياً على شكل سلاسل جبال قاتمة اللون بالاضافة إلى حدوات ومعقدات صخرية ذات تركيب جرانيتي وكذلك صخور متحركة مختلفة الأنواع .

(هـ) المناخ والنباتات والحيوانات في المنطقة

والمناخ في منطقة خيبر الجنوب يخضع لمناخ المملكة العربية السعودية عموماً من **حرارة في الصيف متطرفة أحيانا إلى برودة شديدة في الشتاء** ، بيد أن وجود المنطقة ضمن مرتفعات **جبال عسير** يعطيها امتيازات مناخية طيبة ، **والحقيقة أن الجو في منطقة خيبر هو وسط بين جو أبها الرائع وجو بيشة الحار صيفاً والبارد شتاء** ، ويميل الجو في منطقة خيبر إلى الدفء **صيفا** ، وإلى الاعتدال **شتاء** ، أما في فصلي **الربيع والخريف** فهو جو غاية في الروعة والاعتدال .

وتوجد كثير من **النباتات البرية** التي حاولت التعرف عليها واحصائها بمساعدة أحد الأهالي في تلك المنطقة ، أما **النخيل** فإنه يشكل طابعاً نباتياً مميزاً لهذه المنطقة من جنوب المملكة العربية السعودية . أما **الحيوانات البرية** فهي **الذئاب والضباع والقرود والأرانب** ، بالاضافة إلى بعض **الطيور** المختلفة وبعض **الزواحف والحشرات .**

الجيولوجيا الاقليمية

تمثل منطقة خيبر الجنوب الجزء الشمالي لجبال عسير العالية الشموخ والتي يميل سطحها بلطف إلى الناحية الشمالية بعيداً عن منخفض **البحر الأحمر** . ويلاحظ أن معظم الصخور في هذه المنطقة تتبع للدهر **القبل كمبري** من حيث تقسيمات **الأعمار الجيولوجية** ، كما أن هذه المنطقة تمثل الجزء العميق للدرع الغربي ، وتنقسم **صخورها** إلى وحدتين متميزتين كما يلي :

(١) معقد القاع لجبال عسير .

(٢) الصخور المتحركة الأحدث عمراً والتي يمكن أن تكون مساوية في العمر لمجموعات حلي وبيش أو الباحة (انظر شميدت وزملاءه ١٩٧٢) .

ويتكون **معقد القاع** من صخور **الاورثونيس ، والبارانيس وميجماتيت وامفيبولايت** بالإضافة إلى **الرخام** . ويمكن أن يشار الى هذه الصخور **بنيس خميس مشيط** (Khemis Mushait geneiss) .

ويعتقد بأن هذه الصخور قد انطوت بلدونة ، وهي تمثل تاريخاً معقداً لعملية التحول والتطور البلوتوني ، وفوق هذه الصخور القديمة ترتكز سلسلة كثيفة من الصخور القاعدية أيضاً البركانية والرسوبية المتحركة والمنطبقة كما ترتكز على الصخور المتحركة الأحدث عمراً . ويفصل بين هذه السلسلة من الصخور والصخور التي تسفلها سطح من عدم التوافق الواضح .

ولقد رافق التحول الإقليمي تحرك لمعقد القاع الذي سبب طياً في جانب واحد في كلا الرحتين من الصخور السفلى وما فوقها . وفي نفس الوقت ، غزت الأجسام الجرانيتية والقبب النيسية المترافقة زمنياً التراكيب الأحدث عمراً ، وفي هذه التراكيب الآنفة تطور صخر الامفيبولايت العالي الرتبة بقرب التماس مع معقد القاع . ولقد نتج من هذا احداث محور طي ذو اتجاه شمالي ـ جنوبي في كلا الوحدتين الصخرية والذي أعطى طية محدبة إقليمية ذات اتجاه جنوبي ، وتحتضن هذه الطية في أعماقها الصخور القاعدية .

بعد عملية الطي السابقة ، حدث غزو من الصخور القاعدية مثل صخور الجابرو للطيات المقعرة .

هذا وقد قطعت **صخور بني ثور** البلوتونية الكبيرة الأحدث عمراً الاتجاهات التركيبية الشمالية الجنوبية الأقدم عمراً . وتتكون صخور بني ثور من المونزدنيت الكوارتزي الخشن الحبيبات ، ويلاحظ بأن الأجسام الملتحمة والمفردة الموجودة داخل صخور بني ثور البلوتونية عبارة عن أجسام دائرية ويمكن أن تمثل معقدات حلقية .

ويلاحظ بأن الرفع الواضح للدرع الغربي بالإضافة إلى التعرية الشديدة قد أزالت كل بقايا الوحدات المتطبقة للدهر قبل الكامبري المتأخر . والواقع ان عدم وجود أي أثر تكوني قوي بعد تطور المونزدنيت الكوارتزي والجابرو المتطبق يدل على أن منطقة خيبر الجنوب كانت جزءاً من درع ثابت منذ ذلك الزمن السحيق .

ويعتقد بأن وجود الحدد القاطعة والأعناق من صخور البازلت والانديزيت بالإضافة إلى صخور الريولايت البورفيري متصل بالتصدع ذو الاتجاه الشرقي الغربي في المنطقة .

والحقيقة أن هذه المظاهر الجيولوجية الضعيفة نسبيا قد نتجت حتما عن الكسر اللدن الواسع المدى والذي أحدث الانخساف الذي يشغله البحر الأحمر بالاضافة الى الارتفاع الجانبي الذي كون جبال عسير .

الجيولوجيا المحلية

ويقصد بالجيولوجيا المحلية هنا المناطق التي ركزت عليها للدراسة التفصيلية ، وتشمل هنا جبل شاع ذو التركيب الجابردي ومعدن البيريل الموجود في صخر المجهاتيت الموجود داخل معقد بني ثور . ويوجد جبل **شاع أو شايع** (Jabal Shayi) جنوب قرية خيبر عند خط عرض ١٨° ٤٥ شمالا وخط طول ٥٣° ٤٢ شرقاً . وجبل شاع ذو شكل بيضاوي ، ولقد ساعدت التعرية المتفارقة لطبقات الجبل على تكوين طبقات صلبة مقاومة على شكل دوائر بينما الطبقات الأقل صلابة تآكلت وشكلت منخفضات واضحة كما يبدو في الصورة الجوية المنشورة (**انظر الصور الجوية**) وتبلغ **مساحة جبل شاع** حوالي ١١,٥٠ كيلومترا مربعاً وهو على شكل مخروط مقلوب في المقطع الجيولوجي وعمقه حوالي ٣ الى ٥ ، ٣ كيلو . هذا وقد توضع هذا الجسم الناري المتطبق في الدهر القبل كامبري (حوالي ٦٠٠ الى ٦٢٠ مليون سنة) حيث يوجد ضمن أحزمة الصخور المتحركة ذات الاتجاه الشمالي ـ الجنوبي . ان ميل الطبقات في جبل شاع يكون كبيراً عند حوافه ويصبح الميل لطيفاً كلما اقتربنا من مركز الجبل ، ويقع جبل شاع في داخل طية مقصرة التي وفرت له وضعاً تركيبياً مميزاً .

إن الدراسة، المعدنية والجيوكيميائية والبتروجرافية قد لخصتها في رسالتي للماجستير عام ١٩٧٤ م ، كما أن عدداً من التقارير قد نشرها **الدكتور كولمان** ومجموعة من أعضاء **البعثة الجيولوجية الأميريكية** (**١٩٧٤ م/١٩٧٧ م**) . ويتكون جبل شاع أساساً من صخور الجابرو القاعدي التركيب ويتكون صخر الجابرو من التجمعات المعدنية المتراكمة مثل معادن الكلاينوبيروتسين والبلاجيوكليز وقليل من الاوليفين بالإضافة إلى ورثربيروكسين والهورنبلند والبيوتيت ومعادن الحديد والتيتانيوم وكبريتيدات الحديد والنيكل كمعادن بين متراكة .

ويوجد جسم ناري أقدم من جبل شاع يمكن تسميته بالمتياجابرو لتحركه ولاعادة تبلور بعض معادنه . ويقع هذا الجسم الناري الى الشمال الشرقي من جبل شاع . ويعتبر أقدم عمراً منه .

ولقد شملت دراستي الحقلية في منطقة خيبر الجنوب جمع عينات ممتازة من **معدن البيريل** الأخضر إلى الأخضر المصفر اللون والأنواع الممتازة من البيريل ذات اللون الأخضر العشبي تسمى **الزمرد** الذي يستعمل في المجوهرات نظراً لما يتمتع به من

صفات تبلورية وجمالية رائعة ولا يوجد الزمرد النقي في منطقة خيبر الجنوب . وقد جمعت عينات معدن البيريل من صخر البجماتيت ضمن صخور المونزدنيت الكوارتزي التابع لمعقد بني ثور والموجود قرب بئر كارات ، ويبعد مكان الخام عن قرية خيبر حوالي ٣٢ كيلومتراً إلى الشمال الغربي . ويوجد معدن البيريل على هيئة حبيبات منتشرة في صخر البجماتيت الذي يعتبر ذو حجم صغير نسبياً ، ويتكون البجماتيت من الفلسبار البوتاسي (ميكروكلين) والميكا بالإضافة إلى الكوارتز ، وتوجد بقع صغيرة سوداء تكون عادة أقرب إلى لب البجماتيت ولقد أثبتت الدراسة المجهرية التي أجريتها في **جامعة مانشستر** بأنها عبارة عن معدني كولومبايت - تانتاليت Colnmbite-tantalite بالإضافة إلى معدن يحتمل أن يكون معدن المونازيت المشع ، ونلاحظ هنا أن المونزدنيت الكوارتزي التابع لبني ثور يقطع جميع التراكيب الصخرية الموجودة ، وهذا يمكن أن يوحي بأن تطور المونزدنيت الكوارتزي لم يكن جزءاً من الحادثة الاورجينية الإقليمية التي تكون معظم أجزاء منطقة خيبر .

الجيولوجيا الاقتصادية

يمكن اعتبار جبل شاع من عائلة الأجسام النارية القاعدية ذات القيمة الاقتصادية الممتازة للعناصر الهامة للصناعة مثل النيكل والكروم والنحاس ، هذه الأجسام النارية تشمل معقد البشفيلد في جنوب إفريقيا ، وستيلوتر في أمريكا والمسكوكس في كندا . . الخ، حيث إن هذه العناصر عادة يمكن أن توجد في معادن تكونت ببطء من الصهير الناري المتبرد .

ولقد أثبتت الدراسة التي أجراها الدكتور كولمان ومجموعة من البعثة الجيولوجية الأميركية وكذلك الدراسة التي أجريتها في عامي ١٩٧٣م و ١٩٧٤م بأن المعدن في هذا الجسم الناري لا يرقى إلى أن يكون تمعدناً اقتصادياً من حيث تواجد النيكل والكروم والنحاس ، بل توجد هذه العناصر بكميات قليلة جداً ، ولكن من دراستي للماجستير أعتقد أن تواجد عنصري التيتانيوم والحديد يدعو إلى مزيد من البحث والدراسة لحساب ومعرفة الكميات الموجودة من معدني الماجنيت والالمنيت في جبل شاع وتوزيع هذه الكميات بالنسبة الى كبريتيدات الحديد .

كما أن هناك احتمالا مقبولا لدراسة كميات المعادن القائمة مثل الماجنيت والالمنيت الموجودة والمتركزة داخل الرمال في الوادي بالجبل وداخل الجبل أيضا ، وهذا يمكن من دراسة الامكانية الاقتصادية لاستغلال هذه المعادن في المستقبل .

أما بالنسبة لمعدن البيريل الموجود في صخر البجماتيت ، فإن تقييم **الناحية الاقتصادية** يعتمد على دراسة مركزة وبحث عن أماكن أخرى في نفس المنطقة أو بعيداً عنها ولكن تحمل نفس سمات التبلور وظروفه ، ولقد حاولت البحث طويلاً في منطقة خيبر الجنوب عن أماكن يحتمل وجود معدن البيريل بها ، فوجدت مواضع أخرى إلى الغرب مباشرة من المكان الأساسي للخام غير أن كمية الخام قليلة جداً ، وعند البحث أيضاً في أماكن بعيدة نسبياً وجدت بعض صخور البجماتيت دون وجود معدن البيريل . والحقيقة أن الخام الموجود لمعدن البيريل على السطح أو المتعمق قليلاً لا يشكل في نظري أي قيمة اقتصادية في الوقت الراهن ، بيد أن البحث عن معادن نادرة مثل معدن المرنازيت المشع ومعدني الكلومبايت - تانتاليت المتداخلين بالإضافة إلى معدن الشيليت يستحق كثيراً من الجهد والدراسة .

المراجع

١- صفة جزيرة العرب ، تأليف الحسن بن أحمد الهمداني ، تحقيق محمد بن علي الاكدع الحوالي ، أشرف على طبعه حمد الجاسر ، دار اليمامة بالرياض ، ١٩٧٤م .
٢- في بلاد عسير ، تأليف فؤاد حمزة ، ١٩٥١م .
٣- قلب جزيرة العرب ، تأليف فؤاد حمزة ، ١٩٥٢م .
٤- في ربوع عسير (ذكريات وتاريخ) تأليف محمد عمر رفيع ، ١٩٥٤م .
٥- Reconnissance geology of Khaybar Quadrangle, Kingdom of Saudi Arabia by R.G. Coleman, Geological Map GN-4. 1973.
٦- Geological map of the Asir Quadrangle, Kin gdom of Saudi Arabia, By G.F. Brown and R.O. SACKSON, U.S. Geological Survey, Map 1-217 A. 1959.
٧- M.S.C. Thesis by Ahmed Almohandis, University of Manchester, UK, 1974.

مدينة وتاريخ





★ بقايا أبراج قلعة حمص وقد بنيت فوقها وبجانبها بيوت شعبية ★

حمص

أو.. مدينة خالد بن الوليد

بقلم: عدنان الداعوق

أعرفتها تلك الربوع العالية

ما بين لبنان وبين البادية ؟

الذكريات وقد برزن علانية

نادين عنك بحسرة المطرود :

يا حمص ، يا بلدي وأرض جدودي

* * *

لا أجد بداية للحديث عن مدينة «**حمص**» أروع من قصيدة الشاعر الحمصي المهجري «**نسيب عريضة**» .

فهل هناك أروع من مدينة يخلدها شاعر ، حملها في حناياه ، وارتحل وعشقه لحمص في أعماقه ، طاف الدنيا واغترب ، وحل في « العالم الجديد » ووجده يتألق باستمرار وتحنان لتلك **المدينة الأسطورية التي تتكىء على كتف نهر العاصي في وداعة** تتجدد في خياله ورؤاه ، يحلم بها ، ويود لو يعود إليها ، بعد طول اغتراب وهجرة ، ولو حشو الكفن ، لما لها في قلبه من حب لا يزول

حمص كلها ، جعلها « نسيب عريضة » في قصيدته « **أم الحجار السود** » ، فهل نحاول بداية أن نلقي بعض الضوء عليها ؟

جغرافية حمص

لا يسعنا أن نحدد منطقة حمص بحدودها الإدارية أثناء دراستنا الطبيعية لها . لأن عناصرها التضاريسية تتشابك مع عناصر بقية المحافظات المجاورة ، ففي **الشرق** تضم منطقة الحماد المشتركة مع أكثر من محافظة واحدة : إذ تمتد إلى **محافظة دمشق وحماة ودير الزور والرشيد ، بل مع بادية المملكة الأردنية الهاشمية والعراق** ، كما تتشابك سهولها في **الشمال** مع سهول حماة ، وتتداخل بتضاريس اللاذقية ولبنان الشمالي والبقاع اللبناني .

وفي **الغرب** : يسد الأفق خط مرقّش ترسمه أعالي مرتفعات **جبال العلويين** ، ما يكاد يهبط متلاشياً في **سهول عكار** حتى يعود فيرتفع باباء ليؤلف خط ذرى مرتفعات لبنان الغربية الشامخة حيث جبال عكار والقرنة السوداء وظهر القضيب وفم الميزاب ـ أعلى مرتفعات سورية الطبيعية ـ والمكللة هاماتها أبداً بثوب ناصع نقي من الثلوج التي تلمع مع مغيب الشمس حتى في أشد الأشهر قيظاً .

وإذا كان القسم الشمالي من جبال لبنان الغربية ينحدر بشكل مفاجىء نحو سهل عكار ثم ليغمس أقدامه في مياه **البحر الأبيض المتوسط** اللامعة الدافئة ، فإن جبال العلويين تدير ظهرها للبحر ـ في قسمها الجنوبي ـ وترسل قبل أن تنتهي وشاحاً أسود حزيناً نحو الشرق ، مؤلفاً من صخور بركانية بازلتية ، يتقدم حتى يرسل ذوائبه لتستحم في مياه **نهر العاصي** ، أقوى أنهار سورية الطبيعية وأكثرها أهمية ، عدا **نهر الفرات** الذي يعتبر من الناحية الطبيعية غريباً في هذه المنطقة المناخية شبه الجافة .

وفي **الجنوب** : تبدأ ملامح السلسلة اللبنانية الشرقية تأخذ بالارتفاع بدءاً من مستوى قرية (حسياء) لتصل بسرعة إلى ارتفاع (٢٤٦٤ م) في **جبل حليمة** ، وإلى قريب من هذا الارتفاع في قمة **جبل طلعة موسى** .

وتواكبها إلى الشرق منها سلاسل **القلمون** التي يقطعها المسافر في طريقه من حمص إلى دمشق ، متعرجاً بين وديانها وأحواضها الطولانية إلى أن تنفرج عن فسحة سهلية رائعة بدءاً من بلدة **القطيفة** .

وفي **الشرق** : من نهر العاصي ، تمتد سهول واسعة ما تلبث أن تسدها في الجنوب نهايات سلاسل القلمون ، والتي تلتقي بها عند **تدمر** جبال آتية من شرق حماة لتؤلف السلاسل **التدمرية** ، **الشومرية** ، **الديماس** ، **الشعر** ، **الأبيض** ثم **البويضة** .

وما بين القلمون والسلاسل التدمرية ، تمتد سهول لحقية واسعة جداً تؤلف **حوض الدوة** .

نهر العاصي

ينبع نهر العاصي من **مغارة العين الزرقاء** شمالي هضبة بعلبك في لبنان ، ويبلغ طوله (٤٥٠ كم) ، (٥٠ كم) في لبنان والباقي يسير في الأراضي السورية ويصب في خليج السويدية على الساحل السوري في البحر .

وينحصر العاصي بين هضبة الوعر وبين سهول حمص الشرقية ، ولذا فهو يجتاز حوضه متمهلاً وئيداً ، فينشر حوله الخضرة والحياة والجمال ، ووجود العاصي في واد ضيق ـ قبل خروجه إلى سهول حمص العليا ـ ساعد على بناء **السدود** ، ومن أشهرها سد **الرستن** وسد **محردة** .

ويشكل نهر العاصي بحيرة قريبة من المدينة (١٤ كم) هي بحيرة قطينة التي تبلغ مساحتها (٦٠ كم) ، وهي ليست بحيرة صناعية كلياً بسبب الحاجز البركاني الذي ساعد على بناء سد بازلتي قديم يعود إلى الألف الثانية قبل الميلاد . . وقد تهدم هذا السد مراراً في التاريخ وأعيد بناؤه عند كل تهدم . . وبناؤه الحديث يستفاد منه بمدّ ساقية الري الجديدة التي تصل حتى مدينة **حماة** .

وأما الاستطاعة التخزينية لبحيرة حمص فتبلغ (٢٠٠ مليون متر مكعب) تروي مساحة مقدارها (٢٢ ألف هكتار) من أراضي حمص وحماة . . وبوساطة شبكة الري الممتدة بين المدينتين . . ويبلغ ارتفاع البحيرة عن سطح البحر (٥٠٠ م) .

تبلغ **مساحة محافظة حمص** (٤٣) ألف كيلومتر مربع ، **وعدد سكان المحافظة حوالي ٧٠٠ ألف نسمة** ، ويتراوح عدد قراها ٢٦٠ قرية ، بما فيها أكبر منطقتين هما **تدمر وتلكلخ** .

وتتصل حمص بشبكة من الخطوط الحديدي والداخلية .

وتعتبر مدينة حمص مركزا هاما ، لموقعها في وسط البلاد السورية ، وهي همزة الوصل بين كافة المناطق الشمالية والجنوبية والغربية والشرقية ، إذ لا بد للمسافر أينما كانت وجهته من المرور بحمص ، فهي في مكان القلب تنتشر شرايينها في كل الجهات .



★ مسجد
أبو ذر
الغفاري ★

حمص في التاريخ

لا يكاد يذكر اسم «حمص» إلا ويتبادر إلى الذهن البطل العظيم «**خالد بن الوليد**» الذي يثوي مقامه في الحي الشمالي من المدينة وسط واحد من أجمل المساجد وأوسعها «مسجد الصحابي خالد بن الوليد»، ضمن حي شعبي متسع يُعرف بحي **(الخالدية)** نسبة إليه.

وقد عرفت حمص منذ القدم بمدينة «خالد بن الوليد»، فأي أحد لم يعرف خالداً، ذلك البطل المغوار الذي كان أسطورة من أساطير الفن الحربي في العالم، والذي لم يعرف إلا النصر في معاركه، ولم يدخل مدينة إلا حرباً، وكان فتاكاً متواصلاً على الأعداء، ولقب عن حق بـ «**سيف الله المسلول**».

«خالد بن الوليد» رمز خالد للعبقرية الحربية، في فنون قتاله وأساليب معاركه تألفت الأطروحات والمجلدات، واعتبره أساتذة الاستراتيجيات العسكرية في العالم واحداً من أهم من وضع الأصول الحربية ومخططاتها وهي:

المحافظة على الغرض، والهجوم، والحشد، والاقتصاد في القوى، والأمن، والتعاون، والمفاجأة، وخفة الحركة، وهي **الأصول الثمانية** التي كان يتبعها «سيف الله المسلول»، فدخلت في قانون خدمة الميدان العالمي ومبتكرات الحروب في العصور الحديثة.

«خالد بن الوليد»، **أحد المبشرين بالجنة**، ارتضى العيش في مدينة «حمص» الوادعة الأمينة، وأمضى نهايات أيام حياته فيها، أحبها فخلعت اسمها عنها وتكنت به، فلفظ في أجوائها أنفاسه الأخيرة الذكية، واطمأن بعد أن ترك خلفه في تراث الإنسانية والإسلام مجداً حربياً يتجدد على مر التاريخ ويقبل عليه القاصي والداني فيرى فيه وفي عبقريته كل دارس وفاحص قمة جديدة من قمم العبقرية والإنسانية والعظمة.

وقد أدرك **الظاهر بيبرس** ضريح «خالد بن الوليد» فبنى فوقه مسجداً صغيراً، وفي عهد **السلطان عبد الحميد الثاني** سعى والي

★ مسجد الصحابي خالد ابن الوليد ★

الشام **ناظم باشا** فنال موافقة السلطان لتجديد المسجد ، **فجعله** على الطراز البيزنطي ـ العثماني ، وانتهى من البناء في عام **١٣٣١ هـ** ، فجاء غاية في الروعة والجمال .

ويمتاز هذا المسجد بقبة كبيرة في الوسط وعدد من القباب الصغيرة حولها مئذنتين رشيقتين ، وفي داخل الحرم ضريح البطل « خالد بن الوليد » محاط بشباك من الحديد والنحاس .

ولم يبق من المسجد البيبرسي إلا التابوت الخشبي الذي كان يحيط بالضريح ، وهو مزين بزخارف هندسية معقدة وكتابة نسخية مذهبة وكتابات كوفية مزهرة في غاية الابداع تدل بجمالها على تقدم الفن في عصر الظاهر بيبرس .

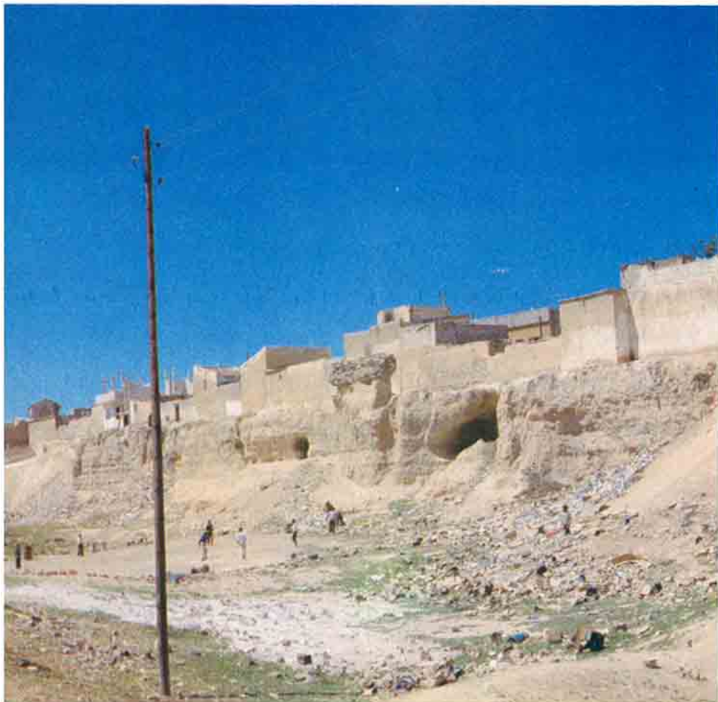
وتمّت في عام **١٩٦٠ م** ، التنظيمات الجديدة التي شملت المدينة ، فشملت معها ازالة المرتفع القائم عند مدخل المدينة الشمالي ، وتحولت المنطقة المحيطة بالمسجد إلى **حديقة كبيرة** ضخمة مزينة بالأشجار والزهور وبتنسيق بديع يليق بمكانة هذا المسجد وصاحبه .



★ صناعة البسط من أهم الصناعات القديمة الباقية حتى اليوم ★

★ صحن مسجد الصحابي خالد ابن الوليد ★

★ بقايا أسوار حمص القديمة ★



كذلك جرت الاصلاحات والترميمات في عام ١٩٧٢ م ، ودامت عامين ، وشملت كافة الجدران الداخلية والخارجية والقباب ، وتمت إنارة المسجد من الخارج بحيث أصبح كتلة من الأنوار تشع وتبهج النظر .

ومدينة خالد بن الوليد قديمة ، **يقال إنها مأخوذة من كلمة « حث » وهو اسم القبيلة التي سكنتها ، أو من كلمة « اميسا » اليونانية ، ويرجع تاريخها إلى ما قبل المسيح بحوالي ٢٣٠٠ سنة .**

ويقال أيضاً إن الذي بناها رجل يدعى **(حمص بن المهرب بن مكنف)** أو **(حمص بن مكنف العمليق)** ، لكن الأرجح أن أول من أنشأها (حمث بن كنعان) ، فسميت المدينة باسمه ، وعلى مرور الأيام أبدلت (الثاء) (صاداً) فصارت (حمص) .

ولحمص في التاريخ شهرة واسعة ، فقد حدثت قربها معركة **(قادش) التي انتصر فيها « رمسيس الثاني »** على الحثيين ، وعند حمص هزم إمبراطور روما « **أورليان** » الملكة « **زنوبيا** » **ملكة تدمر** ،

سنة ٢٧٣ ق . م ، واحتلها العرب سنة ٦٣٨ ميلادية ، وضربت أسوارها سنة ٧٤٥ ميلادية إبان الثورة على « مروان الثاني » الخليفة الأموي ، واستولى الجيش المصري على حمص بقيادة « **إبراهيم باشا** » سنة ١٨٣٢ ميلادية ، وكانت موقعاً ممتازاً للتمركز والحركة والتعسكر للجيش المصري في احتلاله ، واحتلها **الانكليز** في الحرب العالمية الأولى ، في تشرين الأول من عام ١٩١٨م نظراً لموقعها الاستراتيجي الهام ، حيث انها **مفتاح للعبور إلى الشرق والخليج العربي والهند والشرق الأقصى .**

وقد ورد ذكر مدينة « حمص » في كتب السير والمشاهدات والرحلات . فقال عنها الرحالة (ابن جبير) :

« أما حمص ففسيحة المساحة مستطيلة الساحة ، نزهة لعين مبصرها من النظافة والملاحة ، موضوعة في بسيط من الأرض عريض مداه ، لا يخرقه النسيم بسراه ، يكاد البصر يقف دون منتهاه ، أفيح أغبر ، لا ماء ولا ظل ولا شجر ، فهي تشتكي ظمأها وتستقي على البعد ماءها ، فيجلب إليها من نهرها العاصي ، وأهل **هذه البلدة مشهورون بالنجدة والتمرس بالعدو** ، فأحمد خلال هذه البلدة هواءها الرطب ونسيمها الميمون بخفيفه وتجسيمه فاق الهواء النجدي في الصحة ، وبقبلي هذه المدينة **قلعة** حصينة عاصية ، وبشمالها **جبانة** فيها قبر خالد بن الوليد ، ومعه **قبر ابنه عبد الرحمن وقبر عبيد الله بن عمر .**

وأسوار هذه المدينة غاية في المتانة والوثاقة ، مرصوص بناؤها بالحجارة الصم السود ، **وأبوابها أبواب حديد** سامية الإشراف هائلة المنظر رائعة الأطلال والأناقة ، تكتنفها الأبراج المشيدة الحصينة ، وتجد في هذه البلدة عند اطلالك عليها من بعد في بسطتها ومنظرها وهيئة موضعها بعض شبه بمدينة **اشبيلية** من بلاد الأندلس » .

وقد دفن في « حمص » عدد كبير من رجال الإسلام والتقى فيما لا نراه في غيرها من المدن ، فبالاضافة إلى قبر خالد بن الوليد وولده سليمان ، هناك مقام « عبيد الله بن عمر بن الخطاب » في المسجد ذاته ، كذلك يقع في وسط المدينة مسجد صغير يحتوي على مقام خامس رجل في الإسلام وهو « **أبو ذر الغفاري** » ، **وعند واحد من أحياء المدينة القديمة يقع مقام « دامس أبي الهول » ـ الذي كان من مرافقي خالد بن الوليد والسائرين في طليعة جيشه ـ وهناك حي كبير يسمى بحي « عكرمة » يضم مقام الصحابي « عكرمة بن أبي جهل » ،** كذلك يقع في ظاهر المدينة صديق جهاد سيف الله خالد « **القعقاع** » ، كما يقوم بالقرب من « الباب المسدود » أوضح الأبواب في حمص مقام الصحابي « **دحية الكلبي** » .. وعلى الطريق إلى قرية « **زيدل** » المتصلة بالمدينة يقوم مقام الخليفة « عمر بن عبد العزيز » .

يذكر الرحالة (ابن بطوطة) شيئاً عن حمص ، حينما مرَّ بها فيقول : « ثم سافرت إلى حمص ، وهي **مدينة مليحة أرجاؤها مونقة ، وأشجارها مورقة ، وأنهارها متدفقة ، وأسواقها فسيحة الشوارع ، وجامعها متميز بالحسن** ، وفي وسطه بركة ماء ، **وأهل حمص عرب لهم فضل وكرم ..** وبخارج هذه المدينة قبر خالد بن الوليد سيف الله المسلول ، وعليه زاوية ومسجد ، وعلى قبره كسوة سوداء » .

كذلك يتحدث صاحب « **معجم البلدان** » **ياقوت الحموي عن حمص فيقول :**

« حمص بلد مشهور قديم كبير مسور ، وفي طرفه القبلي قلعة حصينة على تل عال كبير ، وهي بين دمشق وحلب في نصف الطريق ، يذكر ويؤنث » .

شعوب وسكان حمص القديمة

● **الفترة الأولى :** من ٢٣٠٠ ق . م ـ ١٩٠٠ ق . م .

سكنت حمص ثلاث قبائل هي **(الروثان ـ العمالقة ـ الأموريون) .**

وفي هذه الفترة أقيمت عدة ملحقات بالمدينة هي (قادس ـ أو قادش) :

وهي قاعدة حربية تقع بالقرب من بحيرة « قطينة » على بعد (١٤ كم) من المدينة .

(جبيل) : وهي أقدم مدن لبنان ، وكانت على ولاء مع حمص قامت بينهما صلات وثيقة .

(مريامين) : وتقع غربي حمص في جبل الحلو ، وهي من أقدم المدن السورية .

(قطنة) : ـ وهي غير مدينة قطنة قرب دمشق ـ تقع شرقي حمص وكانت لها أسوار وأبواب كبيرة ووجد فيها قصر ملكي وهياكل ، وعثر فيها على كنوز ضخمة وأثرية هامة ، بما في ذلك **تمثال لأبي الهول المصري** ، قدمته للمدينة **الأميرة ايتا** ، من السلالة الثانية عشرة .

● **الفترةالثانية :** من ١٩٠٠ ق . م ـ ١٢٢٥ ق . م سكنها : **(الفينيقيون ـ العبرانيون ـ الآراميون) .**

● **الفترة الرابعة :** وفيها سكن **(الآشوريون ـ الكلدان ـ الفرس) .**

وتلاهم فيما بعد **(السلوقيون)** وفي دورهم بنيت أشهر مدينتين ارتبطتا بحمص وهما **(افاميا ـ والرستن) .**

● **الفترة الخامسة :** من سنة ٨٠ . م ـ ٧٩ م ، وهي الفترة التي بدأت فيها حمص تتحرر من حكم الممالك السلوقية المتجزئة .

● **الفترة السادسة :** من سنة ٧٩ م ـ ٢٣٥ م : كانت حمص فيها تحت سيطرة (الرومان) .

● **الفترة السابعة :** كانت حمص فيها تحت حكم (التدامرة) .

وشهدت حمص في **العهد الروماني** رخاء لم تشهده من قبل ، إذ إن القيصر (سيفيروس) **أقام في حمص فترة طويلة وتزوج من (جوليا) ابنة كاهن حمص ، وكانت بارعة الأخلاق والثقافة ،**

فأثرت في زوجها تأثيرا كبيرا ، حتى سمي هذا القيصر **(سيفيروس الحمصي)** وبعد موته تولى ابنه القيصر **(كراكلا الحمصي)** ، وعلى يديه شهدت المدينة عناية فائقة بالطرق والعمران وازدهار التجارة وأقنية الري .

أهم الآثار في حمص

حمص مدينة غنية بالآثار ، حتى يقال إنك لو حفرت في أية بقعة لصادفتك آثارها التاريخية القديمة ، ويؤكد هذا ما تكشف عنه الحفريات الاعتباطية التي تم ، وأهم الآثار المكتشفة والباقية حتى اليوم هي :

القلعة

إذ تقوم قلعة حمص في الطرف الجنوبي الغربي من حمص القديمة على رابية طبيعية ، ولم تكتشف مكنونات هذه القلعة حتى الآن ، إذ لم تجر فيها الحفريات المنتظمة والمدروسة ، غير أنها تحتوي على **طبقات أثرية رومانية وبيزنطية وعربية .**

وفيها برجان من **العهد الأيوبي** أحدهما في الزاوية الشمالية الشرقية والثاني في الزاوية الشمالية الغربية ، وأما تحصيناتها فترجع إلى العهدين المملوكي والعثماني ، وأكثر من اهتم بقلعة حمص الملك «**شيركوه**» عم صلاح الدين الأيوبي .

وعندما أتى **الفرنسيون** إلى سورية في عهد الانتداب جعلوا من القلعة مركز اشراف على المدينة وحشروها بالذخيرة والسلاح بحيث أصبحت مركز مراقبة هام يهدد المدينة عند أي تحرك وطني ضد جيش الانتداب .

وأما في العهد الوطني فقد أصبحت القلعة ثكنة ومركزاً عسكرياً ، غير أن مديرية الآثار تسعى اليوم لاستملاك القلعة وإجراء الحفريات اللازمة فيها ، ومن ثم العناية بها كمركز هام من الناحية الأثرية .

السور

وهو حائط يبلغ عرضه أربعة أمتار وهو من الحجر الأسود بارتفاع (١٠) أمتار . وعلى مواقعه الرئيسية بنيت **الأبراج** ذات الفتحات المخصصة للحرس والرماة . وأول من بنى هذا السور **الحثيون والآراميون** ، ثم رممه الرومان واعتنى بترميمه فيما بعد الأيوبيون ، **ولم يبق من هذا السور الضخم اليوم إلا بقايا مهدمة في المنطقة الشرقية من المدينة** ، وقد ارتفعت فوق السور البيوت السكنية التي تشرف على الخندق القديم المحيط بالسور ، وغطت معظم أقسام هذا الخندق البيوت السكنية والطرقات والشوارع . وللسور **سبعة أبواب** هي :

(باب التركمان ، باب السباع ، باب الدريب ، باب تدمر ، باب السوق ، باب هود ، والباب المسدود) .

ولم يبق لهذه الأبواب إلا أسماؤها ، أما الباب المسدود فما تزال باقية فيه بعض الصخور المكعبة السوداء الضخمة في الجنوب الغربي من المدينة .

وتصل بين هذه الأبواب أزقة ضيقة متعرجة تعطي الشكل العام والأساسي لبناء المدينة القديم .

وجرت في عهد الانتداب الفرنسي على سورية عدة حفريات في حمص ومناطقها المجاورة ، فعثر على مدافن رومانية وبيزنطية غربي المدينة ، وعلى **كنز هام جدا** يعود إلى الأسرة المالكة التي كانت تحكم حمص في القرن الأول للميلاد ، وهو مؤلف من خوذة حديدية مزينة بنطاق من الفضة ولها قناع متحرك من الفضة أيضاً ، ويظهر أنها لقائد هذه الأسرة المالكة ، كما عثر على **أقراص ذهبية** تزين التوابيت الخشبية المحيطة بالمنطقة نفسها وعلى حلي من ضمنها خاتم عليه تمثال نصفي لأحد ملوك حمص وخاتم آخر يمتاز بفص من العقيق نقش عليه تمثال الإله أبولو . . وكلها محفوظة في المتحف الوطني بدمشق .

وفي عام ١٩٦٠ م بدأت عملية تخطيط جديد للمدينة ، وأثناء هذه العملية تم اكتشاف عدد من التوابيت المغرقة في القدم وعلى جزء من السور القديم للمدينة ، وأرسلت هذه المكتشفات إلى متحفي دمشق وحماة .

أما تمثال الأسد الكلسي وبعض التوابيت الحجرية الأخرى المكتشفة في مدخل المدينة الشمالي ، فقد حفظت في حديقة الصحابي خالد بن الوليد .

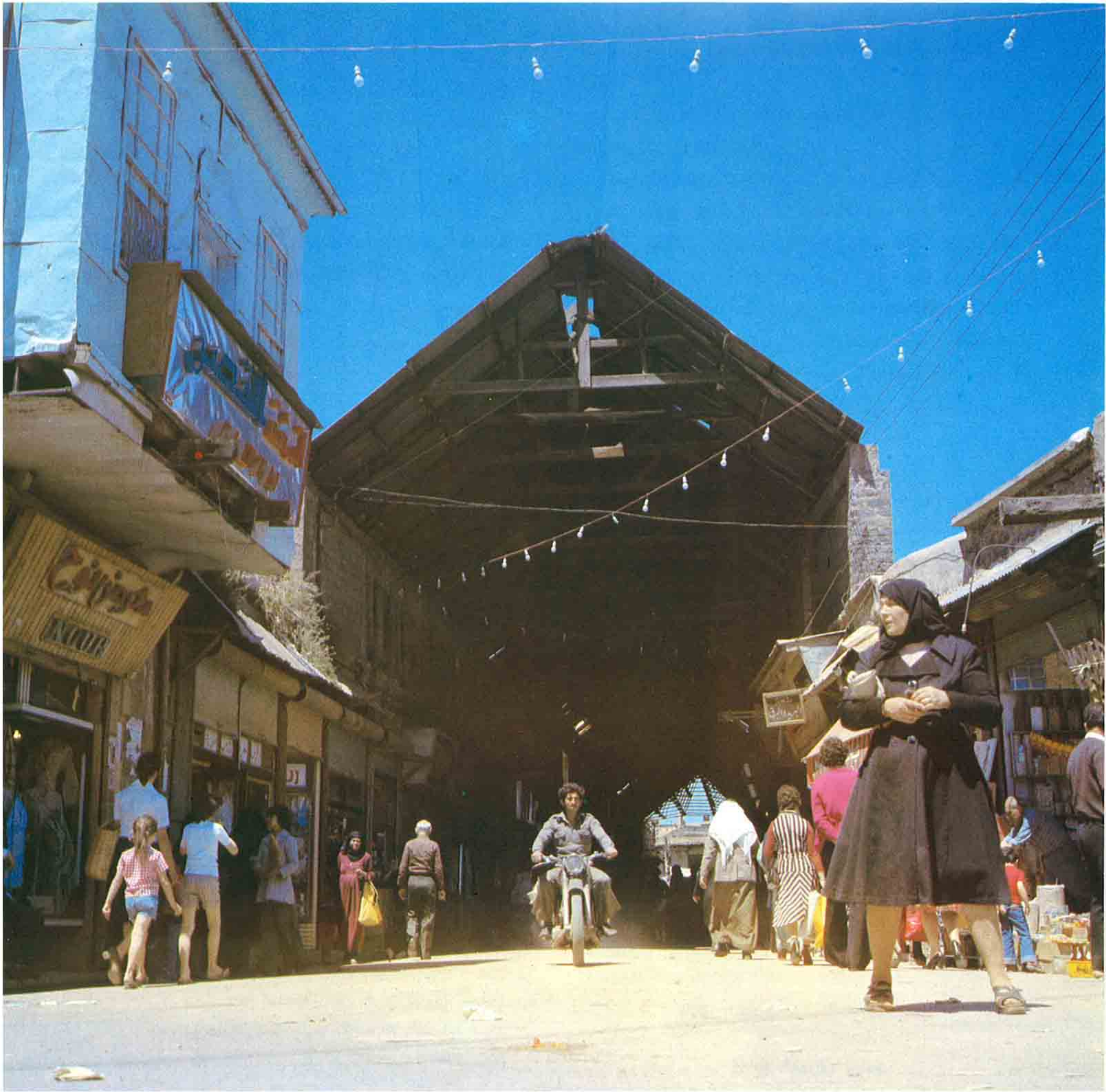
وهناك بعض البيوت القديمة في المدينة ما إن تمتد إليها يد العمارة الحديثة حتى تكتشف في أعماقها تلك السراديب الواسعة ذات السقوف العالية والتي تسير في اتجاهات عميقة لا نهاية لها ، ولكنها تؤدي كلها إلى خارج المدينة ، ولا شك أنها كانت منافذ الناس قديما في حالات الحرب والحصار .

الآثار المختلطة ، والآثار الاسلامية

الجامع النوري الكبير

ويقوم هذا الجامع قرب السوق في وسط المدينة الحالية ، وقد كان يشغل مكان هيكل الشمس المقدس الذي بني في عهد «**سمسيفرام**» من الأسرة الوثنية في أواخر العهد السلوقي ، ثم حوّل الهيكل إلى بيعة للقديس يوحنا .

أما بعد الفتح الإسلامي فقد تحول هذا المكان إلى مسجد جامع جدد بناءه الملك الزنكي «**محمود نور الدين**» **فحمل اسمه (النوري) ، وبعد تحويله إلى مسجد زالت من معالمه الأثرية الملامح الوثنية والمسيحية وبرزت المعالم الإسلامية واضحة في الشكل والبناء .**



★ سوق في حمص القديمة ★

أسواق حمص

الأسواق ظاهرة واضحة للحياة الاقتصادية والاجتماعية في حياة الأمم والشعوب . وفي مدينة حمص تخضع أسواقها لهذه الظاهرة ، فالنمو التجاري منذ القديم أدى إلى نشأة الأسواق وتطورها واتساعها ، خاصة للموقع الجغرافي الذي تتمتع به هذه المدينة وسط البادية من جهة وعلى الطرق المنتشرة لباقي المدن الأخرى من جهة ثانية . وأدى هذا التوسع إلى ظاهرة متميزة في التجارة بين تجار المدينة وقراها المجاورة . .

ومن هنا نشأت (**القيسريات**) - والتي تشابه في يومنا الحاضر **المجمعات الاستهلاكية** التي تقدم للفرد كل احتياجاته - . فقدم تجار المدينة لأهل القرى موادهم اللازمة لهم في الزراعة وما يحتاجون إليه في ريفهم من مواد وأدوات وكساء ومورد غذاء .



★ الباب المسدود ★

ونظراً لموقع المدينة أيضاً كهمزة وصل تجاري للقوافل من الشمال والجنوب والشرق والغرب ، فقد توسعت أسواقها وتميزت بنوع من التخصص التجاري ، فهناك **(قيسريات) الحرير والأنوال والأصبغة ، والأقمشة والتطريز على أنواعه** (الاغباني) ، **وقيسريات أخرى لصناعات الشراشف والمناشف والكوفيات والعباءات والسجاد والبسط والألاجا والديما والملس وغيرها .**

كما امتازت أسواق حمص أيضاً ببيع **الأقمشة** على أنواعها **وصناعة الحفر على الخشب والنحاس ، والصناعات الريفية** التي تنتج أدوات الحراثة والحصاد لريف المدينة . يضاف إلى هذا أسواق أخرى تعقد في أيام معينة من الأسبوع في المدينة يقصدها الريفي وتاجر المدينة معاً لتبادل المنتوجات فيها مثل : **سوق الغنم وسوق الخميس** ، وهذان السوقان أشبه ما يكونان بسوق عامة .

كذلك كانت تعقد في **(الخانات)** أيضاً ـ والتي اندثرت الآن ـ أسواق أخرى كان يلتجىء إليها الفلاح بحيواناته ودواجنه ومنتوجاته ليبيعها لتاجر المدينة أو يستبدل بها ما يحتاجه .

ولعبت هذه الخانات دوراً اجتماعياً كبيراً في التعايش بين الريفي وساكن المدينة ، واكتسبا من خلال لقائهما الدائم والمستمر الكثير من التقاليد والعادات . . ولعل هذا التعايش القديم هو الذي مهَّد لهجرات سكان الريف عندما نزحوا إلى المدينة ، فلم تحدث من جراء هذا النزوح تلك الهزات الاجتماعية العنيفة كالتي حدثت في **أوروبا** مثلاً عند هجرة أهل الريف إلى المدن .

وما تزال في حمص حتى اليوم أسواقها المتخصصة كسوق الخراطين وسوق النجارين وسوق النحاسين وسوق الصاغة والسوق العتيق وسوق النسوان .

ومعظم هذه الأسواق مبنية بشكلها التقليدي القديم الذي تحافظ عليه رغم قدمه : سقوف عالية ، وعقود مقنطرة ذات أسطح ترابية أو مغطاة بالتوتياء ، مما يضفي عليها شكلاً فريداً ومتميزاً .

الحمامات

كانت الحمَّامات مظهراً من مظاهر الحياة الاجتماعية عند الحمصيين القدماء ، ويعود ظهور الحمَّامات إلى عهد **الدولة السلوقية واليونانية** في القرن الثالث قبل الميلاد . أما في عهد **الدولة الاسلامية** فقد أصبحت الحمامات ذات أهمية بالإضافة إلى مظهرها الاجتماعي الملح ، يتوافد عليها الرجال في الليل والنساء في النهار ، وفيها تزف العروس قبل زواجها ويُقام لها **(عرس الورد)** ـ أحد المظاهر القديمة ـ .

كذلك كانت تقام في الحمَّامات ليالي الأنس والطرب ، وقد ذكر صاحب كتاب **(الأغاني)** فقال :

« كان في **الكوفة** غلام اسمه **حنين** يسمع الغناء ويطرب له ويصغي إليه ، زار حمص في أواخر **العصر الأموي** ، وقال واصفاً هذه الزيارة :

« خرجت إلى حمص ألتمس الكسب بها ، فسألت عن الفتيان وأين يجتمعون فقيل لي عليك بالحمَّامات ، فجئت إلى أحدها فدخلته ، فإذا فيه جماعة منهم فأنست إليهم وهم يطربون ، فأخبرتهم اني غريب . . ثم خرجوا وخرجت معهم . . . » إلى آخره . . » .

وما تزال حتى اليوم تطبق في الحمامات بعض العادات القديمة كجلب الطعام وإقامة الحفلات وصبغ الأكف بالحناء وما إلى ذلك .

وأما بناء الحمَّامات فيتبع أنموذج القباب المقببة وهي متعددة الأبواب ، حيث يؤدي بابها الرئيسي إلى باحة داخلية تتوزع إلى أقسام مختلفة ، وما تزال هذه الأقسام تحتفظ بنفس الأسماء التقليدية (المقصورة ، الجواني ، البراني) .

وسقف الحمَّام عبارة عن قبة نصف دائرية مثقوبة بثقوب ومغطاة بقطع من الزجاج الكثيف المقعر والملون وغايته الاضاءة والسماح لنور الشمس بدخول أقسام الحمَّام .

لعبت حمص دوراً هاماً وبطولياً في النضال القومي والوطني أثناء **الحكم العثماني** وأيام **الانتداب الفرنسي** للبلاد .

وبرزت في هذه المدينة أسماء عديدة كان لها الشأن الكبير في ترسيخ قواعد النضال والتحرر ، وكان من أبرز ضحايا مجزرة **(جمال باشا السفاح)** ـ في السادس من أيار ، مايو ١٩١٦ م ـ :

المصلح الاجتماعي **عبد الحميد الزهراوي** ، والكاتب الصحفي الشاعر **رفيق رزق سلوم** ، والدكتور **عزت الجندي** .

كما وقفت مدينة حمص موقفاً بطولياً رائعاً في ثورة عام ١٩٢٥ م ضد **الاستعمار الفرنسي** ، فقدمت قافلة كبيرة من الأبطال ، واستطاعت المدينة بوقوفها صفاً واحداً أن تغير وجه الثورة السورية كلها ، حتى إذا ما انتهت الثورة في كافة المدن والمناطق السورية ظلت متأججة في حمص ، يحتمي ثوارها في بساتينها الكثيفة ويتسللون تحت مياه نهر العاصي ، يتنفسون بأعواد القصب ، يعبرون المدينة ويصلون إلى مدينة حماة ليسلكوا فيما بعد طريق التجائهم السياسي إلى تركيا .

ويعيش أبطال تلك الثورة في ضمير سكان المدينة ويتناقلون أسماء **(خيرو الشهلا ونظير النشواتي وعمر المجرص وعزو حمود آغا وعبد الله جمال الدين وفؤاد رسلان)** وغيرهم . . كما التراث الشعبي يخلفه جيل إلى جيل .

حمص مدينة الشعر والشعراء

ما من أحد يذكر الشعر إلا ويتذكر شاعر حمص القديم « **ديك الجن** » ـ عبد السلام بن رغبان ـ وحكايته الفريدة في حبه لجاريته النصرانية « **ورد** » التي أحبها بجنون فدعاها للإسلام ، فأسلمت وتزوجها ، لكن الشك المريض ظل يلاحقه ويصور له خيالات شتى ، فأقدم على قتلها ثم حرق جسدها وجعل من رمادها كوباً ظل يحتسي الخمر فيه ويبكي ورده ، حتى آخر أيام حياته .

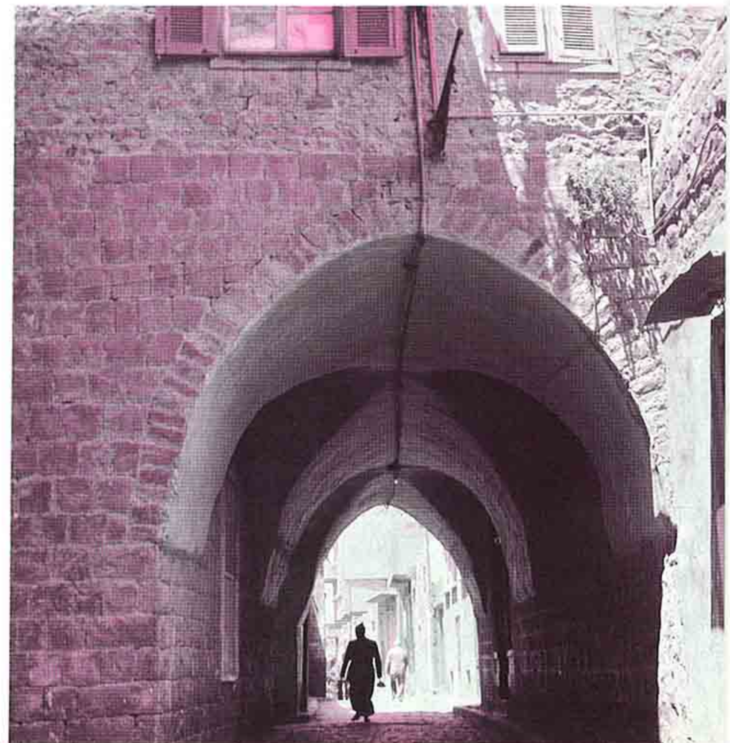
كذلك يحتل اسم الشاعر الحمصي الشيخ « **أمين الجندي** » صفحات طويلة من تاريخ أدبنا العربي ، فهو الذي كان له الفضل الأعم في بعث القدود والموشحات الأندلسية بعد رقاد النسيان الطويل ، وكان شاعراً مطبوعاً ومتصوفاً شهيراً ، ما تزال إحدى قصائده تحفظ عن ظهر قلب منذ أكثر من مئة عام ، ففيها يمتدح الرسول الكريم ﷺ .

كذلك عاش في حمص عدد من الشعراء القدامى أمثال **(النعمان بن بشير الأنصاري ، والبطين ، وابن معمة ، وابن الدهان) وغيرهم .**

وإذا أردنا أن نحصي شعراء حمص منذ القديم حتى يومنا هذا لوجدناهم كثيرين يضيق الموضوع بتعدادهم ، ولعل جمال المدينة وروعة أجوائها وعليل نسيمها وبديع أشجارها وفسحة أرضها وخضرتها ، كل ذلك من الأمور التي تزكي شعلة الشعر وتؤجج في النفوس بداهة حسن القريض .

★ نماذج من أسواق حمص القديمة ★

★ نموذج لأزقة حمص القديمة ★



حمص في المهجر

بدأت **الهجرة** من حمص إلى **الأمـيريـكتين في أواخـر القـرن التاسع وامتدت وما تزال وإن كانت اليـوم بنسـبة ضئيلـة جداً ، فقد انتشرت بـين الشـباب الحمصي يـومئذ عـدوى الهجرة والاغتراب** ، فارتحلوا جماعات وأفراداً ، وهم يجهلون لغـة تلك البلاد ومجهولها ، **ورافق تلك القوافل مجموعة من النبهاء** وانتشروا في المهجر وتمركزوا بخاصة في **البـرازيل** ، فـأنشأوا هنـاك **الصـحف والمجلات** ، وطلعوا على الأدب العربي بالتجديد والحداثة والأصالة بعد ما كان الأدب العربي في طور الاحتضار في عصر الانحطاط .

وبرزت الأسماء الشهيرة من الأدبـاء والشـعراء الحمصيين أمثال :

★ حديقة حمص وسط المدينة ★

★ منبر ومحراب مسجد سيف الله «خالد بن الوليد» ★



★ طرف من سد بحيرة «قطينة» ★





★ منظر لنهر العاصي في طبيعة حمص ★



★ واحدة من سواقي الري لنهر العاصي داخل المدينة ★

★ شارع رئيسي في حمص محفوف بالأشجار والخضرة ★



★ شارع من شوارع المدينة بني فوق نهر العاصي الذي يدخل المدينة ويتشعب في شوارعها وتحت أبنيتها ★

(نسيب عريضة ، نظير زيتون ، ندرة حداد ، عبد المسيح حداد ، ميشيل مغربي ، نصر سمعان ، توفيق ضعون ، داود شكر) وغيرهم .

وكان لهؤلاء واخوانهم فضل إنشاء (العصبة الأندلسية) ولسان حالها مجلة (العصبة) .

كذلك تبوأ التاجر الحمصي مكانة مرموقة في دنيا التجارة في المهجر ، فعمل في إنشاء المعامل والمصانع .

كل ذلك دون أن ينسى المغترب الحمصي المهاجر حبه لوطنه وتحمسه لقضاياه المصيرية ، كما لم يفقد الشباب الحمصي ارتباطهم ببعضهم بعضاً ، فألفوا الجمعيات والأندية ، وارتفع اسم **(النادي الحمصي) بين الأندية والجمعيات العربية ، وصارت مؤسسات النادي الحمصي في المهاجر الأميركية محط أنظار الأدباء والمفكرين وجامعة تضم أصحاب القلم والوطنية .**

التعليم :

أقدم مدرسة في حمص هي المدرسة الإنجيلية الوطنية التي أنشئت عام ١٨٨٠ وكانت تضم حوالي /٦٠/ طالباً بعضهم من غير مدينة حمص .

أما **المدرسة الثانية** فقد أنشئت في عام ١٨٨٢ ، وهي **مدرسة الآباء اليسوعيين** ، تعاقب على إدارتها **الأب فرنسيس قندلا وهو عراقي ، ويوسف منسى وهو مصري** ، لكن السلطات العثمانية أغلقت المدرسة بعد وقت قليل لأنها تعلم أبناءها اللغة العربية .

أما **الجمعية الخيرية الإسلامية ومدرسة الميتم الإسلامي** التابعة لها فقد تأسست عام ١٩٢١ ، وكانت مدرسة الميتم تضم الطلاب الأيتام ، وغير الأيتام من الذين يدفعون اقساطاً للمدرسة ، ولم يكن عدد الطلاب يومذاك يزيد عن ١٠٠ طالب .

أما **المدرسة الغسانية** فقد أنشأت قسمها الابتدائي عام ١٨٩٤



★ صناعة الجلود قديمة ما تزال باقية تتجدد ★

وقسمها الاعدادي عام ١٩٤٥ والثانوي عام ١٩٤٨ .

ويرتفع الخط البياني للتعليم اليوم في حمص بحيث يشمل الغالبية العظمى من أبناء الجيل وهو في نمو مطرد وتشكل أبنية التعليم والمدارس أكبر العقبات ، إذ يزيد عدد الطلاب في كافة المدارس الابتدائية والاعدادية والثانوية والشرعية والتجارية والصناعية ، عن المدارس المهيأة والتي تبنى في اطراد متلاحق ، ولقد تشكل في **مدينة حمص فرع للجامعة السورية** منذ أعوام خاص بالعلوم وهو **المعهد العالي البيتروكيائي** ، وسوف تزاد فروع هذا المعهد في العام القادم والأعوام التالية بحيث يصبح جامعة متكاملة .

الحاضر والمستقبل :

يشهد ، حتى الجيل الجديد ، في حمص التطور الدائب والمستمر . . وكأن هذه المدينة على موعد وسباق مع الزمن بكل معطياته العلمية والتكنولوجية الحديثة . فالمدينة المنبسطة الصغيرة قبل أعوام قليلة تشهد وباستمرار اتساعاً يمتد إلى كافة جهاتها الأربع ، فالعمران المتضخم ، وأعمدة المصانع ودخان المعامل أصبحت اليوم تشكل حالة من حالات دراسة البيئة والتلوث الجادة ، **فقد غدت حمص في خلال السنوات القليلة الماضية أهم المدن الصناعية في سورية** ففيها :

(مصفاة النفط ، ومعمل السماد الآزوتي ، ومعمل الكهرباء ، ومعمل السكر ، والألبان ، وعشرات المعامل الأخرى . .) .

كلها تعمل جنباً إلى جنب في إضفاء روح المعاصرة على الحياة الحاضرة في حمص . . هذه المدينة التي كانت على جانب كبير من الأهمية في الماضي ، وهي تطل اليوم على الجانب الأهم ، والأكثر أهمية في المستقبل القريب .

وظيفة فلسفة التربية وضرورتها للمربين

بقلم : عيسى حسن الجراجرة

يتصف أي مجتمع إنساني في الغالب الأعم بديمومة التطور والتغير نحو الأحسن . وتأخذ العملية التربوية على عاتقها جانبا مهما من الاسهام والمشاركة في عملية التطور والتغير . وحتى لا يقتصر دور العملية التربوية ودور العاملين فيها من معلمين واداريين ومشرفين على الانفعال والتأثر بالحركة والاحداث الاجتماعية التي تمور وتسري في جنبات المجتمع ، وحتى لا يكون دورهم الاستجابة لها والتكيف معها فقط ، بل يأخذون دور القيادة والريادة في المجتمع المتغير المتطور المتبدل ، وتوجيه أحداثه واتجاهاته .

ودور القيادة والريادة يحتاج الى وضوح الرؤيا والتسلح بتصور مسبق لصورة المجتمع الذي نريده أن يتكون ، وذلك كله يتطلب أن يكون للعملية التربوية والتعليمية **فلسفة تربوية وتعليمية** تقود العملية التربوية وترشدها وترسم خطاها وتنسقها مع القوى الأخرى العاملة في المجتمع والمؤثرة فيه .

ومن خلال قيام المربين من المعلمين والعاملين في الحقل التربوي بعملهم الجاد المضني ، ومن خلال انغماسهم بكامل كيانهم الانساني في عملهم الذي يقومون به فقد يتساءلون عن أهمية عملهم التربوي وأي اهداف عملهم هذا أكثر اهمية وأيها أجدر بالتقديم والعناية والرعاية وأي الطرق أكثر جدوى ؟

وما مثل هذه الأسئلة والتساؤلات إلا محاولة غير مقصودة لفلسفة العملية التربوية ومحاولة لايجاد الوشائج والروابط والعلاقات بين **العملية التربوية والفلسفة والنظرية التربوية** وآثار وتأثيرات النظرية التربوية وانعكاساتها على الممارسات الفعلية التربوية ، ومدى أثر وتأثر كل ذلك بالصراع والحركة الدائمة في المجتمع .

وحتى لا تصبح فلسفة التربية مجرد كلام جميل منمق يمت بصلة متينة وطيدة الوشائج إلى ميدان المعرفة التأملية ، ويتحلى بقيمة جمالية فقط ، وذلك أن الحكم الفيصل على قيمة المبادىء والنظريات والعمليات ينبع من مدى ارتباطها بالحقائق وما يترتب عليها من تطبيق ، ومدى الامكانات المتيسرة لها للقدرة على احداث التغيير في الحاضر ورسم أهداف تتمتع بامكان التحقق والانجاز في المستقبل .

حتمية التفلسف

لقد لاحظ **أرسطو** منذ وقت طويل أننا ، سواء أردنا أن نتفلسف أم لم نرد ، فإنه لا بد لنا جميعاً من التفلسف . فقد يكون في استطاعة الشخص الحريص على النظافة والأناقة أن يتجنب المهن التي تجعل منظره يبدو غير مرتب ، ولكن ليس بوسع أحد أن يفكر منطقياً وبعمق دون أن يقوم بدور الفيلسوف على طريقة الهواة على الأقل . وفضلاً عن ذلك فليس في وسع أحد أن يتأمل تجربته الشخصية الخاصة ويصل الى أية نتائج (حتى ولو كانت مفتقرة تماماً الى الدقة) عن العالم أو الحياة أو طبيعة الوجود ، ومعناه دون أن يكون قد أقحم في تفكيره ضمنياً على الاقل مذهباً فلسفياً كاملاً ، ذلك لأن ما يفعله الفيلسوف المحترف هو أنه يعرض بالتفصيل ذلك المذهب الفكري الذي توجد بذوره البسيطة في أي رأي ساذج غير واع عن العالم ، والفارق الاساسي بين آراء المفكر والفيلسوف المدرب ، وبين الخواطر غير النقدية التي تطرأ على الذهن الساذج من الوجهة الفلسفية هو فارق في المسافة التي قطعها كل من الذهنين : أي إن كل ما يفعله الفيلسوف هو أنه يمضي أبعد في نفس الطريق الفكري الذي يسير فيه المفكر غير النقدي دون وعي ويسلك طريقاً أقصر . إذ إنه قد اكتسب مزيداً من الخبرة في جنب الطرق المسدودة والمسالك الفرعية العقيمة التي تعترضه خلال سيره . وفضلاً عن ذلك فالأرجح أنه خلال سيره يرى تفاصيل أكثر (أي أكثر أهمية وأعمق معنى بحق) ومع ذلك فالطريق العام الذي يسلكه كل منها يظل واحداً (١٢ : ٩)[1] . وتقتضي الفلسفة من المعلمين والعاملين في التربية أن يستخدموا العقل لا العاطفة إذ إن ادراك أي مشكلة هو عمل عقلي قبل كل شيء ، والعقل مطية الفلسفة وادارتها المشحونة المهيأة لمثل هذه المهمة . وهكذا نصل إلى القناعة القائلة إن « التفلسف أمر لا مفر منه مهما تكن وجهة نظر المرء بالنسبة للعالم وإلى المجتمع الذي يعيش فيه » (١٢ : ٢) .

معنى الفلسفة وطريقتها ومادتها

الكلمة في أصلها **يونانية** النحت والبناء ، وتعني **حب الحكمة** ، ومن هنا كان الفيلسوف محباً للحكمة . وقد نفضل وجهة النظر الحديثة بالنظر إليها على أنها **السعي وراء الحكمة أو البحث عنها** (١٢ : ٢٢) .

والكلمة الإغريقية (**فيلوسوفيا**) كانت تستخدم أساساً بمعنى شامل جداً لتغطي جميع صور المعرفة والبحث عن طبيعة الإنسان والكون (١ : ٣٢) ، ذلك لأن الفلسفة تعتبر الأم المنجبة للعلوم جميعاً وهي

ملكتها غير المتوجة ، لأن جميع العلوم بدأت كفروع للفلسفة .

والمعرفة هي ميل الفيلسوف وشغله الشاغل ، **والفهم هو هدف** حياته الدائم الذي يسعى إليه ، والمعرفة التي يسعى إليها أطراف النهار وزلفاً من الليل هي المعرفة الشاملة أو على الأقل المعرفة التي تكون شاملة بالقدر الذي تتيحه الحياة البشرية القصيرة والحدود التي لا يتعداها الذهن البشري ، والتي يؤدي شمولها إلى نوع من الفهم الأصيل للكون والتجربة البشرية بأكملها ، أي إن الفيلسوف يتخذ « المعرفة كلها ميداناً له ومن التجربة بأسرها مادة خاماً لبحثه ، ويهدف إلى وضع مركب لا يخرج عنه أي وجه للوجود أو أي جزء من الفكر أو أية ذرة من الواقع » (١٢ : ٣٠) . **وهدف الفيلسوف من كل ذلك تكوين صورة شاملة تامة التوحيد للواقع ، وهو يقصد بالواقع عادة مجموع التجربة كلها ، من ماضية وحاضرة ومستقبلية وفعلية وممكنة ، فكل شيء في كل مكان وحيثما حدث هو وقود لآلة الفيلسوف الذهنية** (١٢ : ٣٠) .

ونجد لدى الفيلسوف ادراكاً واضحاً للمشكلة التي يعالجها ، لأن أدلته الفلسفية تطوع له الحجج والاعتراضات التي قد تثار حول المشكلة الفلسفية المبحوثة . ويحرص في فلسفته ونظرته الفلسفية على تحقيق التوازن بين النظرة التحليلية بما فيها من تشريح دقيق للمشكلات وتفريع دائم لها ، وبين النظرة التركيبية بما فيها من رؤية جامعة شاملة لكل مشكلة في صلتها بالتجربة الإنسانية عامة (١٢ : ١) . وهذا كله يؤدي فيما يؤدي إليه إلى الربط بين المشكلات الفلسفية وبين المواقف الفعلية التي يمكن أن يواجهها الفيلسوف والمتفلسف بالحتمية في حياته الخاصة والعامة (١٢ : ١) .

ماهية الفلسفة واهتماماتها

عندما نتصور الفلسفة نشاط أو عملية ذات أساس وظيفي ديناميكي يؤدي إلى تبسيط المشاكل أو على أنها المحاولة المستمرة للنظر إلى الحياة بمجموعها وبطريقة ثابتة (١٢ : ٢١) ، أو على أنها المحاولة الدقيقة المنظمة للربط بين الكون والحياة البشرية على نحو له فائدته ومغزاه ، عندها نجد العذر للاعتقاد الذي كان سائداً عند جمهور الناس المثقفين منهم وغير المثقفين بأن مهمة الفيلسوف والفلسفة تتضمن ثلاث مهمات رئيسية ترتبط مع بعضها بوشائج قوية متينة . **في المكان الأول** نحن ننتظر من الفيلسوف أن يعطي نظرة شاملة موجزة عن الكون ومكان الإنسان فيه . وفي **المكان الثاني** ننتظر منه أن يقوم بهذا العمل باتباع أسلوب عقلي وليس مثلاً عن طريق الحدس أو التصور الشعري . **وأخيرا** فالناس تنتظر من الفيلسوف أن يعطيها ، أو على الأقل أن يبرز لها وجهة نظر دينية في إمكانه أن يدافع عنها عن طريق العقل والمنطق . **وبهذا فإن الناس تنتظر من الفلاسفة أن يجمعوا بين أهداف وانجازات العلماء والأخلاقيين ورجال الدين ، إلا أنه ثبت تماما أن هذه التوقعات تفوق كثيرا ما يمكن للفلاسفة أن يحققوه** (١ : ٢٨) .

ويقول **الأهواني** عن الفلسفة ومجال اهتماماتها : « الفلسفة عندي متوسطة بين الدين والعلم ، فهي تشبه الدين من جهة أنها تحتوي على تأملات في أمور لم تصبح بعد يقينية . وتشبه العلم من جهة أنها تلجأ إلى العقل لا إلى التقاليد أو الوحي » (٢ : ٩) . فإذا كان العلم يختص بالمعرفة المحدودة والدين بالعقائد التي تتخطى نطاق المعرفة المحدودة فبين العلم والدين منطقة أو تخوم لا يهتم بها أي من العلم أو الدين وهي ما تكون مجال اهتمام الفلسفة ومدار التفاتها . من هذا كله نستطيع القول إن للفلسفة دوراً بشقين :

١ **الدور النقدي** - فالفيلسوف يفحص المسلمات التي قامت عليها تجارب واختبارات ونظريات العالم ويوجه الانتباه إلى ما فيها من نواحي القوة والضعف .

٢ **دور الفحص والتوضيح** للعلاقات المختلفة التي توجد بين العلوم المختلفة ، وبين العلوم وميادين الخبرة البشرية ، كالعلاقة بين الكيمياء والفيزياء والحياة وعلاقتها جميعاً بالتعلم وأساليبه وتأثير طرقه وممارساته وأساليبه بالثقافة ونظام القيم السائد .

أما الذين يتعايشون مع عالم القرن العشرين . . . هذا العالم المتغير المتفتح ، عالم التفجر المعرفي ، فقد تغيرت نظرتهم للفلسفة ولم تعد البحث عن الحقيقة المطلقة وعن الجوهر واللامتغير ، بل أصبح مجال اهتمامها واطاره العام العالم الأرضي المتغير ، وأصبح الناس ينظرون إليها على أنها المجهود المنظم المستمر من جانب الإنسان العادي والإنسان المتعلم لكي يجعل من الحياة شيئاً له معنى . فالفلسفة اليوم نشاط عقلي يرمي إلى فحص نقدي منتظم للمعتقدات والمبادىء حتى يجعل لهذه المعتقدات والمبادىء أساساً تقوم عليه وتقف به في أوجه الصراع المختلفة (١٣ : ٢) ، والفلسفة كما يقول عنها **ديوي** « لون من ألوان التفكير يظهر عندما تواجه الخبرة موقفاً من مواقف الشك ، ويستهدف هذا التفكير تحديد طبيعة الخبرة وصياغة فروض للتحقق منها تختبر في السلوك ، وهي ليست تصويراً صريحاً للمصالح المتصارعة فحسب إنما هي أيضاً دعوة لوجهات نظر جديدة لاحداث اتزان أفضل بين المصالح المتصارعة » (١٤ : ٢) . **وما الفلسفة إلا مبدأ « لتوجيه الانسان في سلوكه إزاء العالم المحيط به وأن اعتناقنا مبدأ موجها إزاء الحياة معناه اعتناقنا لفلسفة ما ، والمهم أن يكون اعتناقنا للمبدأ عن وعي وتعمق ووضوح في الرؤيا »** (١٤ : ٢) .

أما **النجيحي** فيرى أن الفلسفة أصبحت بالنسبة لإنسان اليوم « المجهود المستمر المتسق الدائم لكي يجعل من حياته حياة لها معنى ، يسيطر عليها الذكاء كلما أمكن ذلك » (١١ : ١٢) ، كما يرى أن من وظائفها الأساسية في المجتمع اليوم « أن نعيد فحص واختبار المؤسسات الاجتماعية وأن تحدد المبادىء والمستويات الأساسية التي يجب أن تقيم عليها مجتمعنا » (١١ : ١٣) . **ولعل ميدان التربية أكثر الميادين والنواحي الاجتماعية حاجة إلى « إعادة الفحص النقدي ، وإعادة التكوين لمعتقدات التربية ومفاهيمها »** (١١ : ١٣) ، وهكذا تقوى وشائج القربى والصلة بين الفلسفة والثقافة التي نشأت فيها ، لأن الفلسفة لا تفهم إلا من خلال مراجعة للثقافة التي نمت وترعرعت في

مهادها ، ودرجت في أرضها ، وكانت لها الصدى والواقع في الوقت ذاته .

مهمات التربية وأهدافها

يمكن أن نرسم صورة عامة تقريبية للمهمات التي ينتظرها المجتمع من التربية وهي :

●● أن تمد أفراد المجتمع من الرجال والنساء على حد سواء بحد أدنى من القدرات والامكانات الضرورية ، لأخذ مكانهم في المجتمع والسعي وراء المزيد من المعرفة .

●● أن تمد هؤلاء الأفراد بإعداد مهني يجعل منهم مواطنين صالحين ، قادرين على كسب عيشهم واعالة أنفسهم .

●● أن تثير فيهم الميل لاكتساب المعرفة وتذوقها .

●● أن تكسبهم وتربي فيهم التفكير الناقد البناء .

●● أن تجعلهم على اتصال بالمنجزات الثقافية والأخلاقية للجنس البشري ، وتعدهم لتقبلها والاعتراف بقيمتها (١ : ١٨) وتطويرها نحو الأفضل .

من هذا كله يتضح أن مهمات التربية وأهدافها في المجتمع ، أي مجتمع ، هي تطوير وخلق قيم جديدة واتجاهات وعادات سلوكية جديدة وايجابية تتناسب ومستلزمات المجتمع المعين (٨ : ٣) ، وأن البقاء والتقدم لأي مجتمع يعتمد على التربية ، سواء اكانت تربية مقصودة أم تربية غير مقصودة . كما أن هذه المهمات خلق قيم واتجاهات وعادات سلوكية جديدة وايجابية ، وتهيئة التقدم والبقاء للمجتمع ، تعد أهم وظائف التربية ، وهي تقوم بها في كل مجتمع ، ولكن الذي يختلف هو أسلوب القيام بهذه الوظيفة والعملية ، لأن النظام التعليمي في أي مجتمع ، ما هو سوى تركيبة اجتماعية معقدة لدرجة قليلة أو كبيرة ، وهذه التركيبة معدة إعداداً خاصاً لتنتج في الأفراد الداخلين فيه عدداً من المهارات والاتجاهات اتفق أفراد المجتمع على أنها مفيدة ومطلوبة في مجتمعهم ، وعليه فإن جميع الأسئلة التي يمكن توجيهها لأي نظام تعليمي تتلخص في النهاية في سؤالين هما :

● **ما الذي يتمسك به هذا النظام باعتباره شيئا ذا قيمة ويمكن أن يكون له غاية أو نهاية (الأرب) ؟**

● **ما هي وسائل هذا النظام التي تستطيع أن تحقق بكفاية هذه الغايات أو النهايات** (١ : ١٧) .

الفلسفة التربوية وكيف ولماذا ظهرت ؟

سؤال عريض يطرح نفسه ، **لماذا وكيف ظهرت فلسفة التربية ؟؟** ويمكن الاجابة بالقول :

لقد ظهرت فلسفة التربية بسبب نزوع التربية إلى الافادة من الفكر الفلسفي ومنحاه النقدي ، وسعيها وراء النظرة الشمولية المدققة .

ولكن ما هو التعريف والتحديد الذي يمكن أن نقدمه لهذا المصطلح الجديد : فلسفة التربية . يعرفها ويحددها **فيليب فينكس** بأنها تطبيق النظرة الفلسفية والطريقة الفلسفية في ميدان الخبرة الإنسانية الذي نسميه التربية . **ففلسفة التربية تعمل على نقد العملية التربوية وتعديلها والعمل على اتساقها وتوضيحها حتى تتلاءم هذه الخبرة الانسانية مع الحياة المعاصرة** ، كما تتضمن البحث عن مفاهيم توجد الاتساق بين المظاهر المختلفة للعملية التربوية في خطة متكاملة شاملة ، وتتضمن أيضاً توضيح المعاني التي تقوم عليها التعبيرات التربوية . وتعرض الفروض الأساسية التي تعتمد عليها المفاهيم التربوية ، وتنمي علاقة التربية بغيرها من ميادين الاهتمام الإنساني (١٠ : ٣٩) .

ويعرف النجيحي فلسفة التربية بأنها النشاط الفكري المنظم الذي يتخذ الفلسفة وسيلة لتنظيم العملية التربوية وتنسيقها وانسجامها وتوضيح القيم والأهداف التي ترنو إلى تحقيقها في اطار ثقافي وخبري معين (١١ : ح) ، وعلى هذا يمكن القول إن الفلسفة ، وفلسفة التربية والخبرة الإنسانية ، مكونات ثلاثة لكل واحد متكامل . وهكذا تلتقي الفلسفة بالتربية التقاء حمياً عن طريق المزج بينهما . ويصف **جون ديوي** فلسفة التربية الصالحة والمفيدة للعملية التربوية والعاملين بها بأنها الفلسفة القادرة على خلق التبديل والتغيير في الطرق والأساليب التربوية ، وتقدم مساعدة جليلة لتفهم المشاكل وحلها فيقول : « وفي الحق أن كل نظرية فلسفية لا تؤدي إلى تبديل في العمل التربوي لا بد أن تكون مصطنعة » (٧ : ٣٣٩ـ٣٤٠) .

ويقول ديوي عن فلسفة التربية كذلك بأنها نظرية التربية في أوسع معانيها (٣ : ٣٦) . ويمكن تعريف الفلسفة التربوية كذلك بأنها مجموعة القضايا الفلسفية التي لها علاقة بالنظرية التربوية (١ : ٢٧) ، وتقدم النظرية خدمات جلى للحقل ومجال الاختصاص التي وضعت فيه من مثل الوصف والتنبؤ والتفسير ، أي إن طبيعة الأحكام التقويمية ومنطق تبريرها هما أوضح نقاط الاتصال بين الفلسفة والتربية (١ : ٢٥) ، لأن الفلسفة التربوية هي الجهد الشاق لنقد واستيضاح أساسيات معتقداتنا (١ : ٦٦) التربوية والتعليمية .

وهناك ثلاثة أنظمة تتصل بفلسفة التربية اتصالا وثيقا وأصيلا ، هي علم الأخلاق أو نظرية القيم ، وعلم المعرفة أو نظرية المعرفة ، وعلم ما وراء الطبيعة أو النظرية العامة للوجود أو للحقيقة الواقعية .

فعندما نتفحص التربية وأهدافها والتعلم ودوافعه أو تقويمه وقياس نتائجه أو أثر الدين على التربية ، عندها نجد أنفسنا وجهاً لوجه أمام **قضايا أخلاقية** ، أي مع قضايا قيم . وعندما نتحدث عن المنهج كطريق يسلكه المتعلم في اتجاهه نحو المعرفة ، عندها يكون تعاملنا مع **المعرفة** ونظرية المعرفة التي تعرف بأنها : مجموعة من المسائل المهمة التي تتعلق بمنشأ وطبيعة وصدق المعرفة الإنسانية ، كما أن نظرية المعرفة التي نعتمدها لبناء المنهج تتأثر بفحوى ومضمون فكرتنا عن نوع وطبيعة هذا العالم الذي نعيش فيه ، وكنه الطبيعة الإنسانية ومدى ايماننا بوجود عالم علوي فيما وراء الطبيعة ، هنا كذلك نجد أنفسنا نتفاعل مع النظرية العامة للوجود أو للحقيقة الواقعية (٣ : ٣٥ـ٣٧) (١٤ : ٧) .

وظائف فلسفة التربية

يمكن لفلسفة التربية أن تقدم للمعلمين والعاملين في التربية المساعدات التالية ، كما يمكن أن تؤدي المهمات والوظائف التالية :

● تساعد وتسهل عملية النقد الفاحص للقيم المختلفة وتقدم طريقة فعالة لتوضيح الأهداف ومدى امكاناتها للتحقق والانجاز .

● تساعد وتسهل الفهم الواعي للطبيعة الإنسانية كطبيعة مرنة متكيفة يمكن السيطرة عليها وتوجيهها ، وكسلوك إنساني يمكن تفسيره على أساس وظيفي .

● تساعد وتسهل الفهم بطريقة أفضل وأكثر عمقاً للعملية التربوية ، كما تساعد على فهم معنى وطرق القيام بتلك العملية ، وفهم أنواع النشاط الإنساني المختلفة التي تكون أساسية للفرد الانساني خلال عملية التعلم .

● تساعد وتسهل رؤية العمل التربوي بطريقة كلية ورؤية العمل التربوي ومدى علاقته مع مظاهر الحياة والاهتمامات والممارسات الأخرى .

● تساعد وتسهل على تنمية الاتجاه نحو التساؤل والقدرة عليه وتذوقه وبذلك تنمي القدرة على التساؤل عن السبب والأسس التي تقوم عليها فلسفة معينة ، وفي أي محتوى ثقافي يمكن أن تطبق ، وما هي المفاهيم والفروض الأساسية التي تقوم عليها تلك الفلسفة . ومن هنا كان من مهمة فلسفة التربية توضيح ومناقشة وتفسير الفروض والمفاهيم التي تقوم عليها النظريات التربوية المختلفة بطريقة تسهل عملية تطبيق تلك النظريات التربوية ووضعها موضع التنفيذ والتطبيق والممارسة في المجال والميدان التربوي والتعليمي (١١ : ٧ـ٩) (٩ : ٤٥ـ٤٧) .

وهناك نفر من المربين ينظرون إلى التعليم والتربية بأنها قد أصبحا من أهم دعامات الانتاج والتطوير ومن أهم وسائل استغلال الثروات والطاقات الطبيعية البشرية منها والمادية (٨ـ١١٧) ، ولذلك نرى أن نظرتهم إلى الفلسفة التربوية تختلف فيرونها تقدم الخدمات والوظائف التالية :

● تحديد معالم العملية التربوية وتحليل العبارات والمصطلحات والمفاهيم الأساسية في التربية .

● مناقشة المشكلات التربوية وتقويم الاقتراحات والقيم ومناهج التفكير التي تقوم عليها الحلول المقترحة .

● دراسة المواقف الفلسفية المختلفة من حيث تأثيراتها وانعكاساتها وتأثيرها بالنظرية التربوية والسياسية والتعليمية والتربوية (٨ : ١٤٤ـ١٤٥) ، أي إننا لا ندرس فلسفة التربية لأجل ذاتها إنما ندرسها لأنها تساعدنا على تطوير نظرتنا للعملية التربوية وعلى توجيه مجهوداتنا وتنسيقها وعلى تحسين طرائقنا وأساليبنا في التدريس والتقويم والتوجيه والادارة (٨ : ١٧٧) .

صفات الفلسفة التربوية الصالحة للعالم العربي

● فلسفة تربوية تنبثق من **تراثنا الثقافي العربي الاسلامي** وتتفق مع الحاجات القومية والاجتماعية والاقتصادية وقادرة على مواجهة مشكلاتها المختلفة .

● فلسفة تربوية تبث في نفوس الناشئة الاعتزاز والنزاهة والحرية والتقدم ، وتعمل على **صيانة الخلق العربي الاسلامي والشخصية العربية** ، وتؤكد عبقرية الأمة العربية وخصائصها القومية ، وتصور حقيقة ما قدمته الأمة العربية من خدمات جلى إنسانية للحضارة البشرية في عصورها الزاهية .

● فلسفة تربوية علمية عملية واقعية تصور مشاكل العالم العربي وحاجاته وتعكس بمنتهى الأمانة آمال العرب الحاضرة وأمانيهم المرتقبة (١٣ : ١٢ـ١٤) .

أسباب ضرورة الفلسفة التربوية للمربين

ولعل الاستعراض السابق يسهل لنا أن نستنتج ونتقصى أسباب ضرورة الفلسفة التربوية للمربين والمعلمين والعاملين في التربية ، ونجد دواعي وأسباب ضرورتها من طرح وعرض النقاط التالية :

١ ـ توفر فلسفة التربية للمربين فهماً واعياً ورؤية واضحة للعملية التربوية وأهدافها وأبعادها وتطلعاتها إلى التطور والتغير ، ووسيلتهم لذلك ما تزودهم به فلسفتهم التربوية من قدرة على النقد والتحليل لأسس وأهداف أي نظام تربوي ، إلا أن هذا النقد والتحليل ليس بقصد الهدم والازالة ، إنما هو الهدم الذي يمهد الطريق لبناء تربوي جديد من خلال نظرة كلية متناسقة ومتماسكة ومعقولة قدر المستطاع ، لأن **اي اصلاح للتربية أو تطوير لها لن يكون جهدا ايجابيا وبناء ويؤتي ثماره اليانعة إلا إذا كان وفقا لأهداف واضحة** في التطوير والاصلاح (١ : ٢ـ٩) .

٢ ـ لأنها تتطلب من المربين نشاطاً فكرياً هادفاً إلى نقد وتحليل الخبرة التعليمية والتربوية للتعرف على **الأسس والفروض والقيم التي تقوم عليها الخبرة التربوية ،** ثم يتجه عائداً إلى العملية التعليمية والتربوية ليعمل جاهداً لتحصينها وارشاد العاملين فيها وتوجيههم ، فتتسع نظرتهم وتصبح أكثر شمولا وتتعمق خبرتهم وممارساتهم ، ويصبح فكرهم أكثر تحليلاً ونقداً فيضعون للعملية التربوية أهدافاً طموحة تحوز امكانات التنفيذ والتطبيق من أجل تطوير وتحسين العملية التربوية كلها .

٣ ـ تهيء الفلسفة التربوية للمربين من المعلمين والعاملين في التربية ركائز تتناسب مع الأسس الفلسفية والقيم السائدة في المجتمع دون أن يقيدها جمود التقاليد والقيم والأسس الفلسفية واستقرارها وثباتها عن دورها في التنبؤ الطموح أو يقف أمامها حائل يمنع اسهامها ومشاركتها في التغير والتطور نحو الأحسن في المجتمع .

ولن يكون للفلسفة التربوية ما تهيء من ركائز إلا العمل المتفاعل والارتباط بمشكلات المجتمع وثقافته وتقديم المساهمة لحلها ، لأن تجديد الفلسفة والتربية والقيم المختلفة والأساليب الاجتماعية إنما يسير متعاضداً بعضه مع بعض ، ولأن المجتمع في حركة مراجعة دائبة ومستمرة لأسسه وتقاليده وقيمه ، فيبقى الصالح النافع ويحاول استبدال غير النافع بقيم وأسس وآراء ونظريات جديدة تتلاءم مع حجم طموحاته وتطلعاته ،

ووسيلة المجتمع لكل ذلك **التربية المقصودة منها وغير المقصودة**، وهذا كله يزود المربين بخطة واضحة لتوجيه العملية التربوية التي يحملون أمانة القيام بها وأدائها على أحسن وجه بما يتفق وثقافة وقيم مجتمعهم .

٤ ـ تسهل الفلسفة التربوية على المربين أن تكون لهم نظرية تربوية تساعد على تنفيذ عملهم والقيام به ، ولعل السبب في أهمية النظرية التربوية للمربين نابع من أنها تشكل إطاراً من المفاهيم المتسقة المنظمة المرتبطة فيما بينها والتي تتصل بالميدان العلمي التعليمي وتطبيق ذلك على العملية التربوية (١١ ـ ٣٥) ، وتقوم النظرية التربوية للمربين بثلاث وظائف هي **الوصف والتنبؤ والتفسير** على أسس نقدية تحليلية سليمة ومقبولة علمياً .

والنظرية التربوية التي يؤمن بها المربون ويطبقونها هي التي تتحكم بأنواع الممارسات التربوية المطبقة للوصول إلى أهداف النظرية ، فعند الايمان بالمثالية في التربية التي تعتقد أن الإنسان روح في علاقة مؤقتة مع جسم مادي ، وان هذه الروح قد وجدت قبل أن يوجد الجسم ، وأنها باقية خالدة بعد فنائه واندثاره ، وأن الروح تنتمي إلى عالم أكثر سمواً من العالم الذي ينتمي إليه الجسد . . ويترتب على هذا الأساس أن تصبح وظيفة التربية هي تقوية الروح حتى تتمكن من الانتصار على الجسد وشهواته وترقى وتسمو إلى عالمها الأصلي عالم العقل . وهكذا يمكن القول إن المربي عندما يأخذ بوجهة نظر معينة في فلسفة التربية أو نظريتها ، فإن موقفه هذا دلالة وتعبير عن اقتناعه بأن النتائج التربوية التي تسفر عنها هذه الطريقة هي قطعاً برأيه أفضل من كل طريقة سواها .

وبذلك تتضح التأثيرات والانعكاسات المتبادلة بين الفلسفة وفلسفة التربية والنظرية التربوية والعملية التربوية وبين المربين والعاملين في ميدان التربية هادفين للوصول بالنتيجة إلى المربي ذي العقل المتفتح للأفكار الجديدة وللمربي الذي لا يضع قراراته بصورة نهائية غير قابلة للمراجعة ، لأن معتقداته وقراراته دائماً هي في موضع المراجعة واعادة النظر في ضوء ما يجد من شواهد وبراهين وانطلاقاً من عادته النقدية المتمثلة في قبوله عن رضى الاعتراف بأنه لا يوجد دليل أو برهان نهائي مطلق بحيث لا يصبح أي دليل جديد مروق لا محل له .



المراجع والمصادر

١ اوكو نور ، جي. دي ـ مقدمة في فلسفة التربية ، ترجمة محمد سيف الدين فهمي القاهرة ، مكتبة الانجلو مصرية ١٩٧٢ .

٢ أحمد فؤاد الأهواني ـ معاني الفلسفة ، القاهرة ، دار إحياء الكتب العربية ١٩٤٧ .

٣ بروبيكر ، جون، س . الفلسفات الحديثة للتربية ، ترجمة نعيم الرفاعي ـ دمشق المطبعة التعاونية ١٩٦٧ .

٤ دوس ، جيمس ـ الأسس العامة لنظريات التربية ، ترجمة صالح عبد العزيز وآخر ، القاهرة ، مكتبة النهضة المصرية .

٥ ديوي ، جون ـ تجديد في الفلسفة ، ترجمة أمين مرسي قنديل ، القاهرة ، مكتبة الانجلو مصرية .

٦ ديوي ، جون ـ التربية في العصر الحديث ، ترجمة عبد العزيز عبد المجيد وآخر ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٩ .

٧ ديوي ، جون ـ الديمقراطية والتربية ، مقدمة في فلسفة التربية ، ترجمة متى عقراوي وآخر ، ط٢ القاهرة ، لجنة التأليف ١٩٥٤ .

٨ صادق سمعان ـ الفلسفة والتربية ، محاولة لتجديد ميدان فلسفة التربية ، القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٦٢ .

٩ فينكس ، فيليب ـ فلسفة التربية ، ترجمة محمد لبيب النجيحي ، القاهرة ، دار النهضة العربية ١٩٦٥ .

١٠ فينكس ، فيليب ـ التربية والصالح العام ، ترجمة محمد العزاوي وآخر ، القاهرة مركز كتب الشرق الأوسط ١٩٦٥ .

١١ محمد لبيب النجيحي ـ مقدمة في فلسفة التربية ، القاهرة ، مكتبة الانجلو مصرية ١٩٦٣ .

١٢ ميد ، هنتر ـ الفلسفة ، أنواعها ، مشكلاتها ، ترجمة دكتور فؤاد زكريا ، القاهرة دار النهضة العربية ١٩٦٩ .

١٣ هاني عبد الرحمن صالح ـ فلسفة التربية ، عمان ، المؤلف ١٩٦٧ .

١٤ هاني عبد الرحمن ـ محاضرة عن فلسفة التربية القيت في طلاب مساق التربية العملية ، نيسان ١٩٧٤ الجامعة الأردنية عمان .

(١) جرت الاشارة الى المراجع والمصادر بأرقام داخل أقواس هكذا (١٢ : ٩). فالرقم الأول ١٢ هو رقم الكتاب في القائمة البيليوجرافية للمراجع والمصادر والذي اقتبس منه . والرقم الثاني ٩ هو رقم الصفحة التي جرى الاقتباس منها في ذات المصدر ع .ج . ض .



صلة الدين بالوازع الخلقي

بقلم : د. محمد رجب البيومي

﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها ﴾

« قرآن كريم »

رأي الماديين في نشأة الخلق الإنساني

ينكر الماديون أن تكون هناك صلة ما بين الدين والخلق ، إذ يرون الوازع الخلقي قد تكوَّن تلقائياً لدى الإنسان في عصوره الأولى خضوعاً لما صادفه من صعاب ، فهو حين كان يأوي إلى الغابات ويتغذى بالثمار والفواكه لم تكن لديه في رأيهم حاسة خلقية تدفعه إلى الخير وتثنيه عن الشر ، بل كان يندفع كالحيوان إلى حاجاته الجسمية تلقائياً دون نظر ، فهو في هذا الدور يتصرَّف بمحض الغريزة . وما زال كذلك حين اضطرته عوامل البرد في الشتاء ، وما يسقط من الأمطار والثلوج ، إلى أن يترك الغابات إلى المغاور والكهوف لتحميه مما يسبب الهلاك ، وهو عندهم قد رأى زملاءه يموتون تحت عوامل الافناء المروعة فرأى أن ينجو بنفسه ، ثم هو مضطر إلى اصطياد رزقه ، ولكن وحوش الأرض من آساد ونمور وذئاب وضباع تعترض طريقه ، ولا بدَّ من مقاومتها ، فهي تتسلح بالأنياب والمخالب وتهجم عليه في شراسة وغلظة ، فلا بدَّ أن يتعاون مع غيره من بني الإنسان لدرء ما يصادفه من غزوات الوحوش ، وإذا تعاون مع غيره فلا بدَّ أن يعمل على ارضاء من ينضم إليهم ، وأن يعرف لهم بعض الحقوق ، كما عليهم أن يحترموا رغباته ، ومن هنا شرع المجتمع يضع قواعد للسلوك تحفظ حق الفرد وتمنعه أن يعتدي على سواه ، وكانت هذه القواعد بدائية في أولياتها ، ثم أخذت تتفرع وتتسع بتقدم الأيام ، حين نشأت الأسرة فالقبيلة فالدولة ، حتى أصبح لدينا قانوناً أخلاقياً لا تجوز مخالفته ! والإنسان في نظر هؤلاء الماديين لا يكاد يفترق عن النمل أو النحل حين يضطر إلى التعاون الجماعي سعياً وراء المنفعة ، فالتعاون لديه عمل غريزي أكدته الحاجة ، ودعت إليه الضرورة ، وكذلك نجد الوازع الخلقي لدى الإنسان قد نشأ متدرجاً بتأثير أحواله الاجتماعية ، وسيتدرج في نهضته بتدرج أحواله حيث تأتي عصور قادمة ببعض القواعد الأخلاقية التي لا نلتزمها الآن .



الدين مصدر الخلق القويم

وحين نترك هؤلاء إلى غيرهم من ذوي الرسالات السماوية فإننا نجدهم يرون الإنسان قد ولد مزوَّداً بالوازع الخلقي ، لأن الله عز وجل حين علم آدم الأسماء قد أوضح له طريق الخير وطريق الشر ، وقد زوَّده بما ينفعه من الصالحات ، وهداه النجدين ، وقد قال الله عز وجل في كتابه ﴿ ونفس وما سواها فألهمها فجورها وتقواها ، قد أفلح من زكاها وقد خاب من دسَّاها ﴾ ، فالنفس البشرية قد ألهمت معرفة الفجور والتقوى إلهاماً كان المصدر الأول للوازع الخلقي في هذه النفس ، ومن هنا يختلف الحيوان عن الإنسان ، لأن الحيوان يسير في دنياه بمقتضى غريزته التي تدفعه إلى حفظ الكيان بالتغذية وبقاء النوع بالتناسل . أما الإنسان فقد سما بعقله حين عرف الخير والشر فطرياً بحكم تكوينه ، وباحساسه حين رزق العاطفة الداعية إلى الرحمة والاحسان .

والمأساة الإنسانية الأولى على الأرض تظهر مكان الوازع الخلقي في النفس ، وتدل على أن صوت الضمير يبعث تحذيره من دوافع الشر ، كما يرسل صيحات الندم والأسف لدى وقوع الكارثة ، فحين تنازع قابيل وهابيل إذ قدّما قربانين فتقبل الله أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، صاح قابيل لأقتلنك . وكان هابيل عاقلاً يهتدي بوازعه الخلقي ، فردَّ عليه فيما حكى الله عنه ، لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك ، إني أخاف الله رب العالمين ، إني أريد أن تبوء بإثمي وإثمك فتكون من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين ، وقائل هذا الكلام يعرف معنى الإثم ومعنى الظلم ، وهو بالتالي يعرف معنى العدل والطاعة ، وغريمه يعرف ذلك ولكن شراسته قد أسكتت صوت الوازع لديه ، يدل على ذلك ندمه المفرط حين اقترف جريمته ، ورأى أخاه جثة هامدة يعجز عن دفنها حتى يرشده الغراب ، فيصيح منفعلاً : ﴿ يا ويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين ﴾ .

الدين عنصر أصيل

وإذا كان أصحاب نظرية التطور قد رأوا في الدين أنه مجرد احساسات غامضة ، اتجه إليها الإنسان الأول حين رأى العواصف العاتية من زعازع وبروق ورعود وسيول تكاد تأتي عليه ، فعرف أن هذه القوى آلهة تتحكم فيه وتقدَّم إليها بالقرابين ، وأخذ يؤمن بالقوة الغيبية حين جهل التعليل العلمي لحوادث الطبيعة ، إذا كان أصحاب هذه النظرية يذهبون إلى ذلك ليجعلوا المصادفة العمياء وحدها هي التي أوجدت الكون ، وليطمئنوا إلى ذلك مكابرين ، فإن أهل الدراية من علماء الطبيعة أنفسهم قد اهتدوا إلى ما يناقض تخيلاتهم الموهومة ، ورأوا في اللجوء إلى المصادفة العمياء في معرض التعليل العلمي ما يشبه المزاح الهش ، إذ لا يعقل أن تنظم أمور الكون في دوراته الطبيعية على نحو لا يختلف ، وأن يتعاقب الليل والنهار والشمس والقمر منذ ملايين السنوات على سنن لا يشذ ، وأن تنشأ الحياة في النبات والحيوان والإنسان مطردة على أحسن منهج ثم يكون ذلك كله وليد المصادفة العمياء ، فلا بدَّ أن يكون هناك صانع حكيم فطر الكون على أبدع نظام ، ولا بد أن يكون الإنسان الأول قد زوِّد بمعرفة الخير والشر إلهاماً من ربه الخالق .

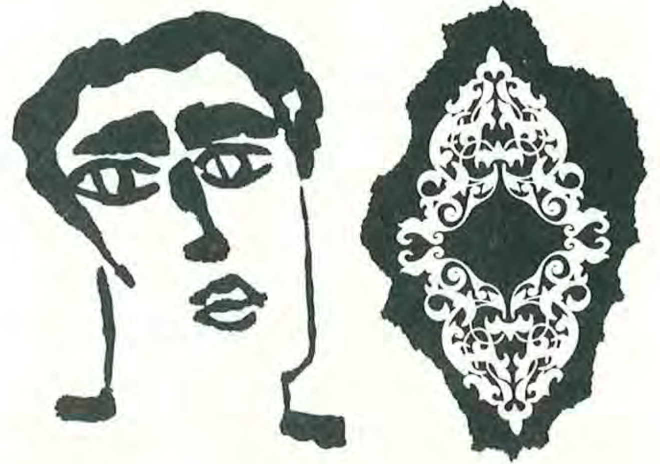
وقد قاوم الباحث الألماني الكبير الأستاذ (ماكس موللر) شبهات الماديين في كتابه (الدين وترقيه) جازماً بأن الناس في عهودهم القديمة كانوا أصحاب توحيد في الدين ، وأن تعدد الآلهة لم ينشأ إلا بعد انتكاس الطبائع ، ولم يكن تأليهاً لمظاهر القوة في الطبيعة بنوع عام . وإذا كان الإنسان الأول قد عرف التوحيد فقد آمن بالعدل والإحسان وميَّز الخير والشر ، استجابة لدعوات الأنبياء ، وسيراً وراء الفطرة الهادية ، وقد خلق الله الإنسان في أحسن تقويم مظهراً ومخبراً وصورة وفكرة لولا ما اكتنفه من غشاوات التضليل ومتاهاتها المظلمات !

دحض الشبهات

وحين نادي بتبعية الوازع الخلقي للدين ، لا بدَّ أن نستعرض شبهات من يذهبون المذهب المادي في نشأة الخلق ، وأن نكر عليها بما يدحض أدلتهم الواهية ، ليتضح الحق دون خفاء .

فأول شبهة لديهم هي أن الجماعات البدائية لا يوجد لديها وازع من خلق ، لأنها ـ وبخاصة في القبائل المتوحشة ـ تترك من الواجبات الأساسية نحو الآباء والأمهات والأطفال ما يدعو إليه الخلق العادي فضلاً عن الخلق المثالي ، ونرد على ذلك بأن فترات الضلال هي التي تطمس هذا الوازع ، لذلك اقتضت حكمة الله تعالى أن يرسل الرسل في ظلام هذه الفترات ليهدي الإنسانية إلى طريق الخير ، وإذا كان كل رسول يكافح العتاة ممن خالفوا أمره فإنه ينتصر في النهاية ، إذ يستطيع أن يخاطب العامة بما يكشف

ضلال هذه الأغشية . وإذ ذاك تنجلي الحقائق شيئاً فشيئاً على يده حتى يعود للوازع الخلقي حصانته المنيعة ، وإذا كنا نرى القطة ترتكس في بعض أحيانها فتأكل أولادها مع أن غريزتها الأصيلة تدعوها إلى الرعاية التامة بأفلاذ أكبادها ، فإن مثل هذه القطة لا تنهض دليلاً على فقد الغريزة بل تدل على أنها استثناء شاذ من قاعدة مطردة ، وكذلك من يتنكر للوازع الخلقي من بعض الجماعات البدائية يمثل الشذوذ الإنساني الذي لا يحزم القاعدة العامة ، بل يؤكدها أبلغ تأكيد ، فعلى الذين يضربون البدائيين مثلاً لمذهبهم أن يبحثوا عن مثل آخر لو يستطيعون .



أما الشبهة الثانية فهي ما نجده من تناقض في السلوك الأخلاقي لدى الناس ، إذ نجد بعض الأمم تعتقد الخير في شيء على حين تعتقد أمة أخرى أنه شر كل الشر ، فالرق كان أمراً لا معابة فيه عند فريق عاقل متزن ، وهو الآن جريمة نكراء ، وقد كانت المرأة سلعة تباع وتشترى عند الإغريق وهم أولو الحضارة الفكرية ، وأنصار الفلسفة العقلية ، وهي اليوم شقيقة الرجل وصاحبة حق مثل حقه ، والبوذيون ـ وقد اشتهروا بالرحمة ـ يرون قتل الحيوان الضار كالثعبان والعقرب جريمة نكراء ، وقصارى أمرهم أن يتحاموا أمكنة كل شرس متوحش ، وقتل الضواري عمل مشروع لا حرمة فيه ، والانتحار كان في عصر الرومان أوان افتخار ودليل تضحية وشرف ، وهو في الأديان بعامة جريمة لا تغتفر ، إذ لا يملك الروح غير فاطر السموات والأرض ، وحرمة مال الغير لدى بعض الطوائف ليست كحرمة مال من ينتمون إلى مذهبهم الديني ، ولكن المال اليوم ذو حرمة ، سواء كان مال عدو أو صديق ! هذا التناقض في المذاهب الخلقية يوحي أنها لا تجد مصدرها في الدين ، بل تتألف من عادات المجتمع ومثله الشخصية دون هيمنة سماوية ! والرد على هذه الشبهة سهل واضح ، لأن هذه الخلافات لا تتعدى الفروع العرضية ولا تتوغل إلى الأصول الثابتة في أرض الأخلاق ، إذ لا يوجد خلاف بتاتاً بين جميع الأمم شرقاً وغرباً على الأسس الثابتة لقواعد الأخلاق كإقامة العدل والإحسان وإسعاف المحتاج وعلاج المريض ، وعقاب المجرم ، وجزاء المصلح ، وتعهد الضعفاء بالمعروف والنهي عن المنكر . وإذا كانت لدى بعض الأمم خلافات في المذهب السياسي فليس ذلك بمانع أن نتفق جميعاً على منهج للاصلاح الخلقي العام ، وأول مصادره الكتب السماوية ، التي ترسم للبشرية طريقاً قوياً لا يميز عنصراً عن عنصر ، ولا يرفع قوماً عن أقوام ، بل نهتف بقول الله عز وجل ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ ، وإذا وجدت حكومات عنصرية تنادي بالطبقية وتميز البيض عن السود ، فقد خالفت قواعد الخلق ، وشذت عن أوامر الدين ، فهي ذات انتكاس يتطلب الانقاذ .

دلالة ارتكاز الخلق على الدين

بقي أن نشير إلى الدلالة الهامة لارتكاز المبدأ الخلقي على الدين ، حين نقرر أن الدين يؤدي دوره الخلقي كاملاً حين يكون مصدر ارتكاز لهذا الخلق ، فصاحب المعتقد الديني يلتزم بالأخلاق الفاضلة استجابة لأوامر دينه ، فهو يخاف الله قبل أن يخاف القانون ، فإذا سرق أو قتل أو فجر عرف أن السماء رقيبة عليه وأنه لن ينجو من عقابها إلا بالتوبة النصوح ، فأخذ يعمل على الرجوع إلى ربه نادماً مستغفراً ، ومصراً على الاقلاع عن الذنب دون معاودة ، أما صاحب الخلق الذي لا يؤمن بدين فأكبر ما يخشاه أن يقع تحت سيطرة القانون فتؤاخذه الدولة بجرمه ، وإذا نجا من مسؤولية القانون فقد انتهى كل أمر بالنسبة إليه ، وله أن يعد نفسه بريئاً إذ لا يؤاخذه أحد ، وفي ذلك حث على الجريمة ، إذ ما أكثر أن تمنع الاحتياطات الدقيقة ظهور الجرائم ، فينجو المجرم من العقاب ! ولصلاح المجتمع لا بد أن ترتبط الأخلاق بالدين ،وأن يعلم كل فرد أن عين الله ساهرة لا تنام .

إن صلة الدين بالوازع الخلقي لا تحتاج إلى ايضاح لدى من يؤمنون بالله ، وإذا احتاج غيرهم إلى مزيد من الايضاح ففي ما تقدم ما يقنع ويفيد .

من أمثال العرب

أصح من بيض النعام



يقال في العذارى . . ويراد سلامتهن من الملامسة والافتضاض . . يقول الفرزدق :

خرجن إلي لم يطمثن قبلي
وهن أصح من بيض النعام

أصدق ظنا من ألمعي

مشتق من لمعان النار . . ويضرب هذا المثل في من يظن فلا يخطىء . . ومثله اللوزعي . . قال أوس :

الألمعي الذي يظن بك الـ
ظَّنَّ كأن قد رأى وقد سمعا

إن أخاك من آساك

يقال : آسيت فلاناً بمالي أو غيره ، إذا جعلته أسوة لك . . وواسيت على لغة فيه ضعيفة بنوها على يواسي . . ومعنى المثل : إن أخاك حقيقة من قدمك وآثرك على نفسه . . يضرب في الحث على مراعاة الإخوان .

بغير اللهو ترتتق الفتوق

يضرب في الحث على استعمال الجد في الأمور .

تقطع أعناق الرجال المطامع

يضرب في مذلة الطامع . . يقول الشاعر :

طمعت بليلى ان تريع وإنما
تقطع أعناق الرجال المطامع

عصب فلان عصب السلمة



السلمة شجرة شاكة فإذا أرادوا قطعها اكتنفها رجلان فشدا أغصانها بحبل حتى يصلوا إلى أصلها فيقطعوها . . يضرب في التضييق على البخيل حتى يستخرج ما عنده .

عصا الجبان أطول

فالجبان يطول عصاه ليهول بها وليكون أبعد من عدوِّه إن ضربه بها .

أشبه من الماء بالماء



قالوا : إن أول من قال ذلك اعرابي وذكر رجلاً فقال : والله لولا شواربه المحيطة بفمه ما دعته أمه باسمه ولهو أشبه بالنساء من الماء بالماء . . فذهب مثلاً .

أعلى الله كعبه

أي شرفه وجده . . يضرب في دعاء الخير .

الحليم مطية الجهول

أي يحتمل جهله ولا يؤاخذه به . . يضرب في وجوب الاغضاء عن الجاهل .

أنا ابن بجدتها

الضمير للأرض . . أي انا العالم بها كأني نشأت فيها . . من بجد بالمكان إذا أقام به . . وأصله في الهادي الخريت (الدليل) ثم تمثل به لكل عالم بالأمر ماهر فيه .

من أمثال الشعوب



●● يده باردة لكن قلبه دافىء .

●● الأحداث أعلى صوتاً من الكلمات .

(أميريكا)



●● النقد سهل . . لكن الفن صعب .

●● نصف العالم يضحك على نصفه الآخر .

(فرنسا)

●● كثرة الترحال . . تزيد العاقل حكمة . . وتزيد السفيه غفلة .

●● أضعف أنواع الحبر . . أفضل من أقوى ذاكرة .

(بريطانيا)

●● لا تلتمس شيئاً ممن كان شحاذاً . . ولا تخدم من كان خادماً .

●● لا تنصح الرجل باثنتين : التطوع في الحرب أو . . الزواج .

(إسبانيا)



●● امتدح الزواج كيفما شئت . . ولكن احرص أن تظل أعزباً .

●● رأس قطة . . أفضل من ذيل أسد .

(ايطاليا)

●● الكبار غالباً ينسون . . والشباب دائماً لا يعرفون .

●● العروس الثرية تتزوج مبكراً .

(المانيا)

●● ثرثرة الإنسان . . مرآة أفكاره .

●● كل شيء صعب في بدايته .

(الصين)



●● يظل اللص مرتعداً . . كلما توقفت سيارة الشرطة أمام داره .

(روسيا)

العلاقات العامة

ماهي

بقلم: إيرفنج سميث كوجان
ترجمة: محمد فكري أنور

يقول، هنري فورد الثاني، رئيس مجلس إدارة إحدى شركات السيارات الكبرى «**إن ادارة الأعمال قد تعلمت، خلال العشرين سنة الماضية انه مهما اتصفت اجراءاتها بالقانونية والنظام عند تعاملها بأرقام الربح والخسارة، فان هذا وحده لا يكفي.. بل يلزم توافر عنصر آخر هو الفهم الإيجابي للأهداف والطموحات القومية، اجتماعية كانت أم اقتصادية إلى جانب بذل الجهد اللازم لجعل الإجراءات متوافقة قدر الإمكان مع الاتجاهات السائدة في الرأي العام**».

وبمعنى آخر.. فانه يجب على المؤسسة المسؤولة – قبل ان تتحمل تبعات تفسيرها لما تتخذ من اجراءات وما تصدر عنه من حوافز – أن تتفهم بل وتُعْنَى بالرأي العام والميول العامة. وذلك لسبب بسيط: هو أن المؤسسة العاملة لن يكون بوسعها جعل أهدافها مفهومة للعامة، ما لم تتوافر لديها الاستجابة الواعية لرغبات جماهيرها.

كتب.. **ايلموروبر** في مجلة ساترداي ريفيو SATURDAY REVIEW يقول: «**لقد مر حين من الدهر كان السؤال عن ماهية العلاقات العامة الناجحة، يجعل العيون**

تجحظ دهشة واستغرابا» ويضيف قائلا: «إن معظم الشركات من الناحية التاريخية. كانت قانعة تماما بمواصلة عملها دون أن يشغلها حكم الجمهور. إلا في قضية واحدة هي تحديد موقع السوق».

أما اليوم فان معظم مؤسسي الشركات يميلون إلى تعريف النظام الامريكي للمشروعات «الخاصة» بأنه لم يعد «خاصا».. بالعكس.. فقد تعلمت ادارة الأعمال أنها لن تستطيع مواصلة السير في دربها مالم تتسلح برضا جمهورها الدائم عنها. وفي هذا الصدد يردد **«مايكل. ف. تشارلي»** الرئيس السابق للاتحاد الامريكي للصناعات الدوائية. معبرا عن ضرورة الاستحواذ على رضا **الرأي العام** والمحافظة عليه. ما سبق أن قاله **«ابراهام لنكولن»** في الوقت الذي كانت فكرة العلاقات العامة لم تتبلور كما هي الآن **«إذا تم التعاطف مع الجماهير. فلا شيء يتعرض للفشل.. وبدونه لا شيء يمكن أن ينال نجاحا».**

ولكي يتسنى تحقيق ما يمكن التعبير عنه بأنه «الإذعان لرغبة المجتمع».. ولكي يمكن ممارسة فكر إدارة الأعمال بجانبيه الاجتماعي والاقتصادي. **فان الصناعة تعتمد غالبا على مستشار العلاقات العامة. ومن ثم فهي تتنامى.. أهمية وقبولا.. الأمر الذي يجعل المؤسسات تبادر إلى استثمار مبالغ هائلة في إعداد البرامج المنظمة وتخريج اخصائيين في العلاقات العامة لتوظيفهم بالشركات ومن ثم يصبحون جزءاً لا يتجزأ من القمة الإدارية بالمؤسسة.**

أصل الحكاية

رغم الحقيقة القائلة بأن اصطلاح «العلاقات العامة» بمفهومه المنهجي تخطيطا وتنظيما يعتبر من الاصطلاحات الحديثة الظهور. فان جذوره تمتد إلى الماضي البعيد.

ذلك أن المؤرخ **«ألان نيفنز»** يعود باصولها إلى **«الكسندر هاملتون»** الذي أصدر الصحف الفيدرالية لعام ١٧٨٧ - ١٧٨٨م باعتبارها سوابق للنظم والمعالجات التي تتم في مجال العلاقات العامة هذه الأيام. كذلك يعتمد دكتور «نيفنز» نظرية البروفسور **«برودس ميتشل»** القائلة بأن الحملة التي شنها بهدف كسب التصديق على الدستور تعتبر «أعظم الإنجازات التي شهدتها أمريكا في مجال العلاقات العامة».

وثمة طرف آخر. هو البروفسور **«سكوت. م. كيوتيلب»** الذي كتب في «جريدة العلاقات العامة» **قائلا ان الإنجاز الأول المتعارف عليه في مجال العلاقات العامة ورد من «جورج وستنجهاوس» عام ١٨٨٩ عندما استأجر هذا المخترع احد المخبرين الصحفيين واسمه «اي. هـ. هنريكسن» لمساعدته في مواجهة دعايات الطرف المواجه.**

وكان «وستنجهاوس» قد أسس شركته قبل ذلك بثلاث سنوات للنهوض بالموافقة على استعمال «التيار المتناوب» الذي أصبح - فيما بعد - كشفاً خطيراً.

وفي الولايات المتحدة كان **«ايفي لي»** و **«جورج مايكلز»** من الرواد الاوائل الذين جعلوا للعلاقات العامة تمثيلاً في مجلس إدارة شركتيهما.. كما يعتبر «لي» هو أول من قدم لعملائه خدمة بالأجر. وكان عملاء هذين الرائدين لمجال العلاقات العامة هم: (البرق والهاتف الامريكي. صناعة فحم الانتراسيت. وعدد من شركات السكك الحديدية).

تلك كانت حقبة المشاريع «الخاصة» بحق عندما كان المدير يعتقد بأن هموم الجماهير ليست هي شغله الشاغل.. وتميزت تلك الفترة بكونها فترة الهجوم الكاسح على الصحافة وفضائح الشركات. والاصطدامات العنيفة. «والنبلاء اللصوص».. والجمهور الساخط الذي لا يمل المطالبة بالاصلاح. وفي هذا المناخ. نشر «ايفي لي» اعلانه الذي أصبح ذائعاً الآن. والذي يعتبر بمثابة الشعاع الذي يضيء الوعي بأن تحقيق مصالح الجمهور هو أيضاً على المدى البعيد - تحقيق لمصالح العمل.

يقول «لي» في اعلانه: «ان خطتنا لصالح الاهتمامات العملية والمؤسسات الجماهيرية هي - بصراحة ووضوح - تزويد الصحف والجمهور في الولايات المتحدة بالمعلومات الفورية والدقيقة الخاصة بالاهداف ذات القيمة والتي يعنى الجمهور بمعرفتها».

وفي نفس الوقت تقريباً. وجهت وكالات الاعلان اهتمامها تجاه الجمهور والعلاقات العامة رغم أن أول إدارة رسمية «عامة» لم تنشأ إلاّ في عام ١٩١٩م وفي شركة **«اير وولده»** ثم تبع ذلك توسع في انشاء إدارات العلاقات العامة في أوائل ثلاثينات القرن العشرين بريادة كل من **«ج. والتر طومسون»** و **«يونج وروبيكام»** و **«نبتون وباولز»**.

ونجد **«كليفورد. ب. ريفز»** ملامح تلك السنوات المبكرة بأنها الفترة التي شهدت كثيراً من الإنجازات التي كانت من قبل. تتجاهل الجمهور. والتي تحاول الآن أن تخطب ود الناس بما يسمونه «الشعبية». ونظراً لأن تلك الجهود كانت. غالباً. مبالغاً فيها وغير دقيقة. فقد أدت إلى إضعاف الهدف الأساسي الذي بذلت من أجله.. بل انها أدت إلى خلق المزيد من الشكوك من حولها. لكن الغيوم انقشعت بالتدريج عندما

اتضحت حدود الفرق بين «تملق الشعبية» وسياسة الكشف الصريح المتكامل عن العمل.

ثم خطا التفكير الإداري خطوات إلى الامام بعيدا عن مجرد «الكشف الصريح للعمل» فشرع قادة العمل في تقدير عاطفة الجمهور واحتياجاته. ثم تنظيم انتاج الشركة على هذا الأساس. وهكذا خضعت أهداف العمل لعدد من التغيرات. في الوقت الذي تعلمت فيه الشركات أن الاهتمام بمطالب الجمهور، الذي يعتبر في الواقع نوعا من الأنانية المستنيرة، قد يكون محققاً لمزيد من الأرباح. ومن حيث ارتبطت النوايا الحسنة بنجاح العمل. فقد انهمكت الشركات في شؤون المجتمع كما اهتمت بالأنشطة الخيرية واقامت برامج للعلاقات العمالية وقدمت الدعم المالي للمؤسسات التعليمية.

ومع الاتجاه إلى جعل أنشطة العلاقات العامة على مستوى يوم العمل الكامل فقد ظهرت تحسينات جديدة في هذا المجال منها: استطلاعات الرأي العام. ودراسات الأمزجة مع استعمال اكثر كفاءة لوسائل الاتصال المتطورة والمتاحة.

نموذج كلاسيكي

كانت وكالة البرق والهاتف الامريكية واحدة من الشركات الأولى التي أدركت الحاجة إلى العلاقات العامة كجزء لا يتجزأ من عملها. وفي عام ١٩٠٨م كان لديها مدير متفرغ لقسم العلاقات العامة إلى جانب احتفاظها بمستشارها الخارجي للعلاقات العامة لمدة تناهز الخمسين عاما.

ونظرة في تفكير الشركة. من خلال مذكرة إلى المديرين التنفيذيين لشركة البرق والهاتف رفعها اليهم «**آرثر بيج**» نائب رئيس العلاقات العامة توضح ثلاثا من المهام المنوطة بإدارة العلاقات العامة هي:

١ - أن تكون مسؤولة عن **الرسائل** المنطوقة والمكتوبة والمصورة الخاصة بالشركة حتى يتوفر للجمهور فهم كامل لشخصية الشركة ومبادئها وإنجازاتها.

٢ - دراسة وتحليل ردود الفعل الجماهيرية في مواجهة **سياسات الشركة وانجازاتها**. بالإضافة إلى كافة جوانب التفكير الجماهيري الذي يؤثر في الشركة. والذي يضع أمام المديرين تصوراً لمدى قبول الجماهير لأسلوب الخدمات الذي تؤديه الشركة أو رفضه.

٣ - تقديم **الآراء والحقائق** للقادة الإداريين لمساعدتهم على تقديم الخدمات بأكثر الطرق تحقيقا لرضاء الجمهور وكذلك تزويد طاقم الإشراف بفهم كامل للعلاقات العامة المعنية بهذه المسائل.

أما اليوم.. وحين يصل عدد المساهمين بالبرق والهاتف الأمريكي إلى أكثر من ثلاثة ملايين، وعدد منسوبيها إلى ثمانمائة ألف موظف فان الشركة لا تزال تركز على حاجتها للمزيد من العلاقات العامة. ذلك أن موظفي الشركة جميعاً، ابتداء من عامل توصيل الكابلات وحتى رئيس مجلس الإدارة، على دراية كاملة بمدى أهمية العلاقات العامة في سبيل النهوض بالشركة وازدهارها.. والواقع **أن كثيراً من رؤساء مجلس الإدارة يصلون إلى هذا المنصب مروراً بقسم العلاقات العامة..**

والجدير بالذكر أن العلاقات العامة بهذه الشركة قد اقيمت على أسس واعية بحيث لا يصدر عن مجلس ادارتها أي قرار خطير دون أن يكون هناك اعتبار لرأي العلاقات العامة فيه. كذلك يقوم نائب رئيس مجلس الإدارة لشؤون العلاقات العامة بحضور الاجتماعات الأسبوعية التي يعقدها الرئيس ومن ثم يستطيع الادلاء بصوته في القرارات الجوهرية قبل أن تصل إلى مرحلة التنفيذ.

بالإضافة إلى ذلك هناك أربعة مساعدين لنائب الرئيس يختصون بالتخطيط البعيد المدى للعلاقات العامة في علاقتها بالجمهور والمقالات الدعائية. وعلاقات العملاء والاخبار والعلاقات الصحفية. والاتصالات عن طريق **الأقمار الصناعية**. ودراسات أمزجة الجمهور. والاتصال بالشركات الأخرى العاملة بنظام «**بيل**» BELL SYSTEM والنشاطات الإذاعية والتليفزيونية والمعارض والنشرات والمعلومات العامة لكل من موظفيها وعملائها والأفلام والعلاقات الاجتماعية والعلاقات المدرسية والاحاديث والزيارات التي تقام لمصانع الشركة.

العلاقات العامة .. ومرحلة النضج

يوصف النمو المعاصر للعلاقات العامة بأنه «**انفجاري**» في عام ١٩٣٧م قامت مجلة «**بيزنس ويك**» BUSINESS WEEK بنشر أول تقرير لها خاص «بالنمو السريع المدهش» في مجال العلاقات العامة فكان عدد العاملين في هذا المجال خمسة آلاف ناشر خاص و٢٥٠ مكتباً استشارياً.

وفي تقرير مشابه نشر عام ١٩٦٠م قدرت المجلة أن عدد العاملين قد ارتفع إلى مائة ألف والمكاتب الإستشارية إلى ١٣٥٠ مكتباً (وآخر الأرقام للعاملين عام ١٩٦٧ وصل إلى ١١٠ آلاف).

أما بالنسبة للشركات الكبرى بالولايات المتحدة فإن ٧٥٪ منها مزودة بأقسام للعلاقات العامة بمقارنتها بنسبة ٢٠٪ عام ١٩٣٧، وفي دراسة اجرتها هيئة استطلاع الرأي العام OPINION RESEARCH CORPORATION اتضح أن ٨٥٪ من شركات الولايات المتحدة التي تقدر ميزانياتها بخمسة بلايين دولار قد أقامت أقساماً للعلاقات العامة بها أو هي تستخدم مكاتب استشارية خارجة عنها. ويقدر انفاقها السنوي في أنشطة العلاقات العامة بما يزيد على بليونين من الدولارات.

وبمرور السنين اتسعت رقعة العلاقات العامة وظيفياً واجتماعياً. فأما بالنسبة للشركات والهيئات التجارية، والحكومات والمؤسسات، فان موظفيها يجندون لتحقيق أهداف الدعاية للمنتجات والتنمية الصناعية، والسياحة، وعلاقات المساهمين، واختيار الموديلات المناسبة والاقتصاد المنزلي، والارتباطات الصحفية وإعداد نشرات عن الشركة وبرامج العلاقات بالمجتمع وبالموظفين والاعلانات، وغير ذلك من الأنشطة اللازمة.

على أن مستوى نمو العلاقات العامة في بعض الدول يوازي مثيله في الولايات المتحدة. فقد كانت البدايات الأولى للعلاقات العامة في بريطانيا حوالي عام ١٩٢٠م ومنذ ذلك الوقت كان وصولها إلى كثير من دول العالم الحر سريعاً. **وفي عام ١٩٥٥م انشئت أول هيئة دولية للعلاقات العامة تضم الآن عدة مئات من الأعضاء الذين يمثلون ست عشرة دولة.**

وماذا عن المستقبل ؟

يعتقد أحد المستشارين المحنكين في مجال العلاقات العامة أن عدد العاملين في هذا المجال سوف يتضاعف خلال السنوات العشر القادمة. ويتصور مستشار آخر بأن ميزانية العلاقات العامة في الشركات ستصل مع عام ١٩٧٨م إلى ستة بلايين دولار في حين يصل عدد العاملين إلى ربع المليون.

العلاقات العامة .. ما هي ؟

من الصعوبة بمكان وضع تعريف دقيق لمفهوم «العلاقات العامة» نظراً لأنها جزء لا يتجزأ من العمل ولأنها لا يمكن فصلها عنه بأية حال من الأحوال.

ومنذ عدة سنوات وضعت مجلة «الثروة» FORTUNE تعريفاً للعلاقات العامة بانها «**العرض الجيد الذي أحسن توصيله للجمهور فتلقاه بالقبول**» ويعتبر هذا التعريف متواضعاً إذا قيس بمبادىء العلاقات العامة. أما مجلة «**أخبار العلاقات العامة**» PUBLIC RELATIONS NEWS فتضع تعريفاً أكثر شمولاً بأنها «**المهمة الإدارية التي تقدر أمزجة الجمهور وتضع أمام الفرد أو المؤسسة السياسات والإجراءات ذات الاهتمام الجماهيري، والتي تقوم بتنفيذ برنامج عمل يهدف إلى كسب فهم الجمهور وقبوله لأهداف الشركة**».

وعندما اجتمع عدد من خبراء العلاقات العامة بهدف وضع تعريف محدد لها، اتفقوا على ان يكون التعريف التالي معبراً عن آرائهم:

«**هي العملية المستمرة التي يكسب العمل، عن طريقها، القبول والتفهم من قبل عملائه وموظفيه والجمهور بمفهومه العريض، سواء أكان داخل حدود البلاد — من خلال التحليل الذاتي والتصحيح — أو خارجها بوساطة جميع وسائل التعبير**».

وعندما عكفت إحدى الجامعات الرائدة على وضع تعريف مناسب فانها عمدت إلى طرح السؤال التالي:

ما هي المهمة التي ينهض بها منسوبو العلاقات العامة.. مما لا يستطيع غيرهم أداءه ؟

بيد أن الابحاث التي أجريت لم تستطع التوصل إلى إجابة شافية. فقد صادفهم موقف صعب مؤداه أن العلاقات العامة تجرف جميع العاملين بالمشروع في أنشطتها سواء أكانوا من منسوبيها أم لا.. كما أن هناك بعضاً ممن يقومون بكل أنشطة العلاقات العامة باستثناء ما يتطلبه الانتساب المهني لها. من بذل الجهود الواعية التي تنهض لتنفيذ أعباء سياسة إدارية واعية.

لذلك عندما تصدى أحد المستشارين لشرح مفهوم العلاقات العامة بصفتها جزءاً لا يتجزأ من الحركة اليومية للعمل بل وشيء لصيق بجوهر العمل من أساسه فانه قال:

«**إن العلاقات العامة هي اللمعان فوق حذاء البائع، والابتسامة على ثغره، والفتوة في مصافحته. وهي موظف الاستقبال الذي يهبك عاطفة متدفقة وتحية صدوقة.. عندما تزوره في مكتبه.. وهي عامل الهاتف الذي يوصلك بمكالمتك بسرعة وكفاءة.. والخطاب الودود الذي تتلقاه من رئيس الشركة.. والعملاء الذين يفكرون ويتحدثون جيداً عن شركتك.. وفوق كل هذا فهي العملاء وقد غمرهم الشعور بالرضا عن الشركة وموظفيها وإنتاجها.. وهي عصب أي شركة لها أو هي علاقة بالجمهور.. كما أن أي شخص بهذه الشركة، ابتداء من رئيسها وحتى احدث صبي توظف بها، يعتبر موظف علاقات عامة**».

لقد اتضحت حقيقة هامة.. هي ان العلاقات العامة تتستر خلف الدعاية والعلاقات الصحفية.. فهي بالاضافة إلى القيام بعمليات الاتصال، تساعد على ادراك الإدارة لمتطلبات الرأي العام والاستجابة لها كما انها تساعدها على مواجهة المشاكل الخاصة بالجمهور سواء اكانوا عملاء أو موظفين أو مساهمين أو غير ذلك. كذلك فهي تحاول القيام بالعمل المناسب في الوقت المناسب مع التأكد من أن اجراءاتها تتصف باللطف والقبول.

وهي - في جوهرها - وجهة النظر التي تنشد تحقيق هدف بعيد، وهي ليست جهة إدارية ولا هي شخص معين ولا حملة دعائية، وان كانت تضم معظم هذه العناصر أو كلها.. أمامن ناحية الأثر الناجم عنها فهي الحالة العقلية والمزاجية تجاه الفرد ذو العلاقة مع المشروع.



القدرة والاستحالة

يقول «ج. **كارول بيمان**»: «إنني أشعر أحياناً أن البعض يتوقعون من العلاقات العامة صنع المعجزات. إنها ليست العلاج السحري لجميع ما يواجه العمل من مشاكل.. فقط هي مجرد واحد من الأنشطة التي تتضافر في سبيل حل مشكلة معينة».

على أن المتحدثين الفصحاء عن العلاقات العامة في مجال العمل وغيره يؤكدون دائماً على ان الكلمات لا تغني عن الأفعال، وأن حركة البيع أو الترقيات لا يمكن أن تحل محل الانجازات.

باختصار.. هي لا تستطيع تحقيق المعجزات كما انها لا تستطيع التغلب على مشكلة انخفاض معدل التوزيع ولا التصدي لأي فشل في مستوى الإنتاج. بالعكس فان كل ما تستطيع تحقيقه من آثار قد يطمسها سوء التصرف أو ضعف الخدمة أو السياسات الارتجالية.

ومن ثم فليس بمقدور مستشار العلاقات العامة، مهما بلغ حجم جهوده، أن يستبدل شركة مريضة باخرى سليمة.. ولا أن يبدل سيء الأعمال بصالحها.. وهو لن يستطيع تغيير هذا الموقف في أدنى حد ممكن ما لم تتوافر المادة الأولية التي تكون أساس حركة واعية للعلاقات العامة.

ان ما تستطيع العلاقات العامة تحقيقه هو التأثير في الامزجة والاجراءات الخاصة بالجهة الإدارية التي تستخدمها. فبوسعها مساعدة الإدارة على التعبير عن الاراء ووجهات النظر المتباينة كما أن بمقدورها الاستئثار بالاهتمام الجماهيري من خلال المنافسة على وسائل الاعلام إلى جانب مواجهة المحاورات التي تثيرها وجهات النظر المعاكسة.

ومما لا شك فيه انه متى أمكن تصحيح احدى العثرات التي وقعت فيها الشركة فان العلاقات العامة تستطيع ترميم سمعة الشركة وربط صورة الترميم هذه بالمتغيرات التي تتصدى الشركة لإجرائها.

ونوجز القضية برمتها في عبارة واحدة فنقول: **ان العلاقات العامة لا تستطيع تحويل الأسود إلى أبيض كل ما هنالك انها يجب أن تكون حقيقة أحسنت صياغتها.**

ليس من سبيل إلى تحويل الريح النتن إلى عطر ذكي.. كما انه ليس بمقدور شركة أو مؤسسة إقناع الجمهور بانها تعمل لصالحه في الوقت الذي لا تسعى فيه لذلك. هذه الزاوية يعبر عنها مدير العلاقات العامة بشركة «**وستنجهاوس**» للمعدات الكهربائية قائلاً «يجب أن نكون جيدين ليبدو شكلنا جميلاً.. كما يجب أن يكون الاداء في منطقة بعينها جيدا حتى يواكب النضال الذي يجب ان تبذله الشركة كي تحافظ على سمعتها في هذه المنطقة.»

الدعاية .. والحبال الصوتية

تعتبر الدعاية واحدة من الوسائل التي يستعملها رجال العلاقات العامة في تنفيذ برامجهم. وهي بالضرورة قصة عن

ومن ثم فان نسبة الدعاية إلى العلاقات العامة هي كنسبة الحبال الصوتية إلى جسم الإنسان ككل أو هي لا تزيد عما تصوره كلمة «استئجار» عند تحديد الوصف العام لوظيفة منسوبي الشركة.. كذلك يمكن اخراج برنامج دعائي مؤثر يستطيع تشويه العلاقات العامة السيئة.

وهكذا.. فقد يكون دور الدعاية ضاراً أكثر منه مفيداً إذا عرضت الشركة – من خلال القصص الاخبارية أو الصور أو المقالات والاحاديث على انها شركة متطورة متقدمة.. ثم فشلت عن تحقيق هذه الصورة أمام الجماهير.

ومن ناحية أخرى فان احدى المهام الأساسية لاخصائي العلاقات العامة هي تحقيق الدعاية اللازمة لشركته أو لعملائه. وهو يؤدي هذه المهمة عن طريق التعرف (أو خلق) الصور الاخبارية الصادقة عن منجزات الشركة، ومعرفة الوسائل الاخبارية الملائمة للوصول إلى الجمهور المرغوب، والعمل – عن كثب – مع المحرر أو الكاتب أو المخبر الصحفي أو الناقد في تقديم القصة أو مقال الرأي المناسب، وجمع الحقائق واعداد المادة التحريرية على الشكل المناسب لوسيلة الاعلان، ثم – بعد ظهور القصة – العمل على اختيار القيم التأثيرية الإضافية التي قد تتحقق عند إعادة نشر الإعلان أو إصداره بوسيلة اعلامية أخرى.

إن الدفاتر التي تلصق عليها قصاصات الصحف والمجلات لا تصور دور رجل العلاقات العامة في تحركه لصالح شركته أو عميله حول السياسات المعتمدة أو معلومات البرامج والخطط أو تنفيذ المشروعات التي حددت للنهوض بالاذواق مع الموزعين وتجار التجزئة أو إنشاء وتنفيذ علاقات الشركة مع المساهمين والجمهور.. كل هذه الأشياء التي قد تكون بالغة الأهمية للعلاقات العامة بالشركة عنها بالنسبة للدعاية ذاتها.. وباختصار.. فالدعاية ليست بديلة للعلاقات العامة.

التخطيط الجيد

ليس هناك برنامج عمل يمكن وضعه بحيث تتقيد به أقسام العلاقات العامة بجميع المؤسسات. ذلك أن لكل مشروع مشاكله الخاصة، وعلى العلاقات العامة فيه مواجهة تلك المشاكل والتصدي لحلها.. فإذا توفرت للمشروع «علاقات عامة» جيدة، فلا شيء يترك للصدفة والارتجال.. بل يخضع كل شيء.. للتخطيط.



الشركة أو إحدى السلع أو خدمة ما.. ومن ثم فالقصة الصالحة هي تلك التي تنشر حيث يمكن أن تؤدي إلى الأثر المطلوب مع الجمهور الحقيقي. وقد تجري الدعاية بواسطة الإذاعة (بالراديو أو التليفزيون) أو بالطباعة (بالأعمدة الدورية بالمجلات أو الصحف اليومية أو مطبوعات الشركة أو الكتب أو الجرائد الفنية.. الخ).

وفي سبيل الحصول على الدعاية فلسنا بحاجة إلى خبير في العلاقات العامة.. فقط نكون بحاجة إلى تحديد الخطوط الأساسية لما إذا كان المطلوب هو:

أ – سرقة أحد البنوك.

ب – القفز من فوق جسر «بروكلين».

جـ – الهروب – بالملابس الداخلية – من «بارك افينيو» أو إليه.

د – الفرار بميزانية الشركة.

كل واحد من هذه الافكار كفيل بتحقيق الدعاية اللازمة لكن ليس أي منها كفيلاً بأن يحقق لنا أي مستوى في تطوير العلاقات العامة.

وهكذا.. لا يزال لدى بعض المديرين التنفيذيين الاصرار على اعتبار العلاقات العامة بانها الجهة التي يناط بها «نشر صورة باحدى الصحف» أو «حجز مساحة في صفحات المجلة لاعلانات الشركة.. صحيح انهم يحضرون اجتماعات مجلس إدارة العلاقات العامة لكنهم – في الوقت نفسه – يحددون مدى نجاح البرنامج وحجم الدعاية التي حققها للشركة.



مطالعات... في الكتب

مع ابن جبير في رحلته

تأليف: عبد القدوس الأنصاري
عرض وتحليل: محمد سعيد العامودي

لكتب الرحلات في أدبنا العربي، قديمه وحديثه، وفي الآداب العالمية جميعاً، مكان بارز ملحوظ.

ليس من ناحية «الكم» فحسب.. بل من ناحية أخرى، أراها هي الأهم.. وهي أن كتب الرحلات تبدو في الغالب أكثر جاذبية.. ربما لأن الحديث فيها ذو طابع ذاتي.. يزجيه الرحالة المؤلف لقارئه أشبه بمناجاة بين صديقين متقاربين، فالرحالة وهو يسرد وقائع رحلته وخاصة إذا كان يتمتع بأسلوب سهل جميل، ويصدر في عباراته عن عفوية محببة لا تكلُّف فيها، لا ريب في أنه في مثل هذا الموقف لا يمكن إلا أن يجذبنا إلى متابعته بكل شغف، وبكل اهتمام.. وليس أكثر من هذا سبباً يجعل من كتب الرحلات على اختلافها أهمية خاصة، لا أقول تفضُلُ بها سائر الكتب.. فليس هذا وارداً، وإنما فقط يحيلها إلى مائدة شهية لها مذاق خاص يتوق إليه معظم القارئين.

وواضح أن كتب الرحلات، هي — كغيرها من الكتب أيضاً — تختلف أهمية ومكانة وأثراً.. فإذا كانت الشهرة والسيرورة، هما في معظم الأحيان «مقياس» أهمية أي كتاب، أمكن القول إن ما اشتهر وذاع من كتب ألَّفها بعض الرحالة المسلمين، على مر العصور وفي شرق وغرب، ما كانت لتظفر بما ظفرت به من ذيوع وشهرة لولا ما تميزت به من أهمية ومكانة خاصتين، سواء من ناحية ما حفلت به من معلومات زاخرة في التاريخ أو الأدب أو وصف البلدان... أو من ناحية دقة الوصف، وسهولة العرض وجمال الأسلوب.

ولعل كتابَي «رحلة ابن فضلان» و«رحلة ابن جبير» الأندلسي الكناني، وهما الكتابان اللذان خصهما بالذكر من بين سائر كتب الرحلات القديمة: الأستاذ الباحث **عبد القدوس الأنصاري** في كتابه هذا القيم، هما خير مثالين.. جديرين بالتنويه.

أقول هذا وأنا بصدد الحديث عن هذا الكتاب، أعني كتاب الأستاذ عبد القدوس، والذي خصه بالرحالة «محمد ابن جبير» وكتاب رحلته.. حيث قدم لقراء العربية هذا الكتاب في عرض جيد، وسياق لطيف مع ابداء ملاحظاته عليه..

ومن خلال ذلك أبان للقارئين أهمية هذا الكتاب الفريد في تاريخنا الثقافي والحضاري، ثم أحقية الرحلة نفسها بين سائر الرحلات العالمية، بما حظيت به من شهرة وذيوع، ومن عناية واهتمام.

والواقع أنه ليس من المبالغة إذا ما قيل عن كتاب رحلة ابن جبير، إنه أهم كتاب رحلة في لغتنا العربية ظهر حتى الآن.

وقد لا يكون من حقي، أو في إمكاني أن أفيض في وصف هذا الكتاب، بعد أن أغنانا المؤلف الفاضل عن كل ذلك، أو بعد أن عبَّر لنا عن سر إعجابه بهذه الرحلة في كلمات قلائل حين قال:

«.... وإعجابي بهذه الرحلة «رحلة ابن جبير» نابع من حيوية أسلوبها، وامتلاء أبعادها وأوصافها بروح الأدب العربي العالي مع حسن استيعاب المعلومات، إلى براعة التصوير والتمثيل والتشبيه، وجودة الوصف وصدقه، والتحري بقدر طاقة الرحالة عن حقائق الأمور المتحدث عنها، فلا يؤثر عليه — غالباً — في هذا الجانب السرعة التي تلازم كتاب الرحلات.

ويضاف الى ذلك **تحقيق ابن جبير للظروف والتواريخ المتعلقة بالحوادث** التي يذكرها أو يراها وامعانه للنظر في السياسات المتعارضة في ذلك العصر الذي كتب فيه رحلته بحيث جلّى لنا كثيراً من الأحوال الخفية والغامضة على «شاشة» كتابه.. ثم اتاحته الفرصة للمسلمين المعاصرين لرفع الأستار الكثيفة والخفية عن الأحداث وأسبابها الخفية التي تحرك مجتمعاتهم ذات اليمين وذات الشمال،

وتعريف بعضهم ببعض، لتزول عنهم غشاوة الخوف والحذر بالنسبة لبعضه . . »

ومن هذا التحليل الوجيز، يقدمه لنا الأستاذ عبد القدوس، لكتاب رحلة ابن جبير وسر اعجابه به . . نفهم **أن هذا الرحالة الشهير، لم يكن في رحلاته «مجرد عابر سبيل» شأن أصحاب الرحلات الآخرين** . . ممن دونوا الكثير من الكتب، وإنما كان «ابن جبير» رحالة من طراز آخر عجيب . . رحالة له «قضية» كما نقول في هذا العصر . . . أو بعبارة أوضح، لديه اهتمامات ترتبط بحياة المسلمين، كثيراً ما تدعوه الى أن يتصل بهذا أو ذاك ممن لهم شأن ومقام، هو إذن أشبه برجل سياسة محنك، أو دبلوماسي «جواب أفاق» يتنقل من بلد الى بلد، كي يسمع ويرى، ويسجل ويصف، دون أن ينسى أو يتناسى تقصيه لمجريات الأحداث العامة . . وحقائق السياسات المتعارضة، ثم تثبيت انطباعاته عن كل ما يشهده ويراه ويلاحظه . . في كتاب رحلته . . لغرض حميد، هو أن يصل هذا الذي يكتبه للناس . . يصل الى من يهمهم الأمر من حكام المسلمين.

وما أكثر ما كان يدور من أحداث، ويحاك من خطط، في عصر ابن جبير، وقبله وبعده، ضد الإسلام والمسلمين.

وقد كان من حسن صنيع المؤلف أن أضاف فصولا قيمة وممتعة في كتابه تحدث فيها بتفصيل واف، عن تراجم ابن جبير في مختلف المصادر، وعن مشايخه ومن أخذوا عنه، ورحلاته في المشرق ورفقائه في رحلته، ثم مؤلفاته ودواوين شعره، واستغرقت هذه الموضوعات الفصول الأربعة الأولى من كتابه.

وفي الفصلين الخامس والسادس، يتناول بالبحث خط سير الرحلة . . ثم تحقيق نسبة كتاب الرحلة إليه، وتحقيق اسم الكتاب.

أما الفصل السابع فقد خصه بالحديث عن **شعر ابن جبير ونثره** . . وفيه نقرأ الكثير من نماذج شعر ابن جبير ونثره. ونلمح في شعره جودة الشاعرية وحرارة العاطفة إلى جانب نفحات من الحكمة تتخلل بعض الأبيات. ومن مختار شعره الذي أورده المؤلف قصيدته التي نظمها حين قدم المدينة زائراً وفيها يقول:

أقول — وآنست بالليل نارا:
لعلَّ سراج الهدَى قد أنارا
وإلا فما بال أُفق الدُجى
كأنَّ سنا البرقِ فيه استطارا
ونحن من الليل في حِنْدِس
فما باله قد تجلَّى نهارا ؟
وهذا النسيم شذا المسْكِ قد
أُعيرَ، أم المسكُ منه استعارا ؟
وكانت رواحلنا تشتكي
وجاها . . فقد سابقتنا ابتدارا
وكنا شكونا عناءَ السُرَى
فَعُدْنا نباري سِراعَ المهارى

★ ★ ★



أظنُّ النفوس قد استَشْعَرت
بلوغَ هوىً تخذته شِعارا
جرى ذكر «طيبة» ما بيننا
فلا قلب في الركب إلا وطارا

ويعلق المؤلف على هذه الأبيات بقوله: «تقع هذه القصيدة في «٣٢» بيتاً، ومن يقرأها يدرك علو نفَس ابن جبير في الشعر العربي.

ومن شعر ابن جبير في الحكمة قوله:

عليك بكتمان المصائب واصطبر
عليها فما أبقى الزمان شفيقا
ويكفيك في الشكوى إلى الناس أنها
تسرُّ عَدُوًّا أو تسوء صديقا

ومن قوله في مدح **صلاح الدين الأيوبي** من قصيدة مطلعها:

أطلَّت على أُفْقِك الزاهر
سعودٌ من الفلك الدائر

ومنها:

رفعتَ مغارمَ أهل الحجاز
بإنعامك الشامل الغامر
وأمَّنت أكناف تلك البلاد
فهان السبيل على العابر
وسحبُ أياديك فيَّاضةٌ
على واردٍ وعلى صادر
فكم لك في الشرق من حامدٍ
وكم لك في الغرب من شاكر

وللسلطان صلاح الدين الذي قهر الصليبيين واسترد منهم **بيت المقدس**، مناقب كثيرة شهد له بها أعداؤه قبل غيرهم وهي من مفاخر تاريخنا الإسلامي!

ومن لطيف شعر ابن جبير، وحسن اقتباسه فيه، هذان البيتان:

أيها المستطيل بالبغي أقصِر
رُبَّما طأطأ الزمانُ رؤوسا
وتذكر قول الإلهِ تعالى:
«إن قارون كان من قوم موسى»!

وأما نثر ابن جبير، فحسبه كتاب رحلته، وما اشتمل عليه من أسلوب محكم رصين؛ وقد أورد المؤلف نماذج قصيرة أخرى من نثره يمكن أن يرجع إليها القارىء.

الرحلة

ومع ابن جبير من بداية رحلته، **من غرناطة الى الاسكندرية**، يبدأ المؤلف حديثه عن رحلة ابن جبير، منذ أن شرع في رحلته الأولى إلى مكة المكرمة في سنة ٥٩٨ هـ/فبراير، ١١٨٢ م.

يقول المؤلف: «لقد حدد ابن جبير الساعات والأيام والشهور لهذه الرحلة مما يوحي أنه كان ممسكاً «دفتر يوميات» كان يسجل فيه الأحداث أولا بأول، وبانتظام، ومما يجعلنا نقدر أنه كان معه ساعة يأخذ منها توقيت وقوع تلك الأحداث.. بالساعات في كثير من الأحيان».

ويمضي في وصفه لوقائع هذه الرحلة في تحليل رائع لطيف.

فمن حديث عن الاسكندرية، كما شاهدها ابن جبير، الى حديث عن عمرانها وآثارها ومساجدها، وعمرانها المزدوج وحياتها الاجتماعية.

*

ونمضي مع المؤلف في بحث لغوي وتاريخي ممتع عن **الفندقة لغة**. في الفصل التاسع من الكتاب.. ثم عن **الفندقة في الحضارة الاسلامية**[1].. وذلك في سياق حديثه عن الفنادق التي نزل فيها ابن جبير.

ثم يعود بنا في الفصل العاشر إلى الحديث عن وصول ابن جبير، من الاسكندرية الى مصر، وما كان من عنايته بمشاهدة آثارها ومآثرها، وما يتخلل وصفه لهذه المشاهد من فوائد وطرائف كعادة ابن جبير...



وفي الفصلين الحادي عشر والثاني عشر، يصف لنا المؤلف مسيرة ابن جبير **من مصر إلى قوص ثم من قوص الى جدة، وما لقيه من متاعب، وصادفه من صعاب أثناء مروره بعيذاب الميناء البحري القديم، والقريب من ساحل جدة.. وكانت عيذاب**، كما يشير المؤلف، من أحفل مراسي الدنيا.. وهي في صحراء لا نبات فيها، وكانت بها وظائف لاستيفاء المكوس، التي رفعها صلاح الدين عن الحجاج، إلى أن يقول:

«.. وفي بحيرة عيذاب مغاص للؤلؤ، يستخرج منها أهلها اللؤلؤ.. يقول عنه ابن جبير إنه قريب القعر ليس ببعيد..»

وبعد معاناة شديدة من بحر عيذاب، يصل الرحالة ابن جبير الى مرسى «**أبحر**» عشية يوم الأحد الثاني من شهر ربيع الآخر سنة ٥٧٩ هـ.

وفي الفصل الثالث عشر يعقد المؤلف بحثاً لغوياً حول «الجلبة والجلاب»، والبُجاة أو البُجَّة.. في رحلات ابن جبير، **وابن يوسف، وابن خياط**.. وهو بحث موسوعي هام استغرق ما يقرب من عشرين صفحة من الكتاب..

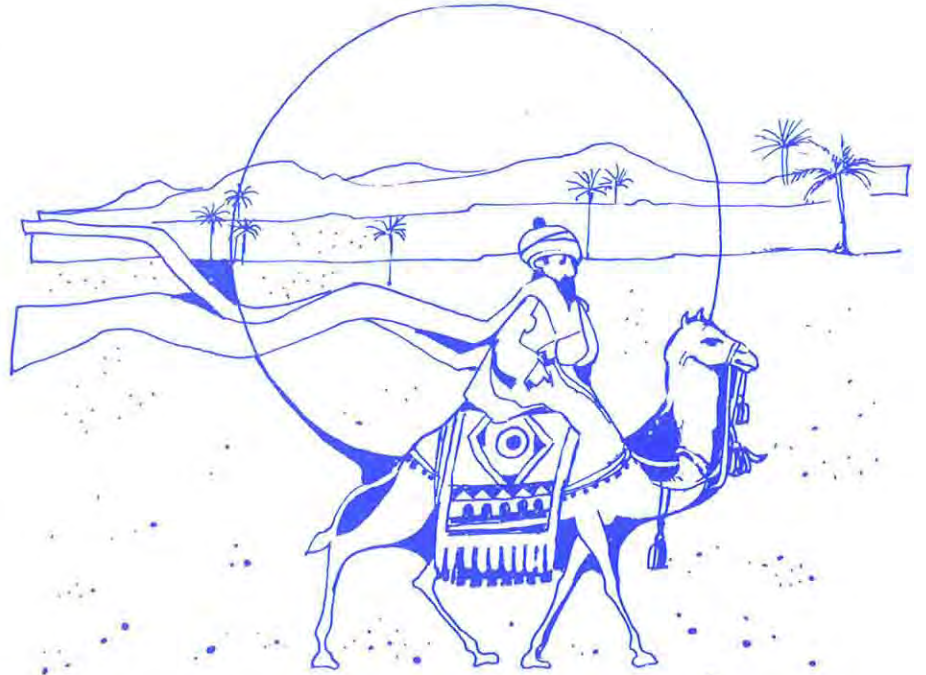
ثم يستعرض المؤلف في الفصل الرابع عشر، انتقال ابن جبير من **جدة** إلى **مكة المكرمة** وما وصف به ما شاهده من آثارها.. ومواسمها، وخاصة حديثه عن **المجتمع المكي**، في عبارات بالغة الدقة ينوه بها المؤلف في كل موضع، ويستلفت نظرنا هنا حديث الرحالة عن الرخاء الاقتصادي في مكة المكرمة.. وفي هذا الصدد يقول المؤلف:

«في سنة حج ابن جبير كان الرخاء الاقتصادي يسود أجواء مكة المكرمة، فالمتاجر الموسمية كانت تنتشر في موسم الحج آنذاك، ويقول ابن جبير في ذلك الرخاء الشامل ما نصه:

«فكنا نظن أن الأندلس اختصت من ذلك بحظ له المزية على سائر حظوظ البلاد، حتى حللنا بهذه البلاد المباركة فألفيناها تغص بالنعم والفواكه كالتين والعنب والرمان..» إلى آخر ما أشار إليه...

ولا يفوت ابن جبير أن يشيد **بصناعة الحلوى**، وصنَّاعها المكيين،





وطنب في وصفها ما شاء له بيانه .. ويعقب المؤلف على ذلك بقوله :

« .. هذه قصة **صناعة الحلوى بمكة المكرمة** يقدمها لنا الرحالة الأديب محمد بن جبر على أطباق من دُرّ بيانه المتوهج ، فيعرفنا بذلك بما كان عليه الأسلاف من نشاط صناعي تفوقوا فيه من هذه الناحية على مصر وغيرها من الأقطار المجاورة ، والتاريخ يعيد نفسه . . . »

ويمضي المؤلف مع صاحبه ابن جبير في وصفه لمشاهداته في مكة ، ومنها احتفال أهل مكة **بالعمرة الرجبية** .. وقد أجاد في وصفه وصفاً شيقاً يغري القارىء — كما يذكر المؤلف — إلى مطالعته في كتاب رحلته .

ويستلفت نظر ابن جبير أن النساء بمكة عيّن لطوافهن يوم خاص بهن دون الرجال فيجتمعن من كل صوب ، ولا تبقى امرأة بمكة إلا حضرت المسجد الحرام ، ثم لا يبقى به ، بعد فتح البيت الحرام ، أحد من الرجال ذلك اليوم . . .



وفي فصول تالية متتابعة ، يواصل المؤلف صحبته للرحالة ابن جبير في سائر تنقلاته ، ومرئياته ، وما يبديه من ملاحظاته ، وأحاديثه عن شهوده للحج . . ثم سفره الى **المدينة المنورة** ، ومنها الى **بغداد** ، ثم الى **دمشق** ، وأخيراً الى **صقلية** حيث ينتهي به مطافه هناك ، قبل أوْبَتِه الى بلده « غرناطة » في يوم الخميس ٢٢ من المحرم سنة ٥٨٠ هـ . ٢٥ ابريل سنة ١١٨٤ م .



وفي الأربعة الفصول الأخيرة من الحادي والعشرين الى الرابع والعشرين ، يتناول المؤلف الفاضل موضوعات أربعة بالتتابع ، الأول منها ما وصفه **بمكامن الجمال في رحلة ابن جبير** .. ثم **مصطلحات ابن جبير** ، ثم **ترجمات كتاب رحلته وطبعاته** .. وأخيراً : **ملاحظاته وانتقاداته على الرحلة** . . ومن هذه الملاحظات والانتقادات : سوقه للمبالغات الكثيرة في الأوصاف التي يصفها على بعض الأفراد ، ومنها استرساله في استعمال الكلمات الدخيلة ، يضاف الى ذلك استعماله لكلمات مهجورة تحتاج الى شرح وتفسير خاص . . كما أن الكثير من الملاحظات والنقدات ، مما استطرد إليه المؤلف الأريب ، ومعظمها — في رأينا — ليس بأمر ذي بال . . إذا ما نظرنا الى ميزات كتاب الرحلة ، على نحو ما مر . . وما اتسم به من موضوعية وأصالة ، وما ازدان به من بيان رفيع .

وبعد . . فهذا هو رحالتنا « **الباقعة** » محمد بن جبير . . وهذه هي رحلته الماتعة . . أو هذه — على الأصح — رحلة الأستاذ عبد القدوس الأنصاري ، مع صاحبه الرحالة الأثير . . وما من شك في أنه قدّم لنا كتاب رحلة ابن جبير ، في عرض وتحليل رائعين . . وأضفى عليه من رصين بيانه ووصفه وتعليقه — ونقده أيضاً — ما هو قمين أن يتيح قراءتها — في عصرنا هذا — في يسر . . وخاصة بين جيلنا الصاعد الجديد !



هوامش

(١) المجلة : طالع العدد الأول من مجلة « الفيصل » الصادر في شهر رجب ١٣٩٧ هـ .

العلم يواجه أسرار الشيخوخة





بقلم : د. عبد المحسن صالح

﴿ ونقر في الأرحام ما نشاء الى أجل مسمى ، ثم نخرجكم طفلا ، ثم لتبلغوا أشدكم ، ومنكم من يتوفى ، ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً ﴾ .

﴿ قال رب اني وهن العظم مني ، واشتعل الرأس شيبا ﴾ . . .

« قرآن كريم »



القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية واحد من القوانين الكونية الراسخة التي يستند إليها العلماء في تعليل الظواهر الطبيعية ، ومحاولة التعمق في أسرارها ، وهذا القانون هو في الأصل معادلات رياضية ، **والمعادلة هي اللغة الأصلية التي يتفاهم بها العلماء فيما بينهم** ، لكننا مع ذلك نستطيع أن نترجم لغتها الغامضة إلى لغة مفهومة ، فمضمون القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية ينص على أن « **الخلل الناتج من أي نظام يميل إلى الزيادة بمرور الزمن** » !

لكن . . ما دخل ذلك حقا بانسان يولد وينمو ويشتد عوده ثم « يرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم من بعد علم شيئاً » ؟ !

لأن الإنسان نظام حي مغلق متفاعل ، ولهذا يسري عليه ما يسري على كل ما في هذا الكون من نواميس لا خلل فيها ولا فوضى ، فالناموس أو القانون أزلي ، لكن المخلوقات جميعاً ـ بداية من الذرات والجزيئات والخلايا والمخلوقات ، حتى ننتهي بالكواكب والنجوم والمجرات ـ متغيرة ، أي إنها تمر بمراحل نقدرها نحن بفترات زمنية محددة ، أو كأنما الزمن نفسه يترك بصماته على المخلوقات ، فنترجمها نحن بمعايير الطفولة والشباب والرجولة والكهولة .

فكل نظام جديد يجيء متحرراً منطلقاً قوياً . . لا فرق في هذا بين آلة وسيارة وانسان ونبات وحيوان ونجم ومجرة في سماء ، لكن بعد فترات زمنية محددة يحل الضعف والقدم والفوضى والعطب بالآلات والمخلوقات ونجوم السماوات ، فتتوقف جميعاً عن الانطلاق ، وسبب هذا التوقف أن الخلل الناتج فيها سوف يتغلب حتماً على النظام الذي كان يدب فيها ، ليمنحها حياتها وكيانها وحركتها وتفاعلها ، وكلما مر الزمن ، زادت معدلات الفوضى والخلل ، حتى يأتي الزمن الذي يحدث فيه الانهيار أو الموت .

والشيخوخة إحدى ظواهر هذا الخلل الذي يزيد بمرور الزمن ، ولهذا كانت الكهولة نتيجة حتمية لكل المخلوقات على هذا الكوكب ، فهي جميعاً تتبع سنَّة الله في خلقه «ولن تجد لسنَّة الله تبديلاً» !

ومع ذلك ، فإن العلماء المهتمين بظاهرة الوهن والشيخوخة التي تصيب الكائنات الحية على اختلاف أنواعها وسلالاتها ، لا يزالون يبحثون في أسرارها ، علهم يكتشفون الأسباب الكامنة وراءها ، وقد يؤدي ذلك ألى نتائج طيبة ، ليستفيد بها المسنون في أواخر مراحل حياتهم ، فيقضون البقية الباقية من أعمارهم في راحة وطمأنينة وسلام ، بدلا من العلل والأسقام والآلام .

فهل توصل العلماء حقاً إلى وضع أيديهم على العوامل أو الأسباب التي تحيل الشباب إلى كهولة ، والقوة ألى ضعف ، والتحرر إلى قيود ، والشعلة ألى خمود ؟

نعم . . فهناك أكثر من سبب وسبب !

الذين تخطوا من سني عمرهم الأربعين أو الخمسين أو ما فوق ذلك ، يشعرون أن كل شيء فيهم يتغير ويهبط ويتمرد على النظام الحي الذي كان يسري قبل ذلك في أجسامهم سرياناً لا فوضى فيه ولا اضطراب ، وكأنما بصمات السنين قد تركت آثارها على الظاهر ، وفي الباطن .

ومن علامات هذا التغير والهبوط أن البشرة البضة اللينة قد أصبحت متجعدة مترهلة لا تسر الناظرين ، ويتحول سواد الشعر إلى بياض ، وتبرز العروق ، وتزيغ العيون ، وتتساقط الأسنان ، وتترنح الساقان ، وترتعش اليدان ، ويخبو الذهن المتقد ، وتضيق آفاقه ، ويقل التذوق ، وتنخفض كفاءة السمع ، وتنقص معدلات الهضم ، ويحل الوهن بالقلوب التي تنبض في الصدور . . . وبالاختصار ، يصبح الإنسان الهرم كالقلعة التي تكاد تنهار ، ثم تراه بالفعل ينهار ، فيفقد نظامه الحي . . وهو ما نعبر عنه بالموت الذي لا مفر منه لأي كائن حي ولا مهرب !

ولهذا الظاهر الذي عبر عنه الشاعر محمد شفيق المصري أجمل تعبير :

ومن يكتم حساب سنيه يوما فصفحة وجهه تبدي الحسابا

لهذا الظاهر باطن يرتبط به ، ويتأثر بما يجري في كيانه ، وعلى هذا الباطن تركزت بحوث العلماء بالمعادلات والتجارب والفحص والتحليل ، ومنها حصلوا على سبيل جارف من النتائج ، ورغم ذلك فلا زالت بعض أسرار الشيخوخة بعيدة المنال ، وكأنما الباطن الذي يبحث فيه العلماء قد تحول إلى ظاهر ، وهذا يعني أن للباطن باطناً أعمق وأدق وأصعب على المدارك والأفهام ، على الأقل هذه الأيام !

إن التحول من الصبا إلى الشباب إلى الرجولة إلى الكهولة والشيخوخة لا يحدث هكذا فجأة بل إن ذلك يستلزم زمناً لا يقاس بالأيام أو الأسابيع أو الشهور ، بل هو محصلة حتمية لكل السنين التي عاشها الإنسان منذ أن وفد إلى هذا الكوكب ، بمعنى أن الإنسان الذي يصل إلى قمة شبابه وقوته لا يبقى على هذا المستوى إلا لبضع سنين تعد على أصابع اليد الواحدة ، ثم يحل به تدهور تدريجي في كل وظائف جسمه الحيوية ، ولقد وجد العلماء أن معدل هذا التدهور يتراوح ما بين **٠,٥ - ١,٣ ٪** في كل عام من أعوام عمر الإنسان المقبلة .

والواقع أن هناك معادلة رياضية كان قد وضعها **كومبيرتز** ، أحد خبراء شركات التأمين ببريطانيا منذ عام ١٨٣٢ م ، هذا وتشير المعادلة إلى أن معدل الوفاة في البالغين يتضاعف بمرور الزمن كل ٧ - ٨ سنوات ، وهذا ما لا نراه مثلاً في مراحل الصبا والشباب ، وإن دل هذا على شيء ، فإنما يدل على أن الأجسام الحية يحل بها البلى والضعف والوهن والفوضى بمرور الزمن ، أو كأنما هي تتبع أحكام القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية !

بحوث لمعرفة أسباب الشيخوخة

على أن المراجع العلمية تزخر ببحوث كثيرة أجراها آلاف العلماء في عشرات أو مئات المعاهد والمعامل المنتشرة على وجه البسيطة ، والتي وهبت كل امكانياتها من أجل معرفة أسباب الشيخوخة ودوافعها ، ومن هذه البحوث ما يعالج الموضوع على مستوى كفاءة العضو أو النسيج ، ومنها ما يستكشف الأمر على مستوى الخلية أو الخلايا ، ومنها ما يذهب إلى أعمق من ذلك ، ويحاول أن يبحث عن سر الشيخوخة في مكونات الخلية ذاتها ، وما قد يعتريها من تغير وتبدل ، وما يؤثر فيها من عوامل طبيعية وكيميائية وبيئية وبيولوجية . . . الخ .

فالذين يسجلون كفاءة أداء أعضاء الجسم وأنسجته للوظائف الحيوية بها ، يضعون أمامنا حقائق مثيرة ، وهي جميعاً تشير إلى هبوط تدريجي بعد سن الثلاثين ، وكأنما كل شيء يعمل ، لا بد أن يستهلك .

فالقلب ينبض ، ويتعرض بذلك للاجهاد المستمر من كثرة ما ينبض . . ففي الدقيقة الواحدة ينبض ما بين ٧٠ - ٨٠ نبضة ، وفي اليوم اكثر من مائة ألف نبضة ، وفي العام اكثر من ٣٦ مليون نبضة ، ثم قدر بعد ذلك عدد النبضات التي نبضتها قلوب الذين طالت أعمارهم ، تخرج بعدد رهيب ، وهو بلا شك ينبئك بالعبء الثقيل الذي تتحمله القلوب والشرايين ، ثم ما يتبع ذلك من تغيرات جوهرية في مكوناتها ، فتؤدي إلى هبوط أكيد في كفاءتها ، ولهذا يقولون : **إن عمر المرء مقدر بعمر شرايينه ، واذا أردت فبعمر قلبه أيضاً !**

إن الدراسات التي أجريت على **القلوب والشرايين** تشير إلى أن معدل ضخ الدم إلى جميع أجزاء الجسم ينقص حوالي ٠,٧ ٪ سنوياً ، ومقدار الجهد الناتج من نبضة القلب ينخفض بمعدل ١ ٪ سنوياً ، كما أن مقاومة بعض الشرايين لسريان الدم تزيد بمقدار ١,٧ ٪ كل عام ، وهذا وغيره يعني أن كفاءة توزيع الدم لتغذية أنسجة الجسم يعتريها هبوط مستمر !

العلاقة بين الأعضاء

لكن ذلك ليس كل ما في الموضوع ، إذ إن المأساة التي تتعرض لها الكائنات الحية ذات جذور متشعبة ، أي إن ما يصيب أحد الأعضاء أو الأجهزة الحية بالضعف والوهن ، سوف يؤثر حتماً على بقية الأعضاء . . فعدم تدفق الدم بالمعدلات المناسبة ، يؤثر بلا شك على الأنسجة الحيوية ،

ويؤدي إلى هبوط ملحوظ في وظيفتها . . فالمخ الذي لا يزن اكثر من ٢٠ ٪ من وزن الجسم ، **يستهلك وحده ٢٥ ٪ من الأوكسيجين الذي يحصل عليه كل الجسم ، ومعنى عدم ورود دماء كافية لتعطيه اوكسيجينها ، معناه اختناق جد بطيء وشيخوخة وضعف في خلايا المخ . . صحيح أن الأثر لا يظهر بين يوم وليلة ، ولا بين شهر وشهر ، لكن اعط هذه العملية** البطيئة عمراً ، تعطيك مزيداً من الهبوط والشيخوخة .

وللكلى طريقتها الخاصة في الحصول على نسبة كبيرة من الدم ، وعندما يهبط نصيبها ، ويقل الوارد إليها ، فإن ذلك يؤدي إلى تكوين مادة كيميائية (اسمها **آنجيوتنسين**Angiotensin) تسبب **ارتفاع ضغط الدم** ، وهذا بدوره مرض من الأمراض التي تظهر كلما تقدم الإنسان في العمر ، أضف إلى ذلك أن ضغط الدم بدوره له آثار ضارة على وظائف الأعضاء الأخرى ، فهو مثلاً يجهد الكلى ، وقد يؤدي إلى انفجار الشعيرات الدموية التي تغذي المخ ، فيحدث فيه نزيفاً قد يؤدي إلى الوفاة ، كما أنه قد يصيب الانسان بالعصبية والقلق وما شابه ذلك . . **وهناك أيضا علاقة بين ضغط الدم وتصلب الشرايين ، وعلاقة بين تصلب الشرايين وحدوث الأزمات القلبية والذبحات الصدرية** التي تظهر عادة بمعدلات أكبر ، كلما تقدم الإنسان في العمر أكثر !

أرأيت اذن كيف تجري الأمور ، وكأنما هي حلقات متشابكة ، فيؤدي الضعف في هذه إلى عطب في تلك ؟ . . وطبيعي أن ما يجري على القلب والشرايين والكلى والمخ يجري على الرئتين والعضلات والكبد والغدد والأمعاء . . . الخ . . . الخ ، وهذا ما يقدمه لنا العلماء دائماً على هيئة رسومات بيانية تراها هنا وهي توضح كيف يتأثر معدل أداء الأعضاء بمرور السنين ، إذ كلما تقدم المخلوق في العمر ، حدث هبوط تدريجي في كفاءة مرافق الجسم ، وفي النهاية تتجمع الحصيلة ، فتزيد الفوضى ، ويختل النظام ، ليساير القانون الثاني من قوانين الديناميكا الحرارية الذي أشرنا إليه قبل ذلك .

* * *

لكن بحوث الشيخوخه الحديثة قد تناولت الموضوع من جذوره وأعماقه ، **فهبوط كفاءة أي عضو من أعضاء الجسم ، إنما هو انعكاس لهبوط في الوحدات التي تكون هذا العضو** ، ووحداتنا المقصودة هي الخلايا ، وهي بدورها تتكون من وحدات أصغر وأصغر ، ومن تناسق العمل بين هذه الوحدات الخلوية الدقيقة ، تستطيع الخلية ان تؤدي دورها بالنسبة للمجتمع الخلوي العظيم الذي يكون جسم المخلوق ، وعلى حسب كفاءة الخلية ونشاطها وشبابها ، تتحدد كفاءة النسيج فالعضو فكيان الكائن ككل .

فماذا وجد العلماء من مسببات الشيخوخة على مستوى الخلايا ، أو على مستوى الجزيئات التي تكون تلك الخلايا ؟

الواقع أنهم وجدوا أشياء كثيرة لا نستطيع لها هنا حصراً ، لكننا مع ذلك قد نمر على بعضها مر الكرام ، ليتبين لنا **أن الشيخوخة والموت نتيجتان حتميتان لكل نظام حي متفاعل** ، إذ لولا هذا التفاعل الحيوي الذي يجري في داخل أجسامنا ليل نهار ، لما عرفنا الحياة ، ولولاه **أيضاً لما عرفنا الشيخوخة والموت ، أي كأنما هذا يرتبط بذاك ارتباطاً لا مفر منه ولا مهرب !**

وظائف الخلية الحية

فمن صفات **الخلية الحية** أنها تتغذى وتبني وتهدم وتتنفس ، وقد تتكاثر تحت ظروف ، كما انها تهضم ما تحصل عليه بطريقتها الخاصة ، ثم إن لتلك العملية نفايات كيميائية ضارة ، ولهذا كان عليها أن تتخلص من نفاياتها أولا بأول ، وتطلق ما تخلصت منه في تيارات الدم ، فيذهب إلى الكليتين ليخرج مع البول ، إذ لو تجمعت هذه النفايات داخل الجسم لبضع ساعات ، لحدث الاغماء والتسمم والموت (وهو ما يحدث عندما تتوقف الكليتان تماما عن العمل) .

لكن الجسم (أو الخلايا) لا يستطيع أن يتخلص كلية من نفاياته ، بل إن بعض هذه النفايات تتجمع على هيئة جزيئات كيميائية نشطة ، وأحياناً ما يدفعها نشاطها إلى الاتحاد أو الارتباط أو التشابك بجزيئات الخلايا الحيوية ، فيؤدي هذا التشابك إلى ما يشبه الأغلال أو القيود الكيميائية التي تحد من حرية النشاط الجزيئي والخلوي ، وكأنما وحدات الحياة الأساسية هنا قد أصيبت بنوع من « الشلل » البطيء الذي يمنعها من العطاء الأمثل . . صحيح أن هذه القيود التي تشل الخلايا لا تظهر فجأة ، بل هي ـ في الواقع ـ عملية جد بطيئة . . لكن اعطها أيضاً عمراً ، تعطيك مزيداً من الأغلال والقيود التي تطفىء جذوة الحياة شيئاً فشيئاً ، فإذ بالمخلوق يحس ببصمات الشيخوخة وهي تزحف على بشرته ولحمه وعظامه وأنسجته وأعضائه .

ولكي نوضح جزءاً من هذه المأساة نقول : **إننا نستطيع أن نميز بين لحم عجل عجوز وآخر شاب أو صغير من نظرة أو لمسة فاحصة إلى الألياف العضلية التي تكون اللحم** ، كما أن ربة البيت تتبين أيضاً الفرق بين لحم ذبيح عجوز وآخر صغير من خلال عملية الطهو التي قد تستمر ساعات طويلة مع اللحم العجوز ، في حين أنها ليست كذلك مع الصغير . . وكما تجد ربة البيت صعوبة في طهو اللحم العجوز ، كذلك يجد الكيميائي صعوبة في تفصيصه واذابته وتحويله إلى جزيئات كيميائية ، فاللحم من وجهة نظر الناس لحم يؤكل ، ولكنه من وجهة نظر العلم عبارة عن خلايا ليفية خاصة قوامها جزيئات بروتينية ذات بناء هندسي مثير !

وعملية الطهو أو الاذابة الكيميائية تؤدي إلى تفكيك بعض الروابط الخلوية والجزيئية التي تربط الخلايا في أجسامها ، وأحياناً ما نشاهد هذه الروابط ذائبة في « شوربة » اللحم المغلي لفترات طويلة ، فإذا بردت « الشوربة » تحولت إلى مادة هلامية أشبه « بالجيلي » أو « الجيلاتين » ، ثم تذوب مرة أخرى إذا أعيد تسخينها .

إن هذه المادة الهلامية التي تشبه الغراء (اسمها العلمي **كولاجين**) هي التي تربط بين الخلايا ، كما أنها توجد عادة في نسيج يطلق عليه اسم **النسيج الضام**Connective tissue ، وذاك النسيج يكون حوالي ثلث



★ نضارة الشباب على وجه أنشتاين ★

وزن كل بروتين الجسم ، وهـذا يعـني أن تلك المادة الهـلامية الـذائبة في الشوربة هي أصلاً مادة بروتينية .

لكن ... ما دخل كل هذا في الشيخوخة ؟

له في الواقع دخل . . فالفرق بين تجاعيد وجـه العجـوز الشـمطاء ، ونضارة وجه الشابة الهيفاء ، إنما يرجع أساساً الى فعل الأغلال الكيميائية في هذه البروتينات الضامة ، هي في جسم الشباب لينـة متحـررة مـطاطة مرنة نضرة ، وفي جسم العجوز متصلبة مقيـدة متشـابكة جـامدة كحبـل الليف او كالمطاط القديم .

وقلت : هو الكون مهد الجمال   ولكن لكل جمال خـريف

أي إن الزمن كفيل بتداخل جزيئات ناتجة من نفايات الحياة مع جـزيئات الحياة ، فتشدها وتقيدها كما يشد القيد الحديدي يدي السـجين وسـاقيه ، فلا يستطيع هذا أن ينطلق ، ولا تلك أن تتحرر وتعيد للمخلوق حيـويته وشبابه .

وهذه أول قيود تجري في أجسام الـكائنات الحيـة ، فتـظهر كتجـاعيد نقيسها بالزمن أو بالطهو أو بالتحليل والاذابة ، ولا نقيسها بكمية الاغلال الكيميائية التي تعبر عن نفسها أقبح تعبير !

* * *

ومن الأمور التي نعرفها تمام المعرفة **أن سرعة الالتئام في الكسور أو الجروح تختلف باختلاف الأعمار** ، فجرح الصغير يلتئم أسرع من جرح البالغ ، وجرح البالغ أو كسره يلتئم أسرع من جـرح المسـن او كسر حادث في عظامه .

الجزئيات الوراثية

والواقع أن هذه الملاحظة العـابرة تنـطوي على سر كبـير في طبيعـة الخلايا ذاتها ، كما أن طبيعة الخلايا تتحدد مـن خـلال جـزيئات خـاصة فيها . . هذه الجزيئات تعرف بـاسم **الجـزيئات الـوراثية أو النـووية** (لأنها تسكن في نواة الخلية) . . وهي المسـؤولة عـن تـوريثنا كل صـفاتنا التي نجيء بها إلى الحياة ، وهي المهيمنة على انقسـام الخـلايا أو تـوقفها ، فنمو الجنين في بطن أمه ، أو نمو الوليد ومروره بمـراحل الـطفولة والصـبا والشباب ، ثم ما يتبع ذلك من تضاعف مادته الحيـة ، إنمـا هـو مـؤشر حقيقي لتضاعف هذه الجزيئات الوراثية مـن خـلال انقسـامها في أنـويتها وخلاياها ، لتعبر عن نفسها في النهاية كظاهرة نمو مميزة تشترك فيهـا جميع المخلوقات !

إلا أن عملية الانقسام تخبو فينا تدريجياً كما تخبو النـيران المشـتعلة في كومة من الحطب ، ولقد عرف العلماء جـانباً مـن هــذا السر الخـطير ، **فظاهرة الهبوط ترجع إلى أغلال كيميائية جديدة تحيط بالجزيئات الـوراثية ، وترتبط بها ، وكأنما هي تقيدها وتمنع تحررها ، وبهـذا تقتـطع جـزءاً مـن** رسالتها الهامة نحو الكائن الذي يحتويها ، وطبيعي أن محصلة هـذا التقييـد تزيد بزيادة الزمن الذي نقدر به أعمارنا ، ومن أجـل هـذا نـرى انقسـام الخلايا في المسنين أبطأ من البالغين أو الشباب .

ولقد تدخل **الميكروسكوب الاليكتروني** ليرينا جزءاً مـن الصـورة الداخلية لخلية شابة واخرى هرمة ، فحيث تخلو الأولى مـن أيـة مـركبات دخيلة وغريبة ، نرى الثانية الهرمة وقد ترسبت فيها ما أطلـق عليـه بعض العلماء اسم **أصباغ الشيخوخة** ، وهي مواد كيميائية غريبة ، تتجمع في خلايا المخ والعضلات ، وتكسبها لوناً خاصاً ، ومن الدراسات التحليليـة لهذه المواد الدخيلة بين مكونات الخلايا ، تبين أنها واسـعة الانتشـار بـين المسنين في عالم الإنسان والحيوان ، وأنها مـن نـوع الـبروتينات وأشـباه البروتينات والدهون المتأكسدة ، ثم إنها تبـدو بحـالة مـترابطة متشـابكة ، وكأنما هي خيوط العنكبوت الذي يعشش في أنحـاء الخليـة ، ويـوضح لنـا كهولتها وضعفها .

ولقد أوضحت دراسات كثيرة أن كثيراً من خلايا الجسم يطفر . . أي تتغير بعض صفاتها الوراثية ، وأن هذه الـطفرات الغـريبة بـين الخـلايا العادية قد تحرك أجهزة المناعة ، وتدفعها دفعاً لتكوين سلاح بروتيني مضاد لتضرب به هذه الطفرات ، وهذا يعني أن الجسـم يعلن الحـرب الأهليـة على نفسه ، وفي هذا تكمن مأساة حقيقية ، فتحملنـا حمـلاً إلى مـزيد مـن الفوضى والاضطرابات الداخلية ، فتكون الشيخوخة والموت .

ويقال إن الأشعة الكونية ـ التي تنفذ مـن خـلال غـلافنا الهـوائي ، وتضرب أرضنا وأجسامنا دون أن نحس بهـا ـ لهـا دخـل في حـدوث الطفرات ، أو اخلال بنظام الجزيئات ، ومع أن هذه العملية بـطيئة ، إلا أن محصلتها في النهاية ذات شان يذكر .

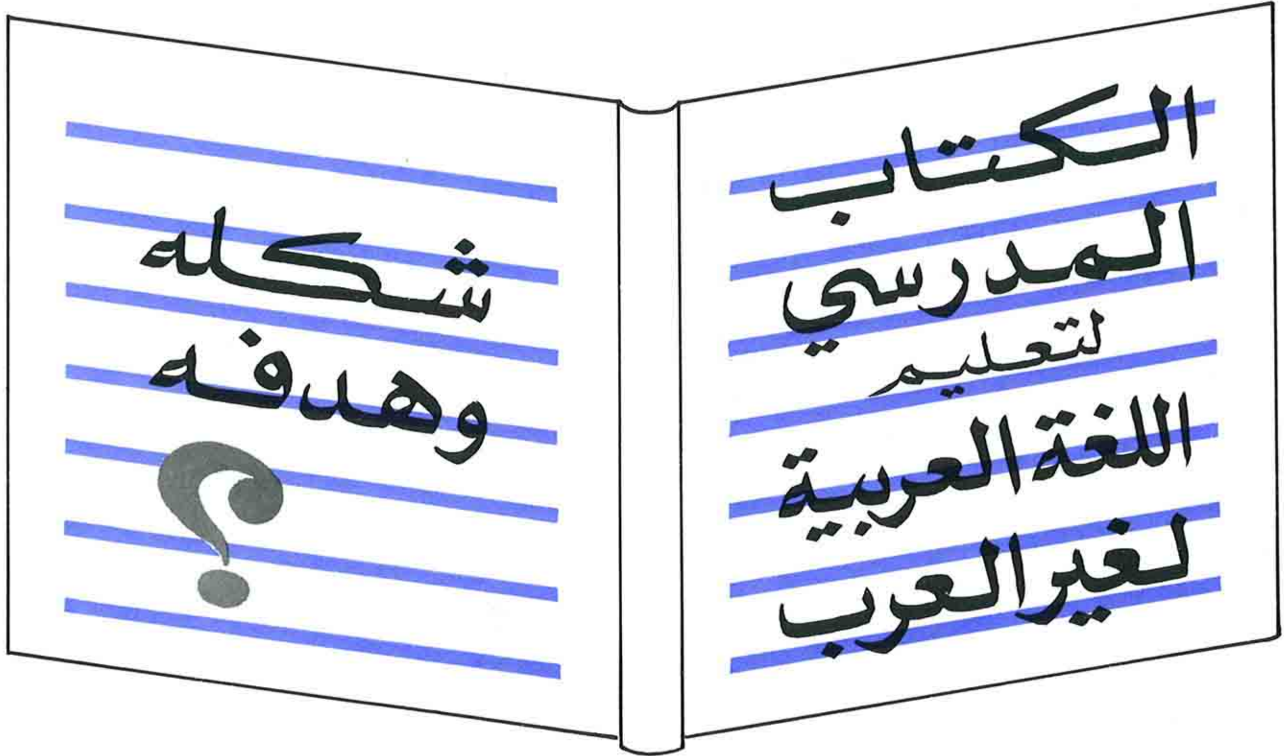
* * *

ولا شك أن هناك عوامل أخرى طبيعيـة وكيميـائية وحيـوية وبيئيـة تتداخل مع آلية الحياة على مستواها الجـزيئي والخلـوي ، وتعـوقها عـن التحرر والانطلاق ، لكن فيما قدمنا فأوجزنا الـكفاية ، ومنـه يتبـين ان **لا مفر من الشيخوخة والموت** . . فالجديد دائماً يتحول إلى قديم ، ومـن القديم يخرج الجديد (أي من الآباء يخرج الأبناء) . . فكأنما الحيـاة تجـدد نفسها عن طريق التزاوج بين الكائنات ، فهذا هو الطريق الـوحيد الـذي يعوض القديم بالجديد ، أو الشيخوخة الآفلة ، بالأجيال الشابة القـادمة ، وليكون من وراء ذلك تغير ، والتغير تجـدد ، والتجـد تـطور . . وهـكذا يسري طوفان الحياة قوياً دافقاً عبر آلاف ومـلايين السـنين . . ولـكن أكثر الناس عن كل هذا غافلون ، وليكون ذلك كلـه مصـداقا لقـوله تعـالى : ﴿ كل من عليها فان ، ويبقى وجه ربك ذو الجلال والاكرام ﴾ . . ثم قـول الرسول الكريم : « لكل داء دواء إلا الهرم » . . وصدق اللـه . . وصـدق رسول الله . . وفي ذلك الكفاية لقوم يفقهون .

ندوة الشهر

اشترك فيها

- الدكتور محمود اسماعيل صيني — السعودية
- الدكتور حسين أيتاي — تركيا
- الأستاذ عرفان سلكا — سوريه
- الدكتور: فواز أحمد طوقان — الأردن
- الدكتور أحمد والي العلمي — المغرب
- الدكتور رجا توفيق نصر — لبنان
- الأستاذ سالم عبد الله .. أميركا



الكتاب المدرسي لتعليم اللغة العربية لغير العرب شكله وهدفه ؟

يعتبر الكتاب المدرسي من أهم المؤثرات على الراغبين في دراسة اللغة العربية من غير الناطقين بها .. فمن خلاله يتلق هؤلاء الدارسين لغة جديدة في نطقها وكتابتها وأساليب استخدامها وخلفياتها الثقافية وواقعها الحضاري .



كما يعد الكتاب المدرسي من حيث مادته اللغوية وطرق عرض هذه المادة من حيث الشكل والمحتوى هو العامل الأول والرئيسي من بين العوامل أو القضايا المطروحة أمام :

● **تعليم اللغات حسب الكتاب المدرسي .**

● **اختيار المعلم ووسائل إعداده وتدريبه على تدريس اللغة .**

● **نوعيات الدارسين .**

ولعل القصور في ايجاد الكتاب المدرسي الجيد من حيث الشكل والمحتوى هو الذي يدفع الغيورين على لغة القرآن الكريم إلى التعمق في البحث والتقصي للوصول إلى تحديد سبل النهوض بمستوى الكتاب حتى يكون عنصر جذب وليس عنصر رفض لغير الناطقين باللغة العربية .

ولا شك أن **الجامعات العربية** تبذل جهداً في هذا المجال ، كما أن **المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم** التابعة لجامعة الدول العربية تقوم أيضاً بدور هام إلى جانب **اتحاد الجامعات العربية ..** إلا أن كل هذه الجهود تفتقر إلى التنسيق والتكامل .

وقد طرحت مجلة « **الفيصل** » هذا الموضوع الهام عن « **الكتاب المدرسي لغير الناطقين بالعربية** » على مائدة البحث في ندوة تناولت مشكلة الكتاب من ناحيتي **الشكل والمحتوى** فضلاً عن تحديد الهدف منه لغوياً وثقافياً واجتماعياً واقتصادياً ودينياً وحضارياً .

شارك في الندوة عدد من المتخصصين حاولوا ـ كل من وجهة نظره ـ التوصل إلى صيغة واضحة وأسلوب ملائم لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها .. على أمل أن تجد الجهات المسؤولة والمعنية في البلاد العربية أفكاراً تساعد على تحقيق الأهداف المنشودة .

ندرة الكتاب الجيد

تحدث في البداية **الدكتور محمود إسماعيل صيني مدير معهد اللغة العربية بجامعة الرياض** فركّز على ندرة الكتب العلمية التي تفي بتعليم العربية لغير العرب أو لغير الناطقين بها وأكد أن الكتب المطروحة التي تم إعدادها في ضوء الأساليب الحديثة هي ـ من وجهة نظره ـ سيئة الإعداد فنياً وطباعة حتى الكتب التي نشرت في أميركا . وأرجع ذلك إلى أن الكثير من



★ د. محمود اسماعيل صيني ★



★ د. حسين أتاي ★



★ د. فواز أحمد طوقان ★

هذه الكتب صدرت نتيجة لمجهودات فردية أو « شبه فردية » ، ولعلاج هذه السلبيات وتلافي تلك العيوب يرى :

أولا : بذل الجهود لتشجيع التأليف المبني على « أسس علمية حديثة .

ثانيا : تشجيع التأليف الجماعي المنظم للاستفادة من الخبرات المتنوعة في تعليم اللغات وفي دخائل اللغة ووقائعها وفي ممارسة مهنة التعليم .

ثالثا : تشجيع نشر المواد الجيدة التي تساهم في إخراج الكتب بصورة طيبة .

رابعا : تشجيع المؤلفين ماديا حتى يقدموا كل ما عندهم بسخاء خدمة لمحتوى الكتاب وجودته .

أهداف الكتاب المدرسي

وتحدث **الدكتور فواز أحمد طوقان استاذ الأدب العربي المساعد بالجامعة الأردنية** والمشرف على برنامج تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها فقال :

« بكل أسف ، فإن هذا الكتاب المدرسي لم يوجد بعد . أجل ، هنالك المئات من الكتب المنشورة منذ أكثر من مائة عام ولكنها جميعاً لا تفي بالغرض المنشود ، ولعل أسباب المشكلة تعود إلى مصدرين « **تقنين الطريقة ، وجمهور الطلبة الموجه إليهم مثل هذا الكتاب** » .

« ومع هذا توجد عشرات الطرق المستعملة في تدريس اللغة لغير الناطقين بها وما زال علماء اللغة يجتهدون من أجل تطوير هذه الطرق معتمدين على أحدث ما توصل إليه الإنسان ف **علوم الصوتيات والتربية والسيكولوجيا** .. واليوم نرى أغلب أهل اللغات الحية وقد وجدوا الطريقة المناسبة لنشر لغاتهم بين غير الناطقين بها فيما عدا أهل اللغة العربية الذين لم يوفقوا في ذلك علماً بأنها اللغة العالمية الأولى التي انتشرت قبل أكثر من ألف عام من **سور الصين** العظيم حتى **جبال البرانس في الأندلس** .

« ولأن جمهور الطلبة الموجه إليهم مثل هذا الكتاب متنوعون تتعقد مشكلة الكتاب المدرسي ، فهنالك **المسلم الآسيوي والمسلم الإفريقي** العربي غير الناطق بالعربية كما في **الصومال وجنوب السودان** وهنالك العربي المغترب في **أوروبا وأميريكا واستراليا** ، ثم هنالك غير المسلمين من المهتمين بتعليم العربية ، أضف إلى ذلك تغاير أعمار الطلبة ما بين الطفل والراشد .. أو تهيؤ الطالب واستعداده ما بين طالب التعلم للمحادثة البسيطة فقط كي يزور البلاد العربية وبين الراغب في اتقان لغة الضاد إما للدين أو للحضارة المكتوبة .

« هذه الاعتبارات هي التي تعقد مشكلة وجود الكتاب المدرسي ونأمل أن تتمكن اللقاءات والندوات التي تنعقد لدراسة مثل هذه المواضيع في المستقبل من فتح ثغرة في الجدار السميك تتلوها ثغرات تستطيع الولوج منها إلى ذلك الكتاب المنشود .

وأرى إذا جاز لي أن أضع خبرتي في الموضوع أن يكون محتوى هذا الكتاب المنشود مبيناً على ضوء الاعتبارات التالية :

١ ـ لمن نتوجه بهذا الكتاب؟ (للمسلم ، للعربي غير المسلم ، للعربي في الغرب) ؟

٢ ـ ما هو عمر الطالب (طفل ، حدث ، راشد) ؟

٣ ـ توجد لغة عربية واحدة هي الفصحى مع استبعاد اللهجات تماماً .

٤ ـ على هذا الكتاب أن يعطي القراءة والكتابة والمحادثة والاستيعاب .

٥ ـ وعليه أن يأخذ بعين الاعتبار الألف كلمة الأكثر شيوعاً وأنماط الجمل العربية الأكثر تداولا .

٦ ـ ينبغي أن يحتوي على تمارين ضافية ونصوص للقراءة الإضافية .

أما هدف مثل هذا الكتاب فهو هدف مشترك واحد بالرغم من تعدد أهداف الدارسين للعربية من غير الناطقين بها وهذا الهدف هو بسيط في حد ذاته وهو :

« النفاذ إلى عقلية الطالب واحلال مكان أو حيز واضح المعالم للحضارة العربية الإسلامية بما تحتويه من مواقف إنسانية عامة وخاصة نحو هذا الكون .. **الدين الإسلامي .. الأدب العربي .. الفنون أو العلوم العربية الإسلامية** منذ القرن الهجري الأول .. **القضية العربية المعاصرة سياسياً واجتماعيا .. وما إلى ذلك .**

« إن هدف الكتاب في الحقيقة هو نشر اللغة ولكن من منا تعلم لغة غير لغته ولم يتأثر بعقلية أصحاب تلك اللغة ولم يتعاطف مع حضارتها سلباً أو إيجاباً » .

الكتاب واسلوب العصر

ويحدد **الدكتور حسين أتاي استاذ علم الكلام بكلية**

الالهيات بجامعة أنقرة في تركيا محتوى الكتاب الدراسي لغير الناطقين بالعربية في عدد من النقاط أهمها : **(مراعاة المنهج التدريجي من الكلمة (المفردات) إلى الكلمتين (بعضهما مع بعض) إلى الكلمات الثلاث وهكذا) ..** على ألا يحتوي الكتاب على نصوص اصطناعية .. وأن تستند الجمل والعبارات على الواقع العلمي ومتطلبات الحياة العملية ، فيحتوي الكتاب على عبارات ثقافية تاريخية في الدين والفلسفة والحكمة والقصة بأسلوب عصري حديث وأن تكون الأسماء المذكورة في النص مأخوذة من أسماء المسلمين والمشهورين في التاريخ الإسلامي » .

تشكيل الكلمات

ويتطرق **الدكتور أحمد الوالي العلمي الاستاذ المحاضر بجامعة محمد الخامس ورئيس قسم تعليم اللغة العربية بمعهد الأبحاث والدراسات بالمغرب الأقصى** إلى موضوع تشكيل الكلمات التي يتكون منها الكتاب فيقول :

« الكتاب المدرسي لتعليم اللغة العربية للطالب غير الناطق بها ينبغي أن يتناول كلمات متداولة يومياً وبالتدريج تصل إلى جمل من تراثنا العربي كما ينبغي ألا نقدم للطالب أية كلمة غير مشكولة لأننا نعلمه اللغة ولا نعلمه القواعد **فالتشكيل مسألة مهمة وينبغي التنبيه لها والتأكيد عليها حتى يكون النطق سليماً .** أما النحو فلا ينبغي أن يدرس كمادة منفردة بل يجب أن يستنتج الطالب على سبيل المثال من الجمل القصيرة عدداً من القواعد حتى يكتسب ما يسمى بالعفوية لأن اللغة تتقن بالسمع .

من أجل كتاب تعليمي أفضل

ويلخص **الأستاذ عرفان سلكا المدرس بمعهد تعليم اللغة العربية للأجانب بدمشق** وجهة نظره في **أربعة أركان** هي : **(المعلم والمتعلم والكتابة والطريقة)** ويرى أن الاهتمام بهذه الأركان عند تدريس اللغة لأبنائها يدعو إلى مزيد من هذا الاهتمام عند تدريسها لغير الناطقين بها فيزيد عدد دارسيها وتعلقهم بها ، فاللغة تزيد الصلة بين الناس وتقوي العلاقة بينهم وتنمي المحبة في نفوسهم وتنقل الآراء والمفاهيم ، وما أحوجنا إلى نشر لغتنا من أجل كل هذه الأمور .

ويقول الأستاذ سلكا : « ما أحوجنا إلى نشر لغتنا من أجل كل هذه الأمور .. فالكتاب يلعب دوراً هاماً في التعليم ولذلك تعنى به الدول عناية خاصة ومتزايدة والمكتبات مليئة بالسلاسل الكثيرة المعدة لنشر العديد من اللغات في العالم .. كما تنتشر المعاهد العربية التابعة للجامعات أو المستقلة بنفسها لتعليم العربية لغير الناطقين بها في كثير من البلدان العربية ولكل واحد منها كتابه الخاص وتجربته الخاصة **وما أحوجنا أن نجمع الجهود ونكشفها في سبيل الوصول إلى الكتاب الأفضل الذي يحقق الغاية الفضلى من وراء نشر اللغة العربية والدعوة لها** وأرى أنه لا بد من تعليم العربية لغير الناطقين بها من تأليف كتابين اثنين في مستويين متتاليين :

● ● **الكتاب الأول** يحوي بطريقة جميلة مفاتيح القراءة والكتابة لكل راغب في تعلم العربية ولا تقل دروسه عن عدد أحرف العربية وبعض أمورها الجانبية كالمد والتضعيف ، ويجب أن يكون هذا الكتاب مرفقاً بالشريط المسجل ليستعين به الطالب على النطق السليم خارج غرفة الدرس ليتمكن من الأداء الصحيح السليم للغة .

● ● **الكتاب الثاني** وهو الكتاب الذي يصل بالطالب إلى المستوى اللائق لدراسته خلال سنة دراسية ، ذلك المستوى الذي يحقق أغراض المعهد من جهة ويلبي حاجة المتعلم من جهة ثانية .

« وأرى أن يكون **الجزء الأول من هذين الكتابين مشتركا بين كافة الطلاب الراغبين في تعلم اللغة العربية بينما تتعدد وتتنوع طبعات الجزء الثاني** ليحقق لكل طالب هدفه من العلم والمعرفة سواء أكان هدفاً دينياً أو ثقافياً أو اقتصادياً أو سياسياً .. فلكل واحد من هذه الكتب مفرداته

المناسبة التي يجب أن تراعى عند إعداده على ألا يخرج ذلك عن الهدف المنشود من نشر اللغة العربية .

ومن أجل الوصول إلى الكتاب الأفضل لا بد من الاهتمام بأمور ثلاثة :

أولا - **نوع المفردات وعددها** على أن تختار هذه المفردات من **الفصحى المبسطة** والدارجة ليتمكن المتعلم من التفاهم بها مع جميع العرب على مختلف مستوياتهم ، **أما عدد هذه المفردات فيجب أن يتناسب مع الفترة الزمنية الدراسية** والتي تختلف بين نظام وآخر بحسب الدورات أو السنوات الدراسية على ألا تقل عن ألف كلمة وألا تزيد عن ألفين في الدورة أو السنة وهذا يقتضي حصر هذه الألفاظ الرئيسية الضرورية الشائعة في كل بلد عربي على شكل قوائم متعددة ثم نقارن بينها لنستخلص منها الكلمات المشتركة في البلدان العربية كافة والتي إذا ما استعملها الأجنبي في كل مكان حققت له ما أراد من دراسته .

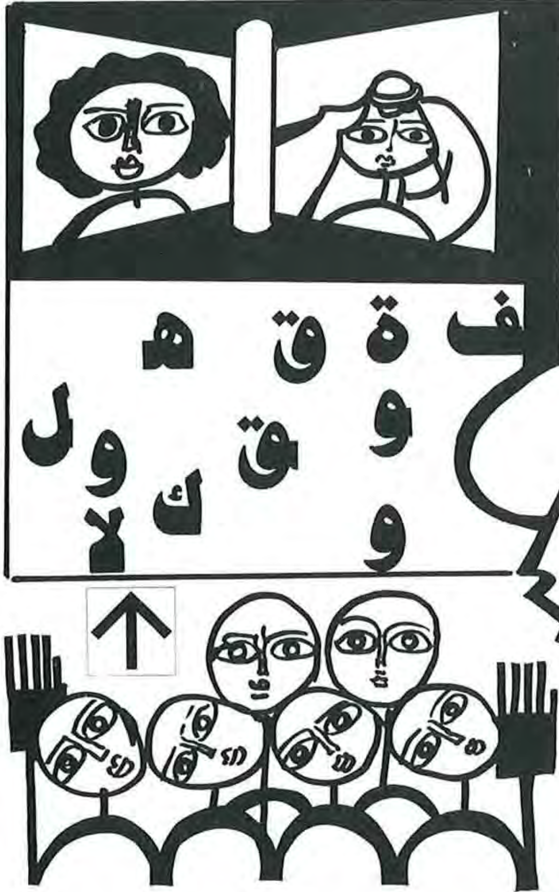
« ولذا فمهمة المسؤولين اليوم في وزارات التربية إعداد هذه المفردات لأنها تخدم التأليف ليس في مجال غير الناطقين بالعربية فحسب بل ومن أجل أبناء العربية كافة ، ولعل ذلك يتم بالتعاون مع المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم .

« إن الدول العربية في شمالي إفريقيا قد أنجزت القسم الأول من هذا المشروع حيث ستعمد إلى تدريس طلابها من خلال ألفاظ مشتركة تم الاتفاق عليها اعتباراً من العام الدراسي القادم بالنسبة للسنوات الابتدائية الثلاث الأولى »

ثانياً - **نوع التراكيب وعددها بحسب أهميتها** والتي يجب أن نختارها للطالب ليتمكن من استعمالها أولا ولتحقق لنفسه ما يريده منها بعدئذ في الحياة العملية والاستعمال اليومي وهذا يقتضي بالضرورة أن نتعرف على أهم هذه التراكيب وأكثرها شيوعاً واستعمالا ويتطلب ذلك الاحصاء العلمي الدقيق للوصول إلى قائمة التراكيب .

ثالثاً - عندما تتوفر لدينا قوائم المفردات الأساسية والتراكيب الشائعة نستطيع **البدء بالتأليف العلمي المنهجي بعد اختيار الطريقة المثلى لذلك .**

« هذا هو الكتاب المدرسي الرئيسي الموجه الذي ينبغي أن تتبعه كتب أخرى ترافقه وتسانده في الوصول إلى الهدف المنشود في تثبيت هذه المفردات والتراكيب في ذهن الدارس والتي تكتمل بكتاب مطالعة حرة يستعمل المؤلفون فيه جميع المفردات والتراكيب التي سبقت دراستها بأسلوب حر واقعي يتناسب مع الاستعمال اليومي المألوف للغة » .



أهمية المعلم

ويركز **الدكتور رجا توفيق نصر أستاذ التربية واللغويات في كلية بيروت الجامعية ومدير مركز اللغة الانجليزية للتعليم والبحوث في الجامعة الأميركية ببيروت** على نقطتين :

● **الأولى** ضرورة أن يأخذ الكتاب المدرسي بعين الاعتبار أهداف المتعلم ، فهناك من يريد اللغة **لأغراض دينية** ومن يريد اللغة العربية **كوسيلة لتكملة دروسه الجامعية** ومن يريد أن يتعلم اللغة العربية **لكي يعود إلى التاريخ والثقافة والتراث** عن طريق المراجع العربية ، وهناك من يود أن يتعلم اللغة العربية **لأغراض تجارية أو اجتماعية أو غير ذلك .**

● **النقطة الثانية** تتعلق **بكفاءة المعلم** الذي سيدرس مادة هذا الكتاب المدرسي فإذا كان المعلم من غير الناطقين بالعربية وإذا كانت مهاراته اللغوية محدودة فلا فائدة كبرى من كتاب قد أعد لمعلم من أبناء اللغة العربية يحسن اللغة من جميع جوانبها .

« **كما أن الكتاب المعد للصغار غير الكتاب المعد للكبار ،** لأن الأهداف التربوية (أو بالأحرى الأهداف التعليمية) هي الأساس في وضع الكتب المدرسية » .

الدارس .. والمعايشة

ومن منطلق الحرص على أن يكون الكتاب المدرسي لغير الناطقين بالعربية على المستوى اللائق وبالشكل الأمثل يصبح من المناسب معرفة وجهة نظر أحد الدارسين للغة العربية من غير الناطقين بها .. هذا الدارس هو **الأستاذ سالم عبد الله الأميريكي الجنسية والذي يدرس بمعهد اللغة العربية بجامعة الرياض .**

يقول : « لقد **اعتنقت الإسلام** عام ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م وتلقيت حين كنت في **الولايات المتحدة** الأميريكية بعض الدروس في اللغة العربية لكنها كانت تدرس لنا باللغة الانجليزية فلم نستفد كثيراً .. **وعندما جئت إلى معهد اللغة العربية بجامعة الرياض وعشت وسط الناطقين بالعربية تعلمت أشياء كثيرة** من أسرار اللغة ودخائلها لم تكن لتتاح لي لو استمريت في الدراسة بالخارج .. فالمعايشة مفيدة جداً كما أن الكتاب بالنسبة للدارس يجب أن يكون في مستوى جيد لأنه رفيق الطالب بصفة مستمرة » .



★ رجاء توفيق نصر ★



★ سالم عبد الله ★



★ عرفان سلكا ★

تعليق

وتنتهي الندوة لتتأكد مجموعة من المفاهيم الأساسية والأفكار المستقبلية يمكن تلخيصها في :

● ان الكتاب المدرسي لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها لا يرقى ـ على ندرته ـ شكلا ومضمونا إلى المستوى العالمي أو اللائق على أقل تقدير .

● ان تعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها ينبغي أن تسانده بالإضافة إلى الكتاب المدرسي اللائق وسائل عصرية أخرى مستخدمة بالفعل في العالم .

● ان المعلم نفسه ينبغي إعداده إعداداً خاصاً يتلاءم والمهمة الصعبة الملقاة على عاتقه .

● ان إخراج الكتاب الجيد لا يمكن أن يتم إلا بتضافر وتكاليف جهود المتخصصين من ناحية وإمكانات الهيئات والمنظمات والجامعات العربية من ناحية أخرى .

● ان يوضع في الاعتبار أن الكتاب المدرسي الذي يقدم لغير الناطقين باللغة العربية إنما هو خدمة للغة القرآن الكريم وتعاليمه أولا وللحضارة العربية الإسلامية العريقة بعد ذلك .

انتشار الدعوة الوهابية

لقد استطاعت دعوة الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب التي دوت في شبه الجزيرة العربية في القرن الثامن عشر أن تنمو وتزدهر وتنتشر في شبه الجزيرة ثم تمتد إلى شمال الهند وأفغانستان والجزائر والسودان وسومطرة وكثير من إمارات الخليج العربي وغيرها حتى انضوى تحت لوائها أكثر من مليونين ونصف مليون نسمة في شبه الجزيرة العربية وحدها .

ولعل أن يكون أهم من ذلك دلالة أن هذه الدعوة قد استطاعت ـ على خلاف كثير من دعوات الاصلاح الديني والاجتماعي ـ أن تعيش وتستمر في **المملكة العربية السعودية** وتنعم المملكة في خلالها بالأمن والسلام والحرية والرخاء ، وتأخذ بأسباب المدنية والترقي والتقدم والعمران في جميع مرافق الحياة ، مما يقطع في الدلالة على حيوية هذه الدعوة وعلى أنها دعوة أصيلة تنطوي على بذور الحياة المتجددة وعوامل النمو والازدهار المستمرين ، لأنها لو لم تكن تستند إلى أصول ثابتة من الحق ، وتقوم على دعائم راسخة من الايمان والعقيدة ، لما واصلت سيرها لتغطية الجزيرة جميعها ومنها إلى عموم أقطار الأرض ، يقوم لها أنصار وأعوان ومريدون . وكيف لا وهي دعوة تهيب بالمسلمين للرجوع إلى ما كان عليه سلف هذه الأمة من اخلاص العبادة لله وحده وعدم صرف شيء منها إلى سواه ، والدعوة الى الإسلام في بساطته الأولى وطهارته ونقائه ووحدانيته واتصال العبد بربه من غير واسطة أو شريك ، ونبذ التعلق بالأوهام والخرافات والمعتقدات البدعية .

يقول الرحالة « **و . جنيبور بالجراث** » الذي ساح في شبه الجزيرة العربية على عهد **الأمير فيصل بن تركي** سنة ١٨٦٢ م إنه عندما توفي الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب سنة ١٧٨٧ م[1] عن عمر يناهز السادسة والتسعين عاماً ، شاهد بنفسه كيف انتشرت دعوته وانتصرت وسادت في شبه الجزيرة العربية من ساحل البحرين حتى حدود **مكة وعدن** . ويذكر مؤلف كتاب « **لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب** »[2] في صدد بيان أتباع الدعوة الوهابية الذين دخلوا تحت حكم آل سعود في جزيرة العرب حوالي سنة ١٢٣٣ هـ ـ سنة ١٨١٧ م ـ أن عدد هؤلاء الأتباع من أهل نجد بلغ ثلاثمائة ألف نفس ، وفي الحجاز وتهامة أربعمائة ألف ، وفي اليمن مثل الحجاز وتهامة ، ومن جهة مشارق اليمن مائتي ألف أو ثلاثمائة ألف نفس والاحساء وبني خالد وقطر والقطيف والبحرين أربعمائة ألف نفس ، وبادية الشام وعربها كعنزة وغيرها إلى أطراف المدينة المنورة إلى حدود طريق الحاج المصري أربعمائة ألف نفس ، وبلاد عمان وساحل البحر ومن هم في البر بدواً وحضراً مائتي ألف نفس . ويؤخذ من هذا التعداد أن مجموع أتباع الدعوة وأنصارها في شبه الجزيرة العربية كان حوالي مليونين ونصف مليون نسمة .

ولم يقتصر انتشار الدعوة الوهابية في حياة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب على شبه الجزيرة العربية فحسب ، بل لقد تعداها بعد وفاته أيضاً إلى سائر الأقطار الإسلامية شرقاً وغرباً وجنوباً وشمالا .

وسائل انتشار الدعوة

ويمكننا أن نقول بشيء كثير من الاطمئنان إن انتشار هذه الدعوة كان عن طريقين أساسيين هما : التجارة والحج إلى بيت الله الحرام ، ذلك أن الارتباط بين الحج والتجارة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كان ارتباطاً وثيقاً في العالم الإسلامي ، فقد كان أغلب الحجاج يقومون بالتجارة في طريقهم إلى الأراضي الحجازية وفي عودتهم منها سواء سلكوا في أسفارهم طريق القوافل البرية أو البحر الذي كان يركبه معظم الحجاج حتى من ولايات شمالي إفريقيا .

ولئن كانت **مصر وسوريا والعراق** قد تأثرت إلى حد كبير بتحويل التجارة الهندية الرئيسية إلى طريق **رأس الرجاء الصالح** إلا أن موقع هذه البلدان الجغرافي كان لا يزال يضفي

في العالم الإسلامي

بقلم : رابح لطفي جمعة

عليها مزايا طبيعية ضخمة بصفتها ملتقى قوافل الحجيج من ناحية ومخازن للتجارة بين أوروبا وآسيا وإفريقيا من ناحية أخرى . فكانت أهم نقاط تلاقي طرق الحجاج والطرق التجارية هي **القاهرة وحلب** بالإضافة إلى **بغداد ودمشق** ، فكانت قوافل الحجاج من مصريين ومغاربة وسودانيين ومراكشيين وجزائريين وطرابلسيين وتونسيين تجتمع عند سفرها كل عام في القاهرة عند بركة الحج وهي قرية في الشمال الشرقي من القاهرة ، حيث يضرب الحجاج خيامهم قبل سفرهم إلى الأراضي الحجازية ثم يجتمعون عند هذا المكان مرة أخرى عند عودتهم قبل أن يفترق كل إلى وجهته .

كذلك كانت القاهرة تحتكر طريق القوافل التجارية مع الولايات العربية الواقعة على البحر الأحمر ، فكانت التجارة البحرية بين مينائي البحر الأحمر **السويس والقصير** وبين مينائي بلاد العرب **ينبع وجدة** رائجة رواجاً عظيماً حتى إنه **كان يوجد في جدة في أواخر القرن الثامن عشر حوض لبناء السفن .**

وقد أتاح دخول آل سعود الحجاز وخاصة مكة والمدينة في أوائل القرن الثالث عشر الهجري الفرصة للحجاج من مختلف البلاد الإسلامية لكي يقفوا على حقيقة الدعوة الوهابية ويتعرفوا عليها ويلتقوا بدعاتها وأنصارها وأتباعها ومريديها ويناقشوهم فيما يدعون اليه . وكان من نتائج ذلك أن التف كثير من الحجاج حول هذه الدعوة ثم حملوها معهم ودعوا بدورهم إليها في أوطانهم بعد رجوعهم إليها .

وهكذا انتقلت هذه الدعوة عن طريق الحج والتجارة إلى كثير من مناطق الخليج العربي والسودان والهند وسومطرة والجزائر وأفغانستان ، وقد عبر **لوثروب ستودارد** في كتابه « **حاضر العالم الاسلامي** » عن انتشار الدعوة الوهابية عن هذا الطريق بقوله : « لقد ظلت نجد بؤرة تشتعل فيها نار الغيرة الدينية ومنبثق نور تنبعث منه الأشعة الوهاجة إلى كل ناحية من نواحي الأرض ، وما فتىء المسلمون من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب يبثون روح الحركة الدينية في مئات الألوف من الحجيج الوافدين كل عام إلى مكة والمدينة فيقتبس هؤلاء ناراً ثم يعودون إلى أوطانهم يشعلون بها ما استطاعوا اشعاله في سبيل الاصلاح ، وهكذا استطاع أنصار الدعوة الوهابية أن يبذروا بذوراً تلاها الاختمار الشديد للفورة الدينية في كل فج إسلامي حتى بلغت دعوتهم أقصى المعمورة » .

ومما يؤكد انتشار الدعوة الوهابية عن طريق الحج ـ ما كان يبعثه الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب من **رسائل إلى أمراء الحج** ، من ذلك رسالته التي بعث بها إلى **شيخ الركب المغربي** في أحد مواسم الحج يشرح له فيها ما لبس على الناس من صور الشرك الظاهر والخفي ، بالإضافة إلى رسائل أخرى كثيرة بعث بها صاحب الدعوة إلى الرؤساء والأمراء والعلماء يحاجهم بالكتاب والسنة .

وفي سنة ١٨١٦ م ذهب **سيد أحمد أحد أمراء الهند** لأداء فريضة الحج واجتمع بأتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب في مكة واقتنع بالدعوة وأصبح من أنصارها وأعوانها ، ولما عاد سنة ١٨٢٠ م إلى موطنه في **البنغال** وجد الميدان صالحاً للدعوة بين سكان الولاية فابتدأ بمدينة « **بنتا** » ودعا المسلمين إلى الايمان بمبادىء الإسلام الصحيح وترك البدع والمعتقدات الهندوسية . **وقد استطاع هؤلاء المسلمون بعد مرحلة من الجهاد أن يقيموا دولة إسلامية على أساس من الدعوة الوهابية في ولاية البنجاب بزعامة سيد أحمد** ، وأخذ هذا الداعية يعد عدته لفتح سائر شمالي الهند إلا أن المنية عاجلته ولم يلبث **الاستعمار الانجليزي** أن قضى على دولته سنة ١٨٣٠ م ، ولكن الدعوة الوهابية كانت قد استقرت هناك وتغلغلت في القلوب والنفوس ، فعندما جاء الانجليز يفتحون هذه البلاد عانوا الأمرين من بقايا النار الكامنة في الرماد . وقد ظلت هذه النار

مخبوءة إلى ما شاء الله فكانت عاملاً من عوامل الثورة الهندية ، ثم استطار من شررها ما تناول **أفغانستان** وسائر القبائل الهندية عند الحدود الشمالية الغربية فأشعلها أيما اشعال . **ولا يزال الكثيرون من سكان البنجاب والبنغال إلى يومنا هذا يدينون بالاسلام كأتباع للدعوة الوهابية وإن كانوا قد تفرقوا إلى عدة فرق أكثرها عددا وأقواها شأنا فرقة الفارازي .**

أما في **سومطرة** فقد بدأت الدعوة الوهابية تشق طريقها إليها سنة ١٨٠٣ م على يد أحد حجاج الجزيرة بعد عودته من الحج إلى بلاده ، ولم تلبث الدعوة أن تطورت الى معارك حامية بين المسلمين من أتباع الدعوة وأنصارها وبين غير المسلمين من سكان الجزيرة الأصليين ، فرأت الحكومة الهولندية سنة ١٨٢٠ م أن تناهض هذه الحركة القوية واستمرت المعارك والمناوشات بين المستعمرين الهولنديين وبين أتباع الدعوة الوهابية من السومطريين أكثر من ست عشرة سنة .

كذلك انتقلت دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى **السودان** حيث كان الداعية **الشيخ عثمان دان فوديو** أحد أبناء **قبيلة الفولا** في السودان الغربي ، فأخذ يحارب البدع التي كانت شائعة بين عشيرته ويعمل على القضاء على بقايا الوثنية وعبادة الأموات التي كانت لا تزال مختلطة بالعقيدة الإسلامية عند بعض السودانيين ، ثم أخذ ينشر تعاليم الإسلام الصحيحة على أساس من دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب واستطاع أن يجمع حوله قبيلته في وحدة متماسكة مرتبطة برباط الدين بعد أن كانت منقسمة إلى عدة وحدات ضعيفة متخاذلة .

ثم بدأ الشيخ عثمان بعد ذلك سلسلة من المعارك كان أولها سنة ١٨٠٢ م ضد قبائل الحوصة الوثنية ، ولم تأت سنة ١٨٠٤ م حتى كان قد أقام سلطنة سوكوتو في السودان على أنقاض **مملكة جبيرثين النيجر الأدنى ونهر الينوي** . وقد قامت هذه الدولة أيضاً على أساس من الدعوة الوهابية وامتدت حدودها إلى جميع الأقطار الواقعة بين **تمبكتو وبحيرة تشاد** ومدت رواقها على مساحة أربعمائة ألف كيلومتر مربع كان يسكنها نحو عشرة ملايين من الأنفس . وقد ظلت هذه الدولة محتفظة باستقلالها نحو قرن من الزمان حتى اغتالها الاستعمار الأوروبي فيما اغتاله من أقطار العالم الإسلامي ، وانفصلت عنها فيما بعد **ممالك بورنو والأداموا وغاندو ونوبو** ، وهي وإن كانت قد فقدت استقلالها وغلب المستعمرون سكانها على أمرهم إلا أنهم ربحوا الدخول في الإسلام ولا يزالون يتحلون بفضائله ومكارم أخلاقه .

أما **السنوسية في شمالي إفريقيا** ـ فقد ذهب بعض الباحثين إلى أنها تأثرت إلى حد كبير بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأن الفضل في ذلك يرجع إلى مؤسسها السيد **محمد علي السنوسي** الذي كان يطلب العلم في مكة وقت دخول آل سعود سنة ١٨٢٩ هـ فعاشر أتباع الدعوة الوهابية ومريديها وتتلمذ على علمائها وشيرخها ثم عاد إلى **الجزائر** وابتدأ دعوته في حين أن بعض المؤرخين ينكرون تأثر زعيم السنوسية بالدعوة الوهابية .

على أنه مهما يكن من أمر هذا الخلاف بين الباحثين ، فإنه مما لا شك فيه أن الدعوة الوهابية ، وإن لم تكن قد تمخضت عن ميلاد معظم الدعوات التي جاءت بعدها ، إلا أنها قد مهدت لها ودعت إليها وقوت عزائم القائمين بها ، يؤكد ذلك أن ظهور هذه الدعوات الاصلاحية كان متقارباً لظهور الدعوة الوهابية حتى لكأنها كانت جميعها على ميعاد ، **فحركة السنوسي** بدأت في النصف الأول من القرن التاسع عشر في حين بدأت **حركة جمال الدين الأفغاني** في النصف الثاني من القرن ذاته ، كذلك بدأت **حركة عبد الله المهدي بالسودان** في النصف الثاني من القرن التاسع عشر . **وهذا التقارب في ظهور تلك الدعوات دليل على أن الدعوة الوهابية كانت إرهاصاً لمعظم هذه الدعوات التي جاءت بعدها أو في القليل عملت على ظهورها .**

وهكذا نجد أن الدعوة الوهابية قد اتسعت بأفقها اتساعاً كبيراً ، فشملت شبه الجزيرة العربية وامتدت خارجها إلى كثير من أقطار العالم الإسلامي ، وصدق الله العظيم إذ يقول في محكم كتابه : ﴿ فأما الزبد فيذهب جفاءً وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض ﴾ .

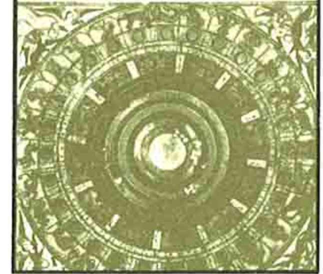
هوامش

(١) هناك خلاف كبير بين المؤرخين حول تاريخ وفاة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، على أننا نعتمد في هذا الصدد ما ذكره الشيخ حسن عبد الله آل الشيخ من أنه توفي سنة ١٢٠٦ هـ الموافقة ١٧٩١ م .

(٢) لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد عبد الوهاب ، ص ١٧١ ، تحقيق الدكتور أحمد مصطفى أبو حاكمة ، بيروت ، سنة ١٩٦٧ م .



العلوم في الإسلام

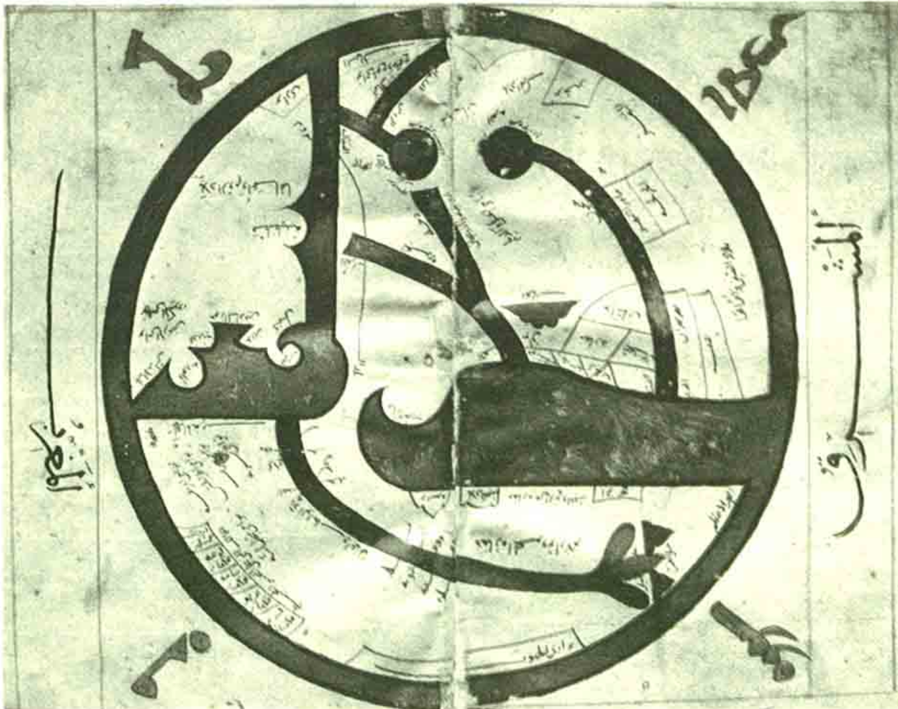


رحلة في كتاب

يضم هذا الكتاب الذي يقع في ٢٥٠ صفحة من القطع الكبير ، خمسة أجزاء مضافاً إليها معجم للمصطلحات ومجموعة من المصادر والمراجع العربية ومراجع مختارة باللغات الأوروبية ، فضلاً عن تعليقات على الصور التي يبلغ عددها ١٦٠ صورة ملونة ..

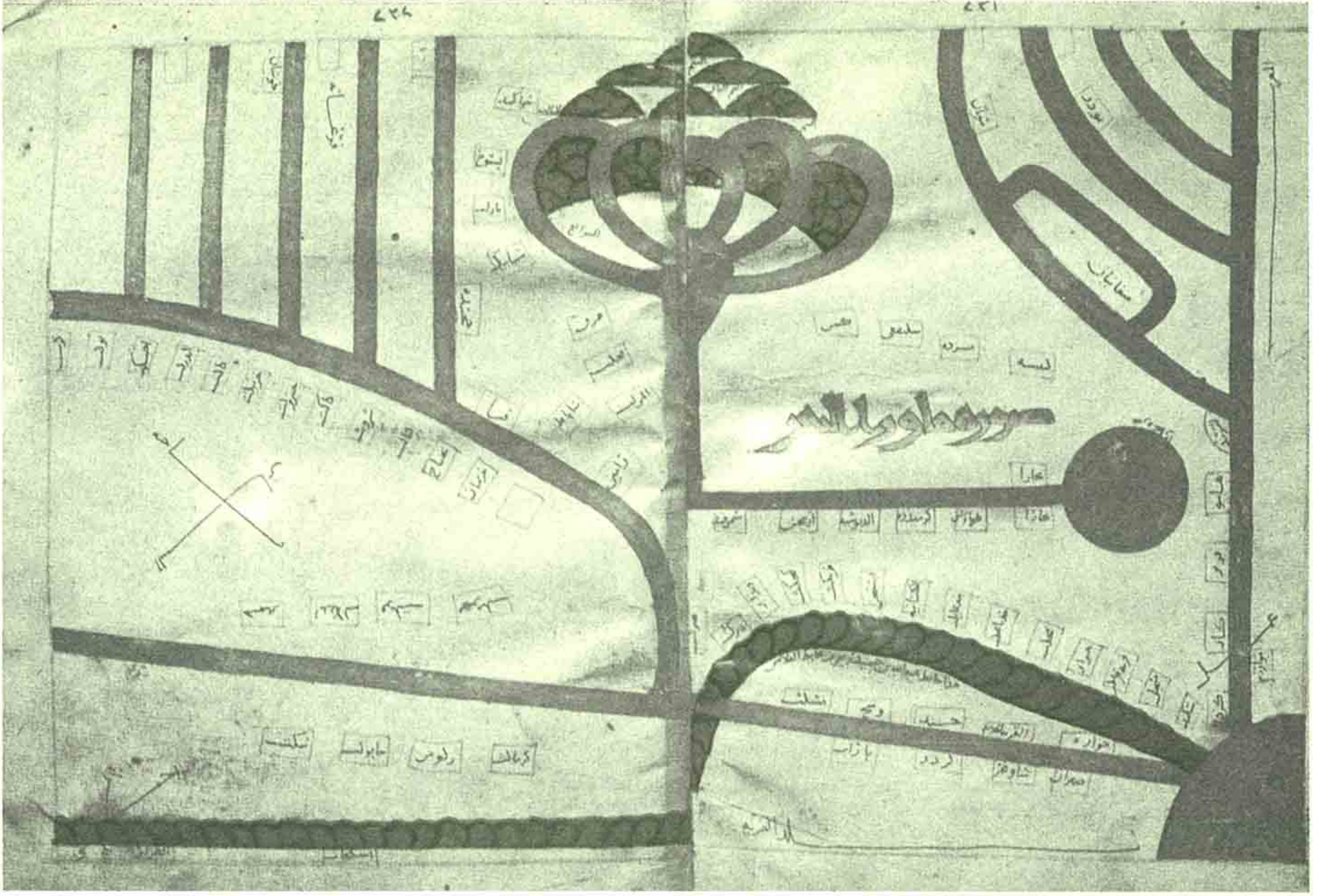
تأليف
د. سيد حسين نصر

عرض وتقديم
فتحي العشري



هذه الصورة تمثل غرب آسيا الوسطى وشرق البحر الابيض المتوسط حسب خريطة ابن حوقل المأخوذة من « آياصوفيا » .

صورة تمثل آسيا الوسطى وما وراء النهر حسب خريطة ابن حوقل المأخوذة من « آياصوفيا » .



الاسلام والعلوم

يحمل الجزء الأول هذا **العنوان « الاسلام وظهور العلوم فيه » مبيناً أن نشأة العلوم في الإسلام لا تنفصل عن روح الوحي الإسلامي والكيفية التي صاغ بها هذا الوحي أذهان الناس وأعمالهم وبيئاتهم والحضارات التي عملت على بعث هذه العلوم وازدهارها .. ذلك أن القرآن والحديث** قد قاما بدورين هامين في نشوء العلوم وازدهارها .

● **الأول : أن المسلمين يعتبرون أن مبدأ كل علم يوجد في القرآن الكريم وأن هناك تفسيرا يمكن للمتخصصين في العلم كشف أسراره والنفاذ إلى معانيه الخفية التي فيها يحل مبدأ جميع العلوم .**

● **والثاني أن القرآن والحديث قد خلقا جوا ساعد على نشوء العلوم بالتنويه بطلب العلم ، وبذلك انبثقت من أعماق القرآن والحديث علوم ما وراء الطبيعة والكونيات وأصبحت الأساس الذي قامت عليه جميع العلوم في الاسلام .**

وقبل ظهور علوم الإسلام قامت حضارات أبرزها **حضارتي مصر والعراق** في ميادين الطب والرياضيات التي استند **الاغريق** إلى تقاليدها وخاصة فيما يتعلق برصد السماء والطبيعة ، حيث ظهر فلاسفة وعلماء من أمثال **طاليس وفيتاغورس وأفلاطون وأرسطو** قبل أن ينتقل مركز النشاط العلمي إلى مدينة **الاسكندرية** ، وفي الأرض المصرية حين أفل سلطان الإغريق ، وإن كان قد تم التأليف بين علوم اليونان ومصر والشرق حيث ظهر علماء من أمثال **إقليدس وبطليموس وجالينوس** دخلوا الحضارة الإسلامية - عن طريق الاسكندرية - كما لو كانوا من بين معلمي المسلمين .

ومن الحضارات القديمة أيضاً **حضارة الفرس** فيما يتعلق بالعلوم الطبيعية من خلال كتاب « **كليلة ودمنة** » ، **وحضارة الهند** مصدراً لعلوم الطب والفلك ، **وحضارة الصين** مصدراً لعلوم الكيمياء

وقد لعبت حركة الترجمة الضخمة التي قام بها المسلمون على نطاق واسع من خلال المعاهد العلمية مثل « **بيت الحكمة** » في عصر المأمون ، دوراً أساسياً في توفير المادة الأولية للعلوم الإسلامية وتمهيد الطريق لنموها وازدهارها .

ولقد كان نظام التربية في الاسلام من العوامل التي شجعت نقل المعرفة بجميع أشكالها والنظر إلى العلم نظرة مقدسة قامت على محورين أساسيين هما (الوحدة والترتيب) .

واستقر المسلمون على سبيلين لتحصيل المعرفة ، « **العلوم النقلية** » التي تنقل بعد الوحي و « **العلوم العقلية** » التي يحصلها الإنسان بالعقل الذي وهبه الله إياه .. وهما معاً يسميان **بالعلم الحصولي** ، وهو علم آخر غير « **العلم الحضوري** » الناجم عن الكشف الفعلي للحقيقة .

وقد ساهم في حل مشكلة التوفيق بين العقل والوحي أو بين العلم والدين فلاسفة الإسلام الأوائل **الكندي والفارابي والنحوي** .. وكذلك **ابن خلدون والشيرازي والأنطاكي والعاملي .**

وإلى جانب **المساجد والمدارس** قامت **المستشفيات والمراصد** بدور علمي هام في نقل العلوم وتدعيمها وتطويرها .

وهذه صفة الفرس
المسطوح على ظهره

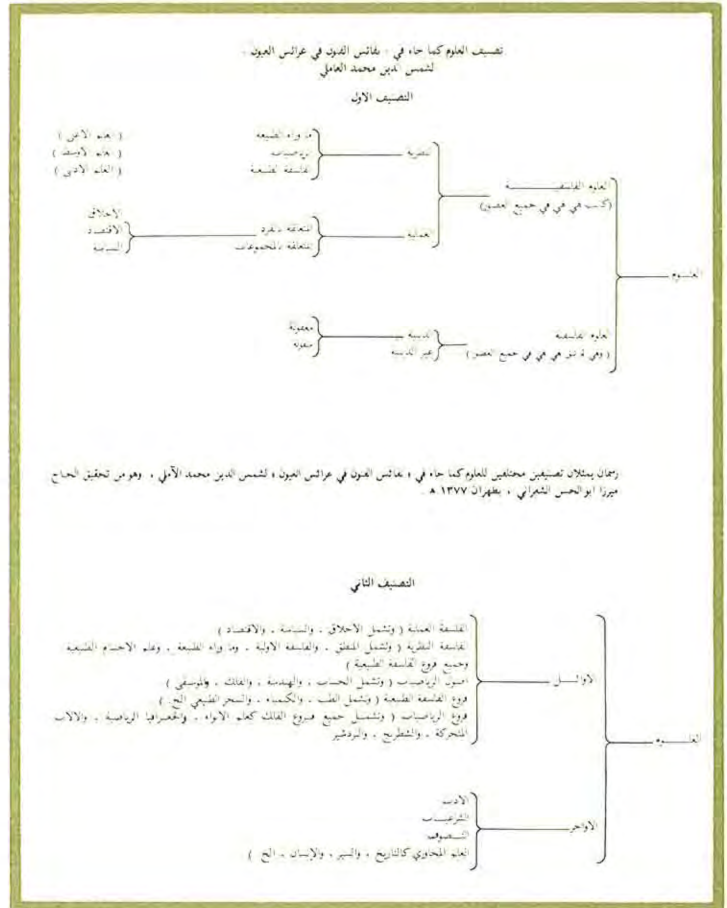
صورة تمثل دراسة تشريحية لحصان مسطوح على ظهره مأخوذة من مخطوطة مصرية ترجع الى القرن التاسع للهجرة / الخامس عشر للميلاد.

الدراسة الوصفية للعالم

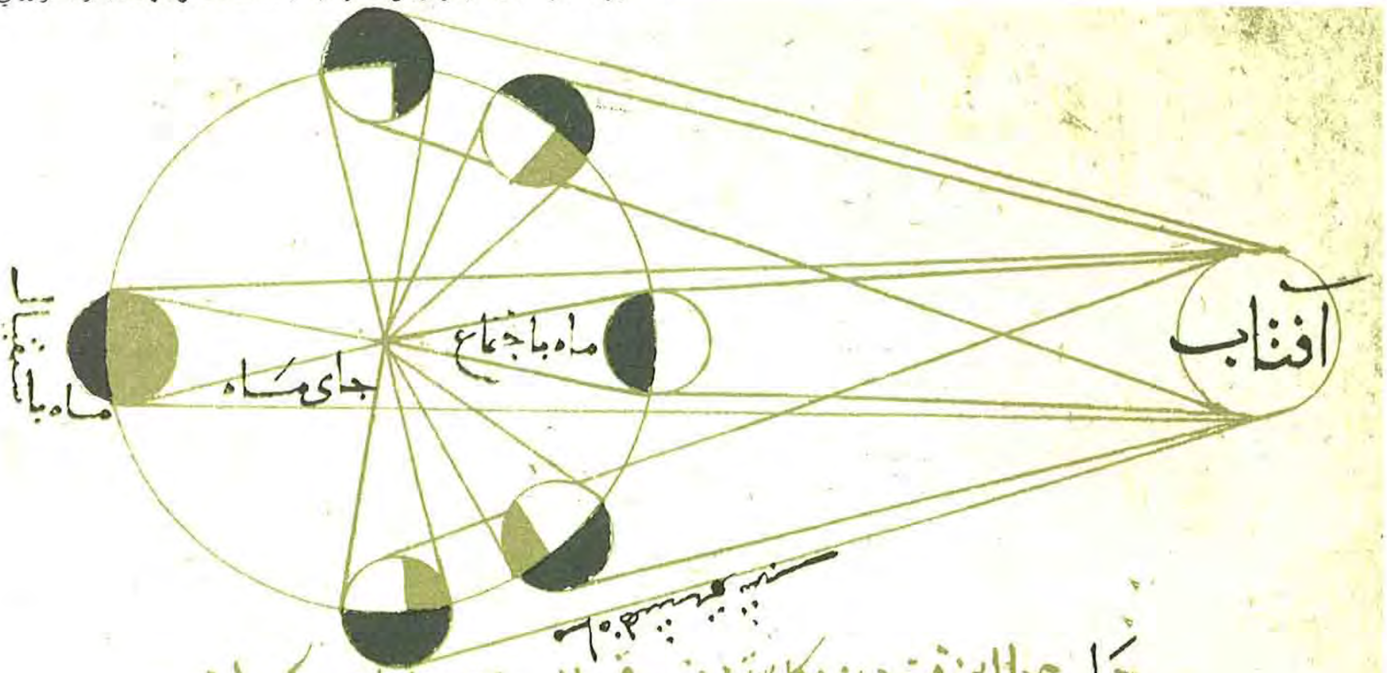
هذا هو عنوان **الجزء الثاني** الذي يبدأ **بعلوم الكونيات وعلم الهيئة والجغرافيا** .. أما علم الكونيات في الإسلام فيتصل اتصالا مباشراً بأسس الوحي الإسلامي وبما وراء الطبيعة التي تنبع من رسالة القرآن ومن تعاليم الرسول ﷺ .. فهذا العلم ليس تعمياً للعلوم الطبيعية ولا امتداداً للفيزياء الأرضية ولا صلة بينه وبين ما يعرف اليوم بعلم الكونيات .. وعلم الكونيات في الإسلام يهدف إلى تكوين رؤيا للكون تمكن الإنسان من اختراق العالم المرئي إلى حالات الوجود العليا .. فأصل العالم هو الوجود والوجدان والوجد .. هذه المرآة إذا ما تأمل فيها الإنسان بذلك الوعي تراءى له الواحد الأحد وسط نطاق التعدد ذاته .. وهي درجة من درجات (**المعراج**) حين أسرى جبريل سيد الملائكة بالرسول الكريم ليلاً إلى جوار الله .. ودراسة الكونيات في الإسلام تظهر جلية في **أسماء الله الحسنى وصفاته** ، حيث توجد أسس كل المظاهر الكونية وغاياتها .

وأما علم الهيئة فيهتم بالصور الخارجية بوصف الكون ، كما نجد في كتب **القزويني** « **عجائب المخلوقات** » التي تبدأ بعالم الملائكة وتنتهي بالنبات والمعادن ، وهي تخلط الاساطير بالوصف العلمي في نطاق ترتيب العالم الموصوف في كتب الكونيات .. وقد استعملت هذه الكتب كأرضية لكتب الأدب الشعبي .. ومن علم الهيئة أيضاً ما يوجد في أعمال علماء الفلك والرياضيات **كالبيروني والشيرازي** .. وقد كان علم الهيئة أساساً لعلوم الإسلام المتنوعة من الجغرافيا إلى الكيمياء ..

ويرجع تاريخ الجغرافيا الاسلامية إلى القرن الثالث الهجري حين رسمت أول خريطة للعالم سميت « الصورة المأمونية » نسبة إلى الخليفة المأمون .. وهي أكثر دقة من خريطة بطليموس كما يشهد **المسعودي** .. ثم ظهرت كتب فلكية للبتاني وابن خرداذبة (**المسالك والممالك**) والخوارزمي



رسمان يمثلان تصنيفين مختلفين للعلوم كما جاء في « نفائس الفنون في عرائس العيون » لشمس الدين محمد الآملي . وهو من تحقيق الحاج ميرزا ابو الحسن الشعراني ، بطهران ١٣٧٧ هـ .



(**صورة الأرض**) . . وتقدم علم الجغرافيا تقدماً واسعاً بفضل البحوث المتواصلة للعلماء المسلمين وأبرزهم المسعودي الذي جمع علوم الكونيات والتاريخ والجغرافيا في دائرة معارف واحدة بعنوان « **مروج الذهب** » كانت نموذجاً سار عليه العلماء بعد ذلك . . وطرق المسلمون باباً جديداً في عالم الجغرافيا هو « **جغرافية البحار** » حين وصلوا إلى **الهند والصين** كما ورد في كتابي سليمان التاجر « **أخبار الهند** » و« **أخبار الصين** » . . وبلغت دراسة الجغرافيا الإسلامية أوجها في مؤلفات العالم الذي لا يبارى **أبي الريحان البيروني** وأهمها « **تحديد نهايات الأماكن** » و« **الآثار الباقية عن القرون الخالية** » و« **القانون المسعودي** » . . أما معجم ياقوت « **معجم البلدان** » فلا يزال أداة عمل لا غنى عنها بالنسبة للباحثين المعاصرين .

وفيما يختص بقياس الأرض (**الجيوديسيا**) فقد أسهم العلماء المسلمون بقدر وافر وفي مقدمتهم البيروني مؤسس هذا العلم الذي عنى بقياس تضاريس الأرض وضبط خطوط الطول والعرض ، وارتفاع الجبال وقطر الأرض .

ونصل إلى « **العلوم الطبيعية** » فنجد أنها كانت تلعب في الحضارة الإسلامية دوراً رئيسياً تتكامل فيه علوم الجيولوجيا والمعادن والنبات والحيوان كما ظهر في موسوعات « **عيون الأخبار** » لابن قتيبة و« **الملخصات** » للقزويني والدمشقي والمسعودي ، ومؤلفات **الجاحظ** الأدبية ، ودراسات **ابن سينا** الفلسفية . . كما اهتم علماء العلوم الطبيعية من المسلمين بالمعنى الرمزي للعالم الطبيعي وما يمكن أن يستمده الإنسان من دراسة الصور الطبيعية من العبر الأخلاقية والروحانية . . والواقع أن الأرواح المختلفة هي أشكال لروح العالم الواحدة ومركبات للعناصر الأربعة **النار والهواء والأرض والماء .**

وتدل مؤلفات المسلمين في الجيولوجيا على وضوح فهمهم لظاهرة الانقلابات وتحول الأراضي إلى بحار وتحول البحار إلى أراض فضلا عن الزلازل والبراكين . . كذلك كان علماء المسلمين على معرفة بأصل الحفريات المتحجرة أو بقايا الحيوانات البحرية نتيجة لعوامل الانجراف والتعرية ودرجة المقاومة . . كما بحث علماء المسلمين قنوات المياه والمياه الجوفية .

ويرتبط علم المعادن بعلمي الكيمياء والتعدين من جهة وبعلم الطب من جهة أخرى . . ولكن المؤلفات الإسلامية كانت تبحث عادة في **الأحجار الكريمة** مع الإشارة إلى وصف الصخور والعدانة . . ولعل كتاب « **رسالة في أنواع السيوف الحديد** » للكندي هو أهم الكتب التي تناولت صناعة التعدين وصناعة السيوف ، وهو أول كتاب من نوعه باللغة العربية .

وقد تناول ابن سينا في كتابه « **الشفاء** » عملية **تولد الفلزات والمعادن** . . كما جمع البيروني في كتابه « **الجماهر في معرفة الجواهر** » بين الدراسات اللغوية والمعدنية والطبيعية والطبية والفلسفية بحثاً عن المعادن من كافة هذه الأوجه ، حتى إنه قدر **الوزن النوعي للمعادن** تقديراً دقيقاً . . وظهرت بعد ذلك دراسات عديدة ومتنوعة في علم المعادن حتى بعد أن قسم العالم الإسلامي إلى عدة ممالك .

وعلم الجواهر عند المسلمين كان يقوم على رؤية تختلف كل الاختلاف عن نظرة العالم الحديث ، حيث للناحية الكيفية للأحجار واقع مماثل لواقع الناحية الكمية ، فلون الحجر ولمعانه وتركيبه وشكله ينتمي إلى حقيقته الوجودية كما ينتمي إليها وزنه وحجمه ، ثم إن هنالك تآلفاً بين مختلف درجات الكائنات لا يمكن حصره في علاقات خارجية تبين ما لبعض الحجارة من أثر في تهدئة النفس أو إثارة الفرح . . فعلم خصائص الأشياء لم يكن محدوداً في عقول المسلمين بما يمكن قياسه .

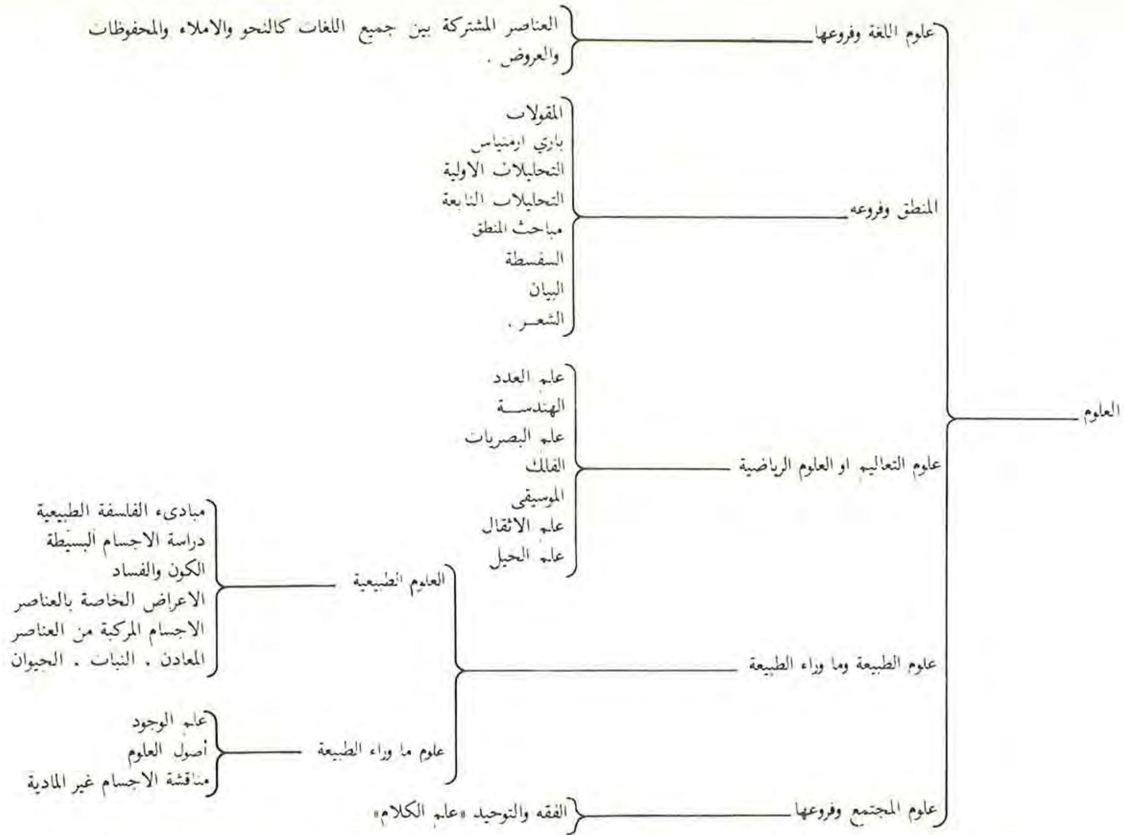
أما في **علم النبات** فقد ورث المسلمون تراثاً ضخماً من المعلومات عن مصادر **الاغريق والرومان والبابليين والفرس والهنود** . . وكان اهتمام المسلمين بالنبات لأسباب زراعية وطبية . . وقد صنف **جابر بن حيان** في « كتاب الحدود » علم النبات وعلم الفلاحة معاً . . ولم تنفصل دراسة الصيدلة عن دراسة النبات في البداية . . ومن الكتب ذات الأهمية الخاصة في تقدم علم النبات والفلاحة كتاب « **الفلاحة النبطية** » لابن الوحشية الذي يتعرض لطرق الزراعة القديمة . . ودراسات المسلمين في علم النبات تتناول في معظمها مسائل من نوع تصنيف النباتات ووظائفها ونشأتها ومراحل نموها ، ووصف أجزائها وعلاقتها بالظروف الجغرافية والمناخية المحيطة بها ، ثم خواصها بما فيها الطبية والباطنية . . **وقد أكد العلماء المسلمون على دراسة عالم النبات بنية استخلاص السلوك الروحي والعبر الخلقية والتأمل على أنها آثار من صنع الله .**



د . سيد حسين نصر

- ولد في طهران بايران وتعلم في مدارسها .
- حصل على بكالوريوس العلوم من معهد التكنولوجيا بماساشوست .
- وحصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة هارفارد .
- عمل أستاذا محاضرا بجامعة هارفارد .
- أول من شغل كرسي أغاخان للدراسات الاسلامية بالجامعة الأمريكية ببيروت .
- عين عميداً لاريامهر وأستاذا بجامعة طهران .
- يشغل منصب عميد الأكاديمية الامبراطورية الايرانية للفلسفة بطهران .
- ألقى محاضرات في أمريكا وأوروبا والشرق الأوسط وباكستان والهند واليابان وأستراليا .
- ألف أكثر من عشرين كتابا .
- ترجمت مقالاته إلى أكثر من اثنتي عشرة لغة .

أصدرت دار الجنوب للنشر في تونس مجلدا ضخما بعنوان « العلوم في الاسلام » تأليف الدكتور سيد حسين نصر ، تصوير رولان ميشو . . والكتاب دراسة شاملة عن العلوم في الاسلام ، يستعرض المؤلف من خلالها نظريات واكتشافات العرب ومدى اسهامها في تقدم العلوم الانسانية . . ولم يكتف المؤلف بعرضه المحايد ، ولكنه اضاف إليه تحليله للروح الاسلامية ومبادىء الاسلام التي قادت العلماء والمفكرين المسلمين وهدتهم إلى ادراك بعض أسرار الكون والمعرفة بهدي من المبدع الخالق سبحانه . . ولايمان الكاتب بأن العلم بلا روح لا معنى له ولا قيمة حرص على الشمولية والتعمق نتيجة لسعة الاطلاع ودقة التحليل . . وهذه هي أول دراسة عن العلوم في الاسلام تصدر بمستوى رفيع تدعمها مجموعة من الصور والوثائق المصورة تنشر لأول مرة باللغة العربية .



رسم يمثل تصنيف العلوم حسب « احصاء العلوم » للفارابي . ترجمته الى الاسبانية انجيل جنزالس بالنسيا . الطبعة الثانية ، مطبوعات كلية الفلسفة والاداب ، جامعة مدريد ١٩٥٣ .

وأما دراسة **علم الحيوان** بمعناه الأوسع فتشمل عند المسلمين جميع نواحي الحضارة الإسلامية من الفقه إلى الأدب ومن الفن إلى الطب .. ويصور الدين الدور الذي تلعبه الحيوانات في كل من الشريعة ومن المعتقدات المتعلقة باليوم الآخر .. فالجاحظ مثلاً جعل من علم الحيوان فرعاً من الدراسات الدينية دون أن يغفل مع ذلك عن الملاحظات الطبيعية والعلمية عن المملكة الحيوانية ، وقد درس حوالي ٣٥٠ نوعاً من الحيوانات ووصفها وصنفها أربعة أقسام حسب طريقة تحركها .. وأضاف **إخوان الصفاء** دراسات تتعلق ببيئة كل حيوان وعدد الحواس التي في كل منها وطريقة التناسل لكل نوع .. كذلك خصص الفيلسوف ابن سينا قسماً لدراسة نفسية الحيوان .. وقسم القزويني المملكة الحيوانية حسب وسائل دفاعها .. وكان اهتمام المسلمين بالطب والبيطرة معاً اهتماماً بالغاً أدى في النهاية إلى استخدام الحيوان في علاج الإنسان .

الكون ودراسته الرياضية

احتلت « الرياضيات » مكانة ممتازة في تقاليد الاسلام .. فالفنون والعمارة الاسلامية تتخللها الأشكال البلورية والهندسية ، ويظهر الولع بالحساب والرموز العددية في كل الفنون التشكيلية والسماعية وخاصة الشعر والموسيقى ، فنرى لوناً من « **الجبر** » في اللغة والفكر ، ينعكس أثره في وضوح على اللغة العربية .. وهذا الحب للرياضيات يرتبط ارتباطاً وثيقاً بجوهر الرسالة الإسلامية أي مبدأ التوحيد ، فالله واحد ولهذا كان العدد واحداً في سلسلة الأعداد أشد الرموز اتصالا بالجوهر وأشدها قابلية للادراك .

وصلت الأرقام العربية إلى عالم الغرب في القرن الرابع للهجرة - العاشر للميلاد - فأحدثت فيه تحولا عميقاً من طريقة استعمال الأصابع في العد إلى استخدام النظام العشري .. **ويرجع اهتمام المسلمين بعلم العدد والحساب إلى القرون الأولى من العصر الاسلامي ، ومن هذا الاهتمام نشأت دراسة المتتاليات العددية** .. ولم يكتف عالم الرياضيات الفارسي الفذ **الكاشي** باكتشاف **الكسر العشري** وطريقة التقريب في حساب المشاكل التي لا تقتضي حلاً صحيحاً بل توصل إلى حل مدقق التقريب للنسبة في الدائرة ، وهي الطريقة التي أدت إلى اختراع « **الآلة الحاسبة** » .

وبدأت دراسة **الهندسة** عند المسلمين بالتكعيب والتربيع وطريقة الاستكمال واستخدام الجمل التكاملية لإيجاد مساحة الجزء من القطع المكافي .. وتوصل **أبو الجود** إلى ابتكار طريقة هندسية لتقسيم الدائرة إلى تسعة أقسام متساوية ، كما توصل **السجزي** إلى تقسيم الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية بواسطة تقاطع الدائرة والقطع الزائد .. وأعاد **الخيام** النظر في **المصادرة الخامسة لاقليدس** الخاصة بنظرية الخطوط المتوازية فاعتبر الرباعي أ .ب .ج . د ضلعاه أ . ب .ج .د متساويان وعموديان على ب ج وهو الرباعي قائم الزاويتين ، ففي هذا الرباعي الزاويتان أ ، متساويتان ويمكن أن تكونا حادتين أو منفرجتين أو قائمتين .. وقد أثبت الخيام أن الحالة الثالثة فقط هي الصحيحة ، مدركاً أنه لو صحت الحالة الأولى لكان مجموع زوايا المثلث أقل من ١٨٠° .

أما حساب المثلثات المستوية والمجسمة القائم على العلاقة بين الأضلاع والزوايا في المثلث القائم الزاوية فهو من اختراع المسلمين ،

فعلماء الرياضيات المسلمين هم أول من عبر عن التوابع المثلثية تعبيرا واضحا .. استخدم **البتاني** حساب المثلثات في أعماله الفلكية ، كما ساعد على تقدم حساب المثلثات الكروية .. **والغريب حقا أن تستعمل البلاد الاسلامية مصطلحات التوابع المثلثية باللغتين الفرنسية والانجليزية وهي في الأصل عربية !**

وفي الجبر - كما في حساب المثلثات - يعتبر المسلمون المنشئين لهذا العلم الذي يدل اسمه على أصله العربي .. وكلمة جبر تعني التعويض .. وقد صنف الخيام المعادلات الجبرية حتى الدرجة الثالثة تصنيفاً منظماً محكماً وحل هذه المعادلات حلولا هندسية .

وتلعب الرياضيات دوراً هاماً في الفنون والعمارة .. فليست الموسيقى والشعر وحدهما لدى الشعوب الإسلامية يسيران على قواعد رياضية دقيقة شبيهة بالأشكال التقليدية الأخرى لهذه الفنون ، بل إن الفنون التشكيلية - من الرسوم على السجاجيد ، إلى زخارف المساجد - تتصل بعالم الهندسة والأعداد اتصالا مباشراً أكثر مما يبدو في الفن المقدس في الحضارات الأخرى .

إن الرياضيات في الاسلام لم تكن قط محدودة بعالم المادة كما هي الحال في الرياضيات المعاصرة ، بل كانت في الواقع أشد ارتباطا بعالم صور الحياة ثم تتجاوزها إلى النماذج العليا .

وتشير آيات عديدة من **القرآن الكريم** إلى السماوات والعالم العلوي عامة ، وهي الأساس الذي أقام عليه علماء المسلمين **علم الفلك** وكذلك **علم التنجيم** .. ولا شك أن البعد الكوني للعبادات الإسلامية وخاصة الصلوات اليومية قد عملت على إبراز ما للفلك من أهمية عملية للأمة الإسلامية ، فكان عليهم أن يحددوا مواقيت الصلاة طول العام كما كان عليهم أن يعينوا سمت القبلة نحو مكة في كل بلد تقام فيه الصلاة .. **والفلك في الإطار الاسلامي يطلق عليه إما اسم «علم الهيأة» أو «علم النجوم» أو «علم الفلك» ويختص برصد النجوم الثابتة والكواكب السيارة وتقدير حركة الكواكب وصنع آلات الرصد واستعمالها** .. وقد عني المسلمون أيضاً بعلم الميقات لتحديد أوقات الصلاة .

وقد قسم العرب مدار القمر إلى ثمانية وعشرين قسماً ، وأنشأوا علماً كاملاً بمنازل القمر ، وأول رؤية لضوء كل منها في كل شهر قمري ، وقد ساعدهم هذا العلم على التكهن بالظواهر الجوية وبالأحداث الأرضية كذلك .. وأطلق على هذا العلم اسم «**علم الأنواء**» والنوء هو طلوع ضوء القمر في بداية كل منزلة .. **واتخذ الاسلام التقويم القمري العربي وهو الذي تسير عليه حياة المسلمين الدينية حتى يومنا هذا** ولكنهم استخدموا إلى جانب هذا بعض أشكال التقويم الشمسي على مر التاريخ الإسلامي في شؤون الزراعة والإدارة ، وتتصل الصلاة اليومية والصوم بمواقيت شروق الشمس وغروبها .

ويعود أول سجل للأرصاد الفلكية في العالم الإسلامي إلى سنة ١٨٤هـ - ٨٠٠م ، حين رصد **النهاوندي** حركة الشمس .. وكان الفلكيون القدامى - مثل **عباس بن فرناس** - يعملون في بيوتهم أو على الجبال أو المآذن .. أما أهم الآلات الفلكية الإسلامية فهو **الاسطرلاب** الذي يشكل اسقاطاً مخروطياً للكرة السماوية على سطح خط الاستواء ابتداء من نقطة القطب ويرجع أصله إلى **عهد الجاهلية** ثم تطور في القرن الرابع للهجرة ، العاشر للميلاد ، إلى ما يسمى بالصفيحة .

وترجع نشأة التنجيم كفن منظم إلى عصر البطالسة في مصر وإن رجعت أصوله كرموز كونية إلى فجر التاريخ .. والواقع أن الرمزية العميقة المتأصلة في التنجيم اندمجت ضمن الحضارة الإسلامية رغم وجود بعض التناقض الظاهري بين محاولة التنبؤ بالأحداث المستقبلية والتركيز الإسلامي على الإرادة الإلهية المتصفة بالشمول والقدرة .. وقد شملت فروع التنجيم ، التنبؤ بالأحداث المستقبلية والطالع المتعلق ببرج الأشخاص وأخيراً الناحية الكونية في التنجيم .

أما انجازات علم الفلك الاسلامي فتتمثل في الأرصاد العديدة التي أجراها المسلمون على السماوات ، ودراسة النجوم الثابتة واكتشاف نجوم عديدة ووضع خرائط جديدة للنجوم وقياس ميل فلك البروج ورصد حركة أوج الشمس وحساب الكسوف والخسوف وحركة الكواكب .

وفيما يخص مبادىء **الفيزياء** وفلسفتها ، نجد أن عدداً من علماء المسلمين أنتجوا ثروة فكرية حوت أعمق مذهب في التوحيد ، ونشأت مدارس مختلفة لإجراء التجارب على القوى الطبيعية .. وقد ابتدع الفارسي **ملك صدرا** فكرة «**الحركة الجوهرية**» التي تناقش آراء أرسطو في الفيزياء حيث تقول إن الحركة خاصية لجوهر الأشياء الطبيعية وذكر أبعاد الفضاء الثلاثة والزمن على أنها الأبعاد الأربعة التي تعين الوجود الفيزيائي .

وقد أسهم المسلمون في تطوير الميكانيكا والديناميكا ، وخاصة ابن سينا الذي قدم فكرة «الميل» لتفسير حركة القذائف وهي أضعف الحلقات في فيزياء أرسطو ، وابن الهيثم الذي طور فكرة العزم أو كمية الحركة ، والرازي الذي أدرك أن تسارع الجسم الساقط بفعل قوة الجاذبية غير تابع لكتلته وأن كيفية قوة تجاذب جسمين تزداد كلما نقص بعدهما وكلما ازدادت كتلتاهما .

كذلك أسهم المسلمون في فرع **البصريات** حتى لقب ابن الهيثم بأبي البصريات بعد أن وضع «**كتاب المناظر**» حيث كشف مقدرته في دراسة تشريح وفسيولوجية العين وتتبع عمل العين من العصب البصري النافذ من المخ إلى العين ذاتها فيشرح أجزاءها المختلفة كالملتحمة والقزحية والقرنية والعدسات وكيف تعمل العين كعضو موحد وكجهاز انكسار للضوء في عملية الإبصار ، وبرهن على أن الشعاع الساقط والناظم والشعاع المنعكس تكون كلها في مستوى واحد ، وأثبت أن الضوء يسير على خط مستقيم ، ولكنه كان يجول داخل إطار الفكر الإسلامي مؤمناً بأن ﴿ **الله نور السماوات والأرض** ﴾ .

العلوم التطبيقية

يستمد **الطب الاسلامي** قوته الروحية من رسالة الإسلام ويتغذى من تربة الطب الإغريقي - الإسكندري والهندي والفارسي .. ولكن المسلمين بدأوا بصنع العقاقير أو العطار بالحمّام التقليدي حيث استخدم الهواء الساخن والبارد والماء والتدليك بغرض العلاج .. ثم تطور الطب الإسلامي مع اكتشاف الأخلاط الاربعة وهي **الدم والبلغم والصفراء والسوداء** ، دون أن يكون امتزاجها هو السبب في الحياة ، فالروح هي أصل الحياة ، ولا غرابة في الصلة بين لفظي (روح) ولفظي (نفَس) و(نفْس) تطابقاً لنظرية **جالينوس** القائلة بأن قوة الحياة تدخل الجسم عن طريق استنشاقه للهواء .. **والروح بمفهومها الطبي عند أطباء المسلمين ثلاثة أنواع :**

١ - الروح الحيوية وتتصف بالحرارة واليبوسة **ومركزها البطين الأيسر من القلب** وهي تحفظ الحياة وتتسبب في نمو الجسم وحركته وتناسله ويكون مجراها في الشرايين .

٢ - الروح النفسية وتتصف بالبرودة والرطوبة **ومركزها في المخ** وهي تسبب الإحساس والحركة وتسري في الأعصاب .

٣ - الروح الطبيعية وتتميز بالحرارة والرطوبة **ومركزها في الكبد** وتختص بتلقي الطعام والنمو والتناسل وتجري في الأوردة .

ويعتقد الأطباء المسلمون أن هناك ستة عوامل خارجية وضرورية

لضمان صحة المريض وتسمى «الستة الضرورية» وهي :

١ ـ **الهواء** (ويشمل آثار مختلف المناخات والتربة) .

٢ ـ **الطعام** (ويشمل مواعيد الوجبات وكميتها ونوعيتها) .

٣ ـ **سكون الجسم وحركته** (ويشمل التمرينات الرياضية) .

٤ ـ **الراحة العاطفية** (وتشمل الحالات العاطفية) .

٥ ـ **الافراز والحصر** (بما في ذلك آثار العلاقة الجنسية) .

٦ ـ **النوم** .

ويكون **التشريح والفسيولوجيا** وحدة لا تنفصل في الطب الإسلامي ، بل كانا في الواقع مدخلاً لجميع فروع الطب .. وقد وصف العلماء أجزاء الجسم وخاصة العظام والأعصاب والعضلات وأحصوا ٢٨٤ عظماً في الجسم .

ويلعب **الطب الوقائي** دوراً في الحفاظ على الصحة بالعناية والنظافة تطبيقاً لتعاليم الإسلام ، ومنها استعمال فرشاة الأسنان الذي يرجع إلى الرسول الكريم ﷺ نفسه ، ومنها تحريم المسكرات وأكل لحم الخنزير .

وكان اهتمام الأطباء يدور حول **الطب الباطني** أكثر من **الجراحة** .. كما كان طب العيون من الفروع التي لقيت اهتماماً خاصاً في الطب الإسلامي ، وفي مصر على وجه التحديد ..

وبرغم استنكار أطباء المسلمين إجراء عمليات الجراحة ، إلا أنهم كانوا يجرونها في حالات الضرورة القصوى من الولادة القيصرية إلى الجراحات المعقدة في العيون .. ولذلك تقدمت صناعة الأدوات الجراحية وبصفة خاصة المشارط وأدوات الكي .. أما جبر الأجزاء المكسورة أو المخلوعة في الجسم فقد أصبح علماً قائماً بذاته حتى يومنا هذا .. وأما جراحة الفم والأسنان فقد تطورت هي الأخرى حتى توصل الأطباء إلى صنع الأسنان الصناعية من عظام الحيوانات .

وتبقى الإشارة إلى ما يمكن تسميته **بالطب النبوي** الذي استقى الأطباء أسسه الدينية من أحاديث الرسول الكريم ﷺ حول الطب وجمعها الأئمة الأوائل كما بين **الأصفهاني والسيوطي وابن الجوزي** .

أما **الصيدلة** فكانت تعتمد على المصادر الفارسية ، إلا أن علماء المسلمين أضافوا إلى الأعشاب والمعادن والعقاقير والعطور والسموم أنواعاً من النباتات والكافور ، وعرفوا الأدوية المركبة من حوالي ٨٥٠ عقاراً صنفها البيروني .

ونتقل إلى ما أسماه المسلمون **بالعلوم الخفية أو السحر** الذي كان محرماً أو مكروهاً ، فنجد أن علماء المسلمين المستنيرين قد حولوه إلى علم قائم بذاته ، إذ يعتمد في أحيان كثيرة على الكيمياء .. فالطبائع الأربع تجتمع حسب تبادلات مختلفة لتولد الجوهرين الأساسيين **الكبريت والزئبق** اللذين يقابلان التذكير والتأنيث ومن تزاوجهما تتكون جميع المخلوقات ولكن بالقدرة السماوية .. وقد استعملت الرموز للفلزات والكواكب في الكيمياء والتنجيم على النحو التالي **(زحل والرصاص) ـ (المشتري والقصدير) ـ (المريخ والحديد) ـ (الشمس والذهب) ـ (الزهرة والنحاس) ـ (عطارد والزئبق) ـ (القمر والفضة)** .. ويقسم **جابر بن حيان هذه الرموز إلى ٢٨ جزءاً يقابل كل منها حرفاً من حروف الأبجدية العربية .. ثم جاءت دراسات الرازي (كتاب الأسرار)** و **(سر الأسرار)** لتدخل تطويراً كبيراً على علم الكيمياء الإسلامي ، أبرزه تقسيم المواد إلى معدن ونبات وحيوان فضلاً عن تصنيف الجواهر .. أما **الكاشفي** فقد صنف العلوم الخفية ولخصها في خمسة علوم هي : **الكيمياء والليمياء** (السحر) **والهيمياء** (اخضاع الروح) **والسيمياء**(خداع البصر) **والريمياء** (الشعوذة والحيل) .

ومن **العلوم التطبيقية** التي عرفها المسلمون أيضاً ، الزراعة والري .. فالزراعة كانت الأساس الاقتصادي الذي قامت عليه الحياة في العالم الإسلامي : لذلك عمل المسلمون على تحسينها بنقل النباتات من جهة إلى أخرى واستخدام التطعيم واستحداث أنواع من الخضر والفاكهة وغرس الأشجار المثمرة .. وتتصل تربية الحيوان بالزراعة اتصالا وثيقاً وبهما معاً تتصل الاستفادة بالثروة الحيوانية من ألبان إلى أصواف إلى لحوم .. ثم تفرض مشكلة المياه نظام الري الذي يقوم أساساً على حساب القنوات المائية وقياسها .. وتبعاً لذلك فكر المسلمون في بناء **الخزانات** لحفظ المياه وإقامة **السدود** لحماية الأراضي من الفيضانات وإنشاء **القنوات** واستخراج الماء من الآبار الطبيعية والمحفورة خصيصاً .. **ويمكن القول بأن الزراعة الاسلامية في صورتيها الشفوية والمكتوبة تحتوي على كنز ثمين من الخبرة والمهارة الفنية في الاستخدام الحكيم للتربة والماء والنبات والحيوان .**

الانسان في العالم

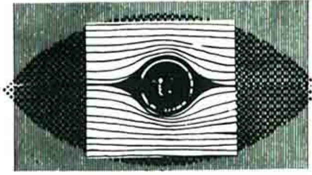
إن علوم الإسلام وتطبيقاتها تدعو إلى الشعور بالانسجام والاتزان لأنها انعكاس مباشر للانتاج الفعلي للحضارة الإسلامية سواء أكان هذا الانتاج في ميدان الفن بمفهومه الدقيق أو في التكنولوجيا والزراعة والعمارة وتخطيط المدن .. وفكرة التوازن بين الإنسان والبيئة هي أهم الأركان الأساسية في جميع علوم الطبيعة التقليدية بما في ذلك علوم الإسلام التي قامت على العلاقات المتبادلة بين الأشياء وعلى وحدانية الطبيعة والتركيب ورؤية الكل الذي لا يكون للأجزاء معنى إلا داخله .. **والتوازن بين الانسان والطبيعة في الحضارة الاسلامية يظهر ظهورا مباشرا في مسكن الانسان سواء أكان ذلك في قرية صغيرة أم مدينة كبيرة** .. فمهندسو العمارة الإسلامية القدامى لم يحاولوا استعمال نوافذ واسعة من الزجاج لجلب أكثر ما يمكن من الأشعة بل استخدموا الطاقات الخارجية لتبريد الحجرات .. وتخطيطهم للبيوت والمساجد والشوارع والأسواق قد راعى استخدام العوامل الطبيعية ، ففي الجهات الصحراوية حيث تشتد الحرارة جعلوا الشوارع ضيقة حتى تحتفظ بهواء الليل أثناء النهار ، وحيث يشتد القيظ استخدموا الأبراج الهوائية وهكذا .

ومن الظواهر الأساسية في تعاليم الاسلام كما تبدو في علومه وفي فلسفته وفي نظرته الكونية ، أن حالة التوازن والانسجام مع البيئة الطبيعية لا يمكن أن تتم إلا بوجود الانسجام مع النظام الكوني بأكمله وفي النهاية مع حقيقة ما وراء الكون .. والعلوم الاسلامية ما هي إلا تطبيقات للقواعد الكونية وهي لهذا مرتبطة أشد الارتباط بالعالم العلوي .

ويختم الدكتور سيد حسين نصر دراسته الجادة العميقة والشيقة عن العلوم في الإسلام بقوله : **« لا توجد حقيقة غير الحقيقة العظمى أن لا إله إلا الله وأن كل المظاهر الكونية من حبات الرمل في الصحراء إلى الملائكة في السموات إنما هي من (بعث) هذه الحقيقة العظمى ، وأنها أمام هذه الحقيقة لا تساوي شيئا .. ومن أجل ذلك كانت العلوم الاسلامية تأكيدا لعقيدة التوحيد الالهي .. ولهذا السبب سوف تظل هذه العلوم تحمل في طياتها أهم رسالة بعثت إلى الجنس البشري الذي هو في أشد الحاجة إلى إعادة الكشف عن هذه الوحدانية وإلى الحياة والمعرفة حسب النور الذي بعثته هذه العقيدة دوما على الوجود الانساني »** .

★ ★

والجدير بالذكر ان المؤلف الدكتور سيد حسين نصر كان قد ألف مادة هذا الكتاب باللغة الانجليزية في الوقت الذي ترجمه إلى العربية الأستاذ مختار الجوهري .. وقام الدكتور محمد السويسي أحد أساتذة الجامعة التونسية بتحقيق النص العربي وضبط الألفاظ العلمية والفنية .







★ القبة الخضراء فوق ضريحه ﷺ المدينة المنورة ★

المساجد

العمارة والتاريخ والرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

● ﴿ إنما يعمر **مساجد** الله من **آمن بالله** واليوم الآخر ، **وأقام الصلاة** ، وآتى الزكاة ، ولم يخش إلا الله ﴾ .

● ﴿ في **بيوت** أذن الله أن ترفع **ويذكر فيها اسمه** ، يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله **وإقام الصلاة** ﴾ .

● ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء ، فلنولينك **قبلة** ترضاها ، فولِّ وجهك شطر **المسجد الحرام** ، وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ .

وقال رسول الله ﷺ :

● « من بنى مسجداً يبتغي به وجه الله .. بنى الله له بيتاً في الجنة » .

● « إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالايمان » .

وبعد ..

فإن خير الكلام ، كلام الله .. وخير الحديث ، حديث محمد ﷺ .. وخير الشهور شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن .. وخير البقاع ، مسجد يغشاه عباد الرحمن : ﴿ ركعاً سجداً يبتغون فضلاً من الله ورضواناً ، سيماهم في وجوههم من أثر السجود ﴾ .

القرآن الكريم : شريعة منزلة ، **والحديث الشريف** : سنَّة منزهة .. وفقه وتوحيد تتحدد معالمهما من أحكام الشريعة وفروض السنَّة .

والانسان : أرفع خلق الله شأناً ، وأسماهم منزلة ، وأولاهم تكريماً ﴿ لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ﴾ و ﴿ لقد كرمنا بني آدم ﴾ .

الإنسان الذي كرمه الله ، والمسلم الذي اختصه الله من بني آدم كي يخلع عليه نعمة الإسلام .. ﴿ **إن الدين عند الله الاسلام** ﴾ .

الانسان والمسلمون و .. **شهر رمضان** .

خلق كريم ، وأمة هي ﴿ **خير أمة أخرجت للناس** ﴾ وشهر فيه ليلة ﴿ **خير من ألف شهر** ﴾ وفيه أيضاً أنزل القرآن .

ونحن في رمضان .. بالنهار ممسكون عن الطعام ، ومحجمون عن فاحش القول والعمل . فإذا ما رفع أذان المغرب .. أطفأنا حر الظمأ وحرمان الجوع .. ثم نحن ـ بعد العشاء ـ قيام بالمساجد حتى ينتصف الليل أو يزيد .

هكذا نحن .

﴿ وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هوناً ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً . **والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما** ، والذين يقولون ربنا اصرف عنا عذاب جهنم إن عذابها كان غراماً ، إنها ساءت مستقراً ومقاماً ﴾ .

وبين الصيام والقيام ، تتمتم الشفاه حمداً لله وتسبيحاً .. ويجري اللسان **بأحسن القول قرآنا** .. ويتأمَّل العاقل في **أطهر البقاع مسجدا** : « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة **المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي** هذا » ، هكذا يقول سيد الأنام ﷺ .



★ محراب جامع قرطبة ★

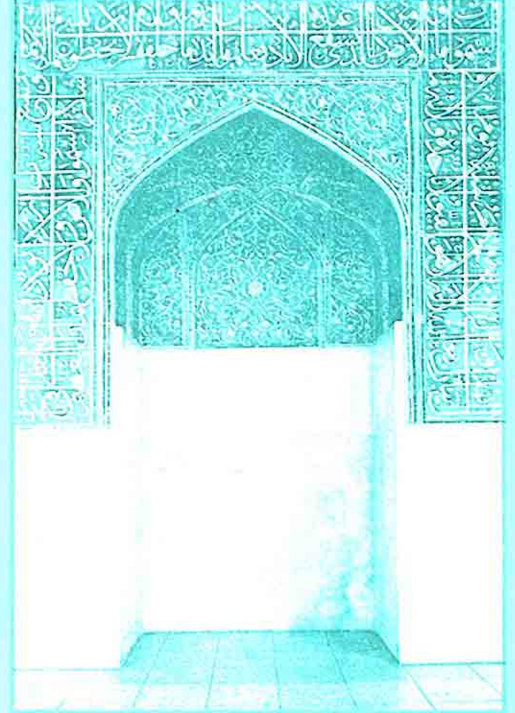


★ القبة التي تغطي ايوان القبلة في مسجد محمد علي ★

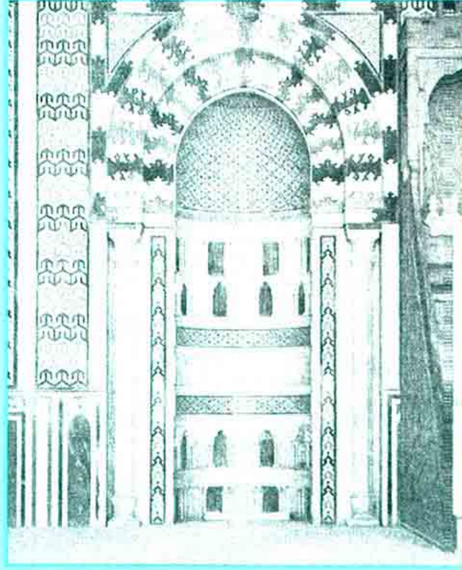
إذن فهي المساجد .. بيوت الله فيها عزتنا .. ووحدتنا .. وحضارتنا .

ولئن كنا قد تعودنا ـ في الموضوع الخاص ـ أن نطل على القارىء مع

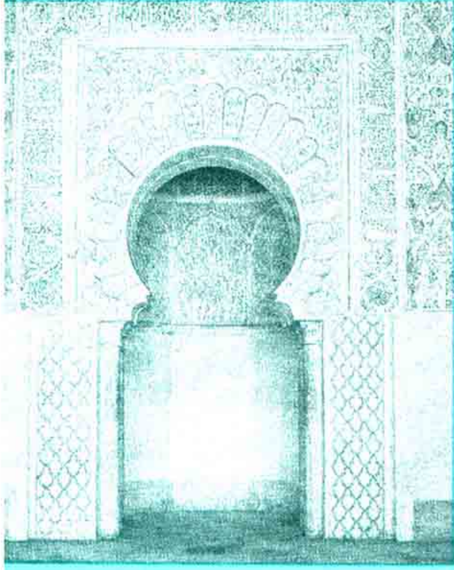
★ محراب يعود إلى القرن السابع عشر الميلادي ★

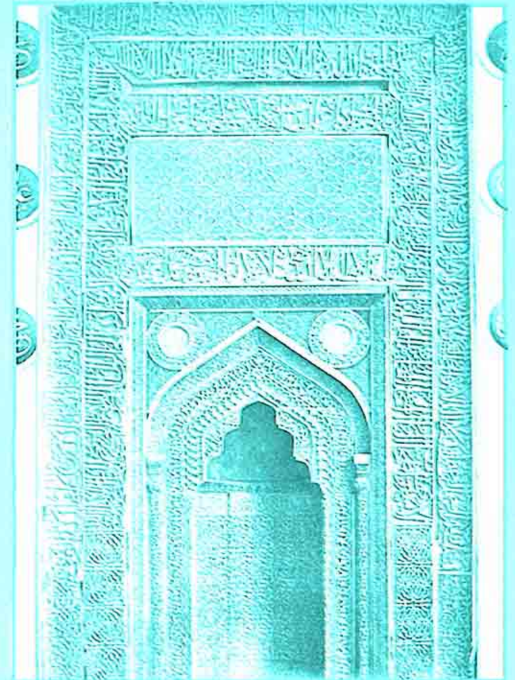


★ محراب من إيران ـ القرن الثامن الهجري ★

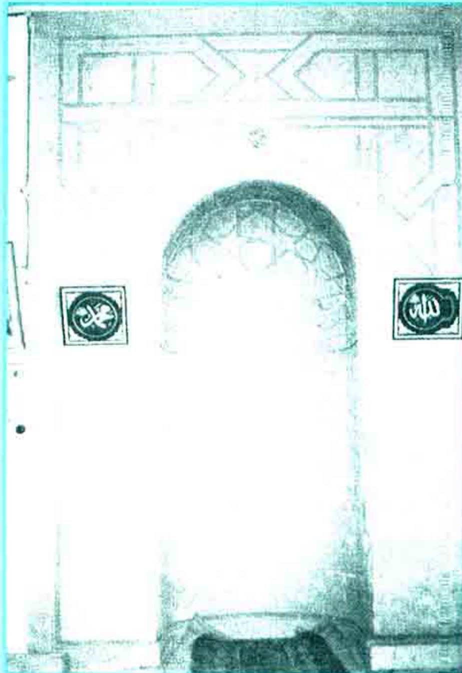


★ محراب مسجد بن يوسف ـ مراكش ★

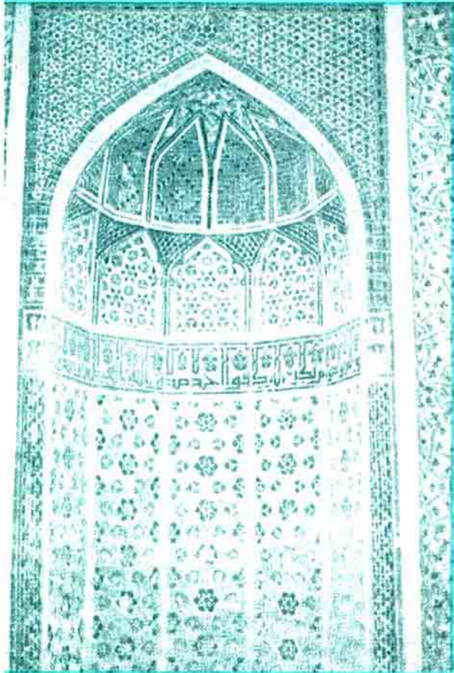




★ محراب خشبي بمتحف أنقرة ـ تركيا ★



★ محراب مسجد الأحمدية ـ حلب ـ سورية ★



★ محراب مسجد الناصر محمد قلاوون ـ القاهرة ★

مطلع كل شهر هجري بدراسة مصورة لمواضيع متعددة الجوانب ، تغطي كافة الأذواق والاهتمامات (الخيل ـ النخيل ـ الطيور المهاجرة ـ كرة القدم ـ البراكين والزلازل . . إلخ) فإن خير موضوع خاص في شهر القرآن . . شهر الصيام والقيام هو **موضوع المساجد** . . وهو موضوع واسع .

●● **رسالة المسجد** ـ ماضيه وحاضره ومستقبله ـ قضية كبيرة نوقشت في ندة الشهر بالعدد الماضي .

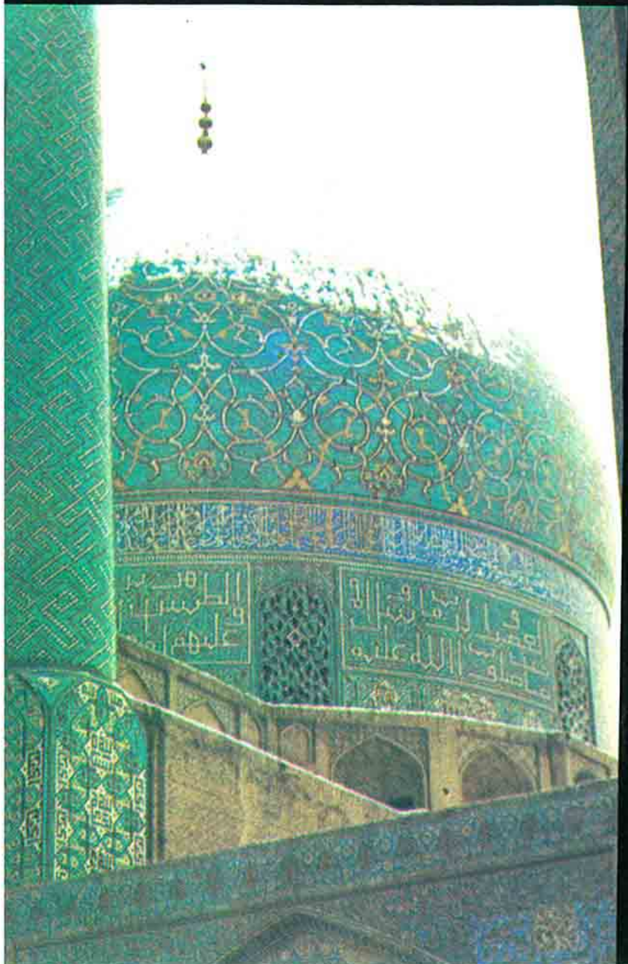


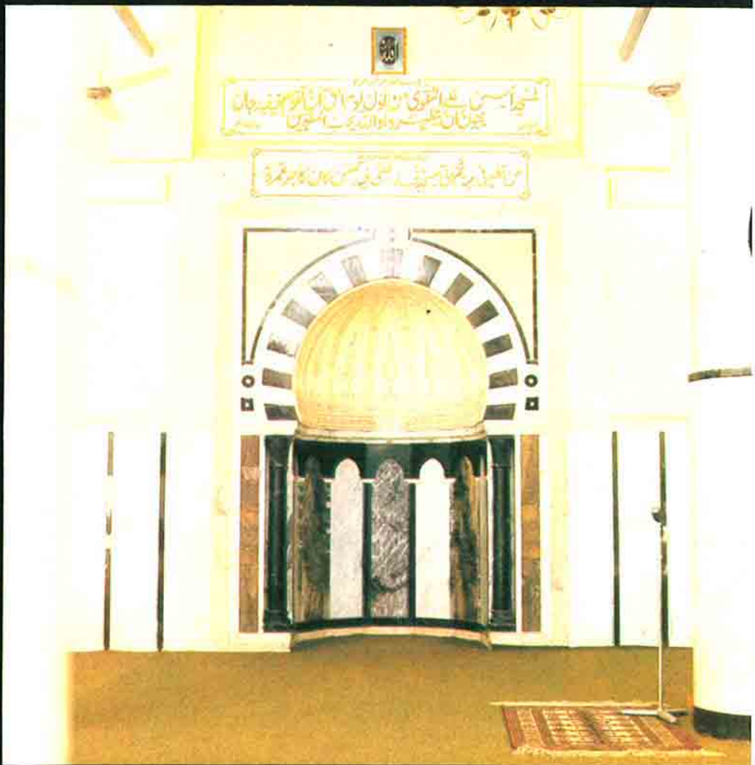
★ محراب رسول الله ﷺ، بمسجده بالمدينة المنورة ★



★ منبر جامع المؤيد ـ القاهرة ★

★ لقطة خارجية لقبة ومئذنة مسجد الشاه ـ أصفهان ★



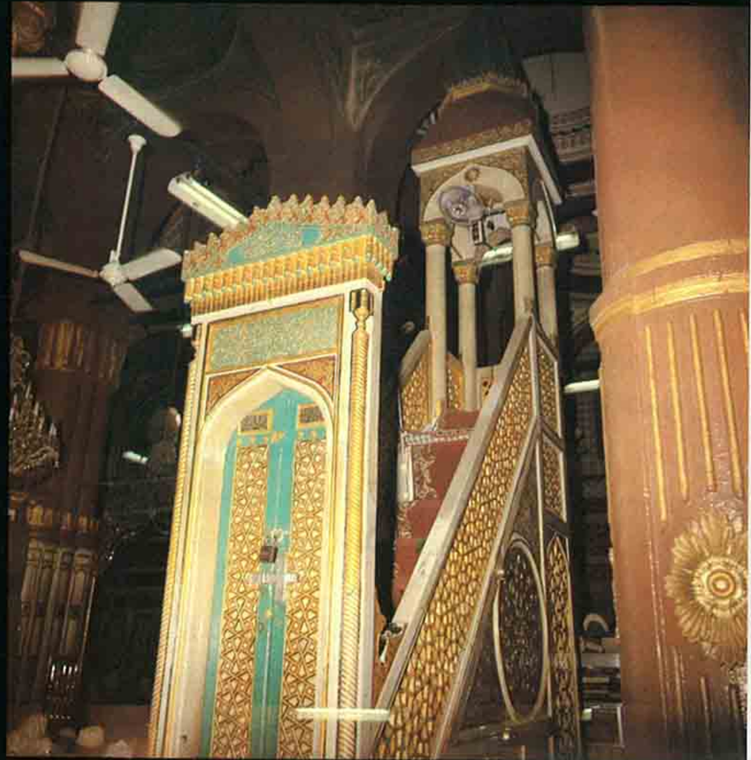


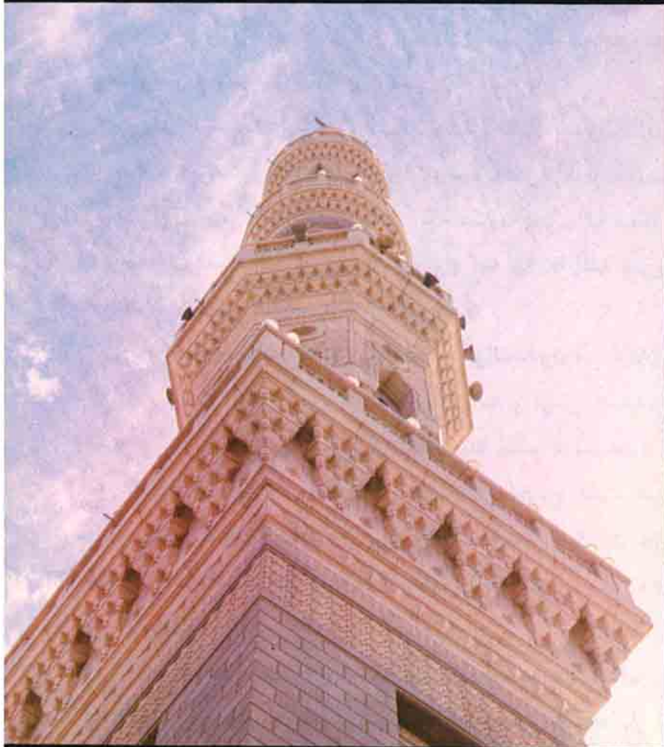
★ محراب مسجد قباء ـ المدينة المنورة ★



★ إحدى مآذن مسجد الرسول ﷺ ـ المدينة المنورة ★

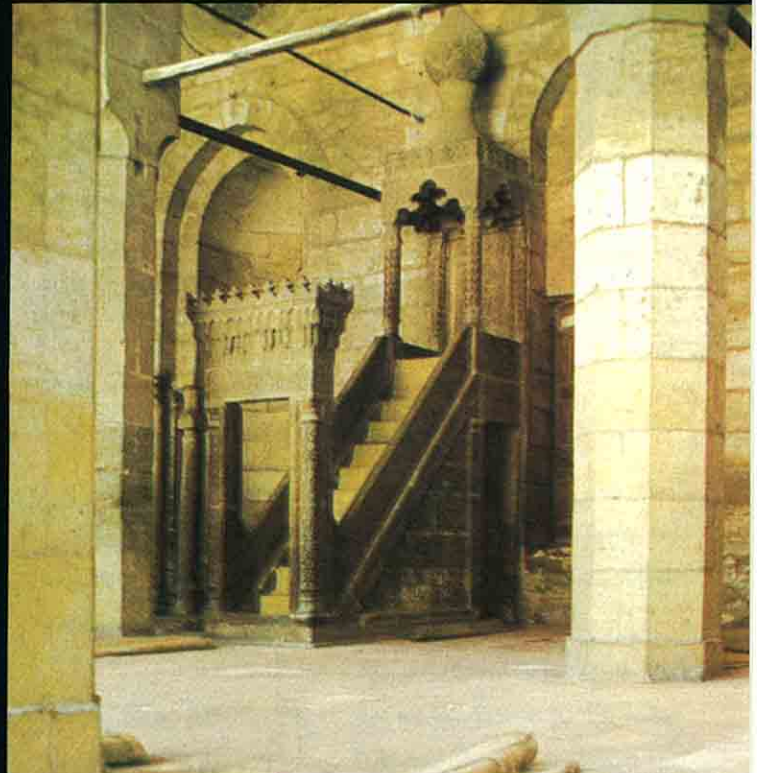
★ منبر المسجد النبوي ـ المدينة المنورة ★





★ مئذنة مسجد [illegible] ـ المدينة المنورة ★

★ منبر جامع القيروان ـ تونس ★



●● **المسجد كركيزة وموقع** انطلقت منها جحافل الإسلام تحمل النور والهدى إلى كافة أرجاء الأرض .

●● **الزوايا المعمارية والهندسية والجمالية** التي تميز المساجد الإسلامية . . موضوع طويل ومتشعب .

فأي موضوع يمكن مناقشته من خلال هذا الباب ؟

دوافعنا للأخذ بالتخصص تميل بنا إلى اختيار جانب أو موضوع معين ومحدد .

لكن طموحنا إلى شمولية التغطية تتطلب معالجة هذه الجوانب اجمالا مع ايجاز .

المسجد .. في القرآن الكريم

ورد ذكر لفظ « **مسجد** » في القرآن الكريم **ثمان وعشرين مرة ،** كما وردت كلمة « **يسجد** » و « **سجود** » بالقرآن الكريم واحدا وسبعين مرة . . وقد ورد بمعنى « **بيت** » **ست عشرة مرة .**

والمسجد هو مكان العبادة في الإسلام . ولقد كان لليهود والنصارى تسميات يطلقونها على أماكن عبادتهم ، ذكر منها القرآن « **الصوامع والبيع والصلوات** » وسلكها مع المساجد في سلك واحد فجاء في القرآن : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت **صوامع وبيع وصلوات ومساجد** يذكر فيها اسم الله كثيراً ﴾ .

ويقال للمسجد **بيتا . .** لقوله تعالى ﴿ **في بيوت** أذن الله أن ترفع ﴾ ، ويرد لفظ « بيت » بمعنى « **البيت الحرام** » أو « **الكعبة** » ﴿ **إن أول بيت** وضع للناس للذي ببكة مباركاً ﴾ . . كما تطلق كلمة « **بيت** » في القرآن الكريم على **آل رسول الله** ﷺ ﴿ **إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت** ﴾ .

و « **المسجد** » اسم مكان للسجود . . **والسجود** من أركان الصلاة التي هي عماد الدين « من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها هدم الدين » . . ولقد اختير السجود كي يشتق منه اسم « المسجد » كدلالة على أهمية « **السجدة** » وعظمتها . . لأنها دليل خضوع العبد لربه . . « **أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد** » ، وكذلك قال عليه الصلاة والسلام : « أعطيت خمساً لم يعطهن أحد من قبلي . . **وجعلت لي الأرض مسجدا** » .

أما « **الجامع** » فهو وصف شائع للمسجد أصبح علماً عليه . يقال في الأصل « **مسجد جامع** » بمعنى مسجد لصلاة الجماعة أو مسجد **تقام فيه صلاة الجمعة** .

ويقول **ابن خلدون في مقدمته :** « اعلم أن المساجد صنفان : مساجد عظيمة كثيرة الغاشية ، معدة للصلوات المشهورة . . وأخرى دونها ، مختصة بقوم أو محلة ، وليست للصلوات العامة . فأما المساجد العظيمة فأمرها راجع إلى الخليفة أو من يفوض إليه من سلطان أو من وزير أو قاض . . فينصب بها الإمام في الصلوات الخمس ، والجمعة ، والعيدين والخسوفين ، والاستسقاء ، وتعين ذلك إنما هو من طريق الأولى والاستحسان » ثم شاع استخدام لفظ « **الجامع** » بمعنى المسجد الذي تعقد فيه حلقات الدرس **كالجامع الأزهر وجامع القيروان .**

المساجد : منزلة ودلالة

للمساجد منزلة تتجسد في سلوكيات ينتهجها روادها ، نوجز منها :

●● إن الداخل إلى المسجد يصلي ركعتين هما « **تحية المسجد** » .

●● وجوب المحافظة عليها وتنظيفها .

●● يروى عن النبي ﷺ أنه نهى عن البصاق فيها وتسمية ذلك « خطيئة » .

●● **كراهة الثرثرة أثناء التواجد بالمسجد . .** إلى جانب كراهة دخولها بالحذاء إلا في أحوال معينة كالحرب والحراسة مثلاً .

●● وجوب التزين عند الدخول إلى المسجد ﴿ **يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد** ﴾ .

هذه المنزلة وتلك السلوكيات التي تختص بها المساجد عما سواها من دور العبادة لدى غير الإسلام قد أهلت المساجد ـ بدورها ـ لأداء رسالة دينية وحياتية .

فمع وصول الرسول ﷺ إلى **المدينة المنورة ـ وقبل أن يقضي بها مدة يستريح فيها من وعثاء السفر ـ كان شروعه في بناء مسجد قباء . . أول مسجد شيد في الاسلام . .** بل إنه كان يشترك بنفسه في البناء مردداً : « **لا عيش إلا عيش الآخرة . . اللهم ارحم المهاجرين والأنصار** » .

نزلت في مسجد **قباء** الآية الكريمة القائلة : ﴿ **لمسجد أسس على التقوى من أول يوم** أحق أن تقوم فيه . فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين ﴾ .

وفيه أيضاً قال سيد الأنام حديثه الشريف ، والمخطوط على محرابه : « **من تطهر في بيته ثم أتى مسجد قباء فصلى فيه ركعتين كان له كأجر عمرة** » .

أما رسالة المسجد على امتداد الأربعة عشر قرناً الماضية فتتلخص في أن المسجد لم يكن مجرد مكان لأداء الصلاة وحسب ، بل كان ـ وسيظل دائماً ـ مرشحاً لأداء مهام اجتماعية وتربوية وسياسية هامة إلى جانب مهامه الدينية والقضائية . . من ذلك :

المسجد .. المعهد

يقول عليه الصلاة والسلام : « ما جلس قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عنده » .

إن الناس إذ يعمرون المساجد ، فهم يقومون للصلاة صفاً واحداً . . أحقادهم خلوها خلف ظهورهم . . فهم هنا متساوون ﴿ **إن أكرمكم عند الله أتقاكم** ﴾ . . والمسلمون في المسجد راكعون . . ساجدون . .



★ المسجد الأموي بدمشق من الداخل ويبدو فيه بيت المال ★

قارئون للقرآن . . مسبحون . . حامدون ﴿ **وعنت الوجوه للحي القيوم** وقد خاب من حمل ظلماً ﴾ .

المسجد .. مقر الحكم

فيه يختار المسلمون خليفتهم ، وفيه تتم له البيعة ، وفيه يخطبهم الخليفة موضحاً منهجه في سياسة الدين والدنيا . . وهذه كلمت **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه تصلنا من وراء أربعة عشر قرناً وكأن لها قوة وصلابة اليوم . . فهو يقول يوم بيعته :

« لقد وليت عليكم ولست بخيركم . . القوي عندي ضعيف حتى آخذ الحق منه . . والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له . . **أطيعوني ما أطعت الله فيكم . . فإن عصيت فلا طاعة لي عليكم** » .

.. وهو مجلس الشورى

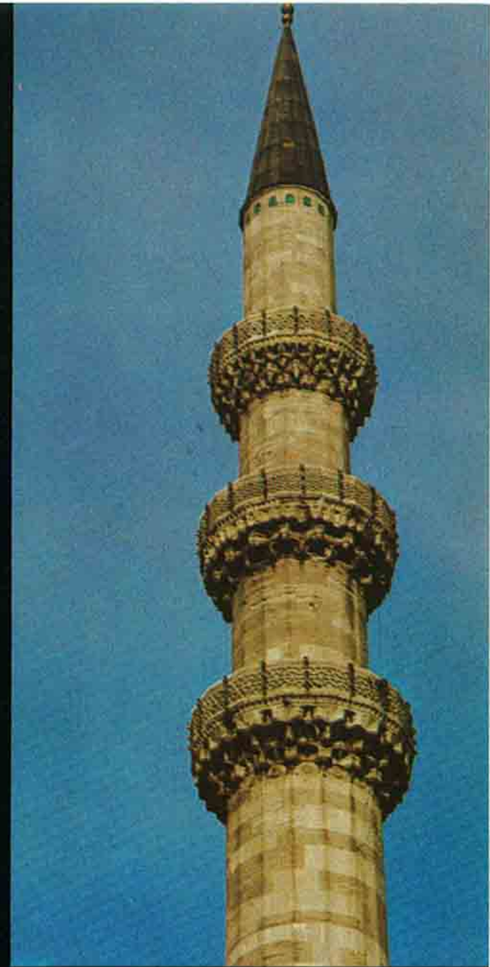
إذ كان مجرد سماع نداء « **الصلاة جامعة** » يعني أنه قد جد أمر يراد فيه مشورة المسلمين جميعاً . . عندئذ يهرع الناس إلى المسجد . . وبعد تأدية الصلاة يكون عرض الأمر (اختيار خليفة أو بيعة أو بحث قانون مستمد من الشرع . . إلخ) على المسلمين . . وفي هذا المقام تحضرنا قصة **المرأة** التي كانت بالمسجد عندما كان **عمر بن الخطاب** رضي الله عنه يناقش مسألة المهور ، فوقفت وجادلته إلى أن أثنته عن رأيه ، فقال قولته المشهورة : « **أصابت العجوز وأخطأ عمر** » .

.. والمدرسة

في المسجد كانت حلقات الدرس تعقد لتعليم كافة دروب وفنون العلم . . ولم يقتصر التعليم بالمساجد على **علوم القرآن والسنة والشريعة واللسان والطبيعة** ، ولكنه امتد أيضاً لتعليم **الطب والهندسة والرياضيات والفلك والكيمياء** وفي ذلك يقول ﷺ : « **من دخل مسجدنا هذا ليعلم خيرا أو ليعلم كان كالمجاهد في سبيل الله** » .

محكمة المسجد

وفي ساحة المسجد صدرت أكثر أحكام القضاء عدلا . . وفي ذلك يروي **الامام البخاري** رضي الله عنه في **صحيحه** أن كعب بن مالك تقاضى **ابن أبي حدرد** ديناً كان له عليه في المسجد ، فارتفعت أصواتهما فنادى رسول الله ﷺ قائلاً : « يا كعب . . ضع عن دينك هذا » فقال : قد فعلت يا رسول الله ، فقال : « قم فاقضه » .



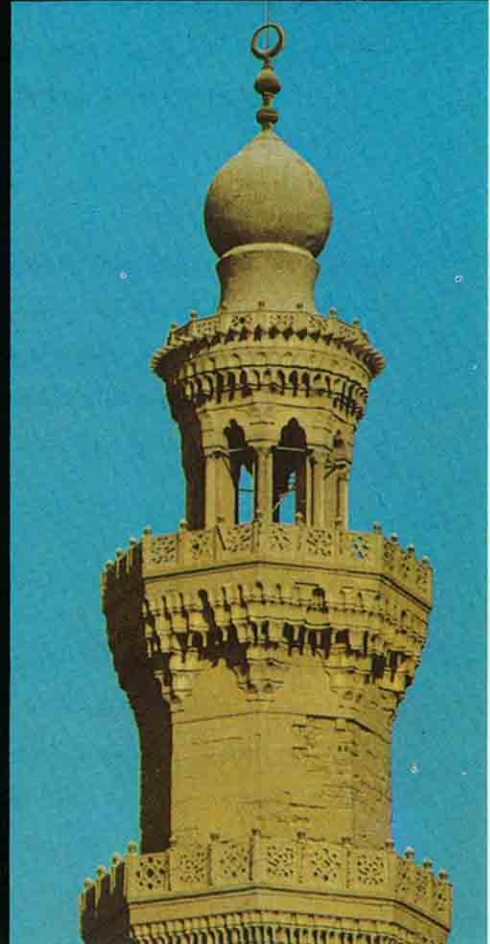
★ مئذنة جامع سليمان باسطنبول ★



★ مئذنة عثمانية في تركيا ★



★ مئذنة مسجد هانجير ـ لاهور ★



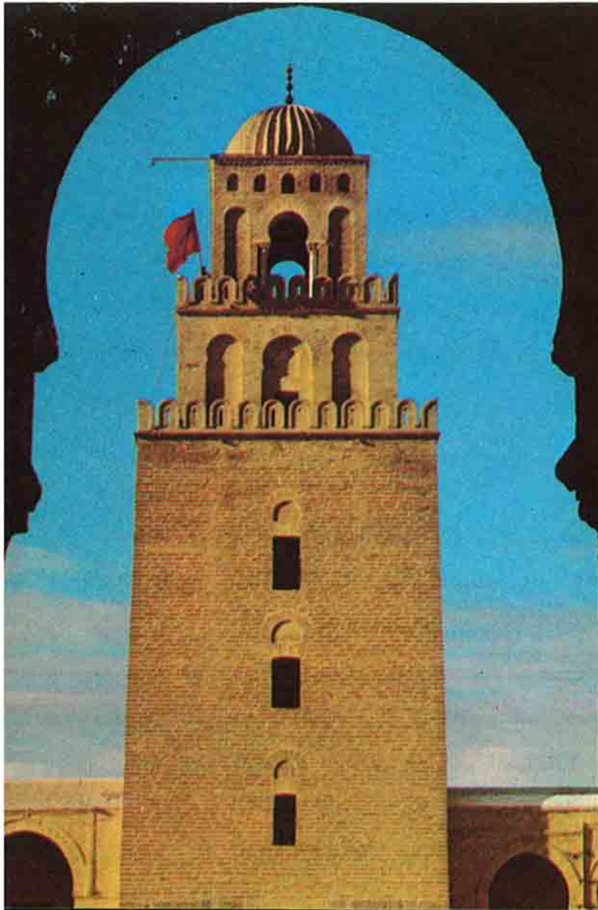
★ مئذنة مسجد السلطان حسين بالقاهرة ★



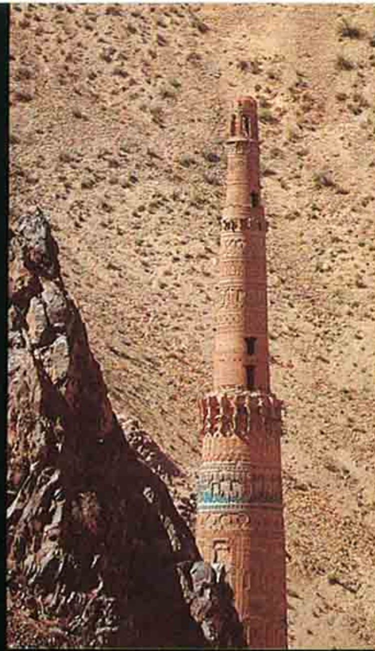
★ مئذنة حلزونية الشكل تعود إلى القرن التاسع الهجري ★



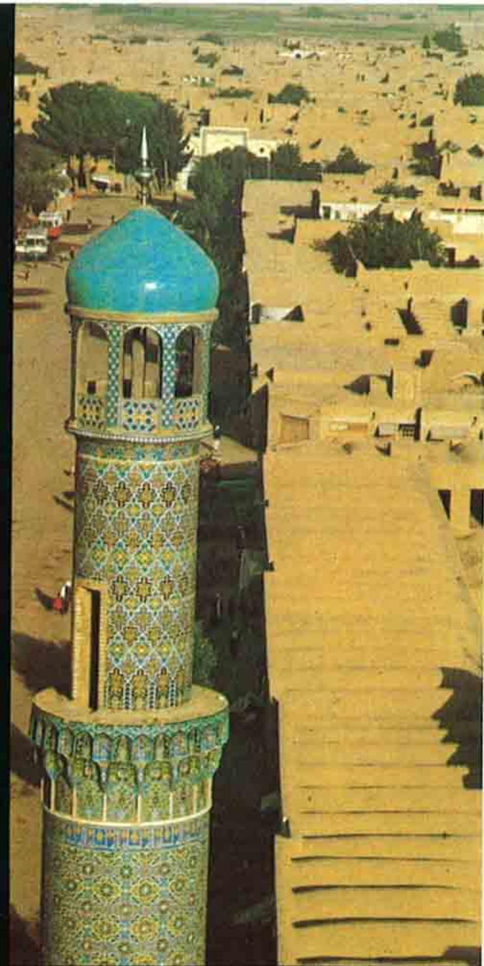
★ مئذنة من الهند ـ القرن السابع عشر الميلادي ★



★ مئذنة جامع القيروان ★



★ مئذنة جامع أصفهان ★



★ مئذنة جامع حراث الكبير ـ أفغانستان ★

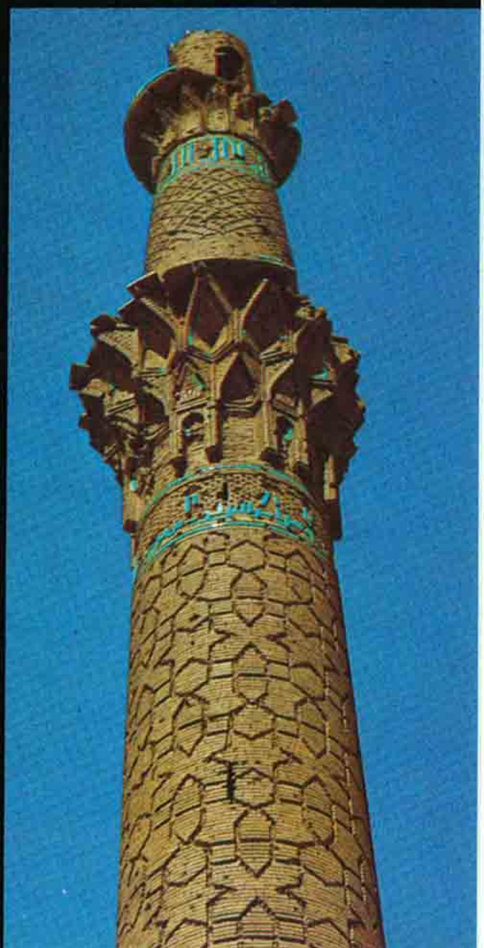


★ مئذنة جامع كوتوبيه بمراكش ★

★ قمة مئذنة مسجد الشاه ـ إيران ★



★ مئذنة مسجد «حربان» بأصفهان ★



.. والنادي

كان سيد الأنام عليه الصلاة والسلام يسمح بأن تقام الأعمال الرياضية بالمسجد . ويروى عن **عائشة** رضي الله عنها قولها : « دعاني رسول الله والحبشة يلعبون بحرابهم في المسجد فقال : يا حميراء أتحبين أن تنظري إليهم ؟ فقلت : نعم . فأقامني من ورائه .. فنظرت من وراء منكبيه » .. قالت **عائشة** : قال رسول الله ﷺ : « **لتعلم يهود أن في ديننا فسحة** » .

المسجد .. ومهام أخرى

●● **الروح الاجتماعية :** فقد كان تردد المسلمين الدائم على المساجد يعتبر بمثابة مؤتمرات دائمة الانعقاد تطرح على مائدة البحث ما يعرض لها من أمور الدين والدنيا .. فهناك **مؤتمر يومي** يتمثل في الصلوات الخمس وآخر **أسبوعي** يعقد مع صلاة الجمعة ، ثم **المؤتمر السنوي العالمي** بالمسجد الحرام في الحج .

●● **وهو المستشفى :** يروى عن السيدة **عائشة** رضي الله عنها قولها : « أصيب **سعد بن معاذ يوم الخندق** في الأكحل ، فضرب عليه رسول الله خيمة في المسجد ليعوده من قريب » .. إلخ .

●● **والأسرى :** ففي سواريه يربط أسرى الحروب . فقد روى **البخاري ومسلم** أن النبي ﷺ بعث خيلاً قبل **نجد** ، فجاءت برجل من **بني حنيفة** يُقال له **ثمامة بن آثال** .. فربطوه بسارية من سواري المسجد ، فاغتسل ثم دخل فقال : « **أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله** » .



هذه هي المساجد عموماً .. إلا أن هناك ثلاثة مساجد اختصها الله بمكانة خاصة ، وروي فيها عن رسول الله ﷺ عدة أحاديث وهي :

المسجد الحرام : بمكة أول بيت وضع للناس ، ومقر الكعبة ، وفيه القبلة .

المسجد الأقصى : بالقدس وهو الذي أسري بالرسول ﷺ .. ﴿ **سبحان الذي أسرى بعبده ليلا من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى** الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ .

المسجد النبوي : بالمدينة المنورة وهو الذي بناه الرسول بها كي يكون مقر حكمه ودار قضائه وديوان سياسة .

إلا أن المسجد الحرام قد امتاز على سائر مساجد الدنيا بعدة مزايا نذكر منها :

١ ـ إنه أول « **بيت** » على الأرض لقوله تعالى ﴿ **إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا** ﴾ .

٢ ـ قبلة كل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها يتجهون إليها خمس مرات في اليوم ﴿ قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة ترضاها **فول وجهك شطر المسجد الحرام** وحيث ما كنتم فولوا وجوهكم شطره ﴾ .

٣ ـ إن **تحية المساجد** جميعاً هي **الصلاة** ، لكن تحية المسجد الحرام هي طواف سبعة أشواط حول الكعبة .

٤ ـ قوله عليه الصلاة والسلام : « صلاة في مسجدي هذا **أفضل** من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام .. وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف فيما سواه » . قال **أبو بكر الصديق** رضي الله عنه : « فحسبت ذلك على هذه الرواية التي هي صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة فبلغت صلاة واحدة في المسجد الحرام عمر خمس وخمسين سنة وستة أشهر وعشرين ليلة .. وصلاة يوم وليلة في المسجد الحرام ـ وهي خمس صلوات ـ عمر مائتي سنة وسبع وسبعين سنة وتسعة أشهر وعشر ليال » .

ولم يقتصر تكريم إقامة الشعائر بالمسجد الحرام على الصلاة وحدها بل إنه امتد كقول **الحسن البصري :** « صوم يوم بمكة بمائة ألف وصدقة درهم بمائة ألف وكل حسنة بمائة ألف » ، وفي ذلك يقول ﷺ ـ عن رواية **ابن عباس** ـ : « من أدرك شهر رمضان بمكة فصامه وقام منه ما تيسر ، كتب له مائة ألف شهر رمضان فيما سواها وكتب له بكل يوم وليلة عتق رقبة ، وفي كل يوم حملان فرسين في سبيل الله وفي كل ليلة حسنة » .

٥ ـ العقاب على « **الهم** » **فيه** وإن لم ترتكب ، قال **أحمد بن حنبل :** « **لو أن رجلا هم أن يقتل في الحرم أذاقه الله من العذاب الأليم** » ، **ثم قرأ قوله تعالى ﴿ ومن يرد فيه بإلحاد بظلم نذقه من عذاب أليم ﴾ . وقال ابن مسعود :** « **ما من بلد يؤاخذ العبد فيه على الهم إلا مكة** » ، ثم تلى نفس الآية .

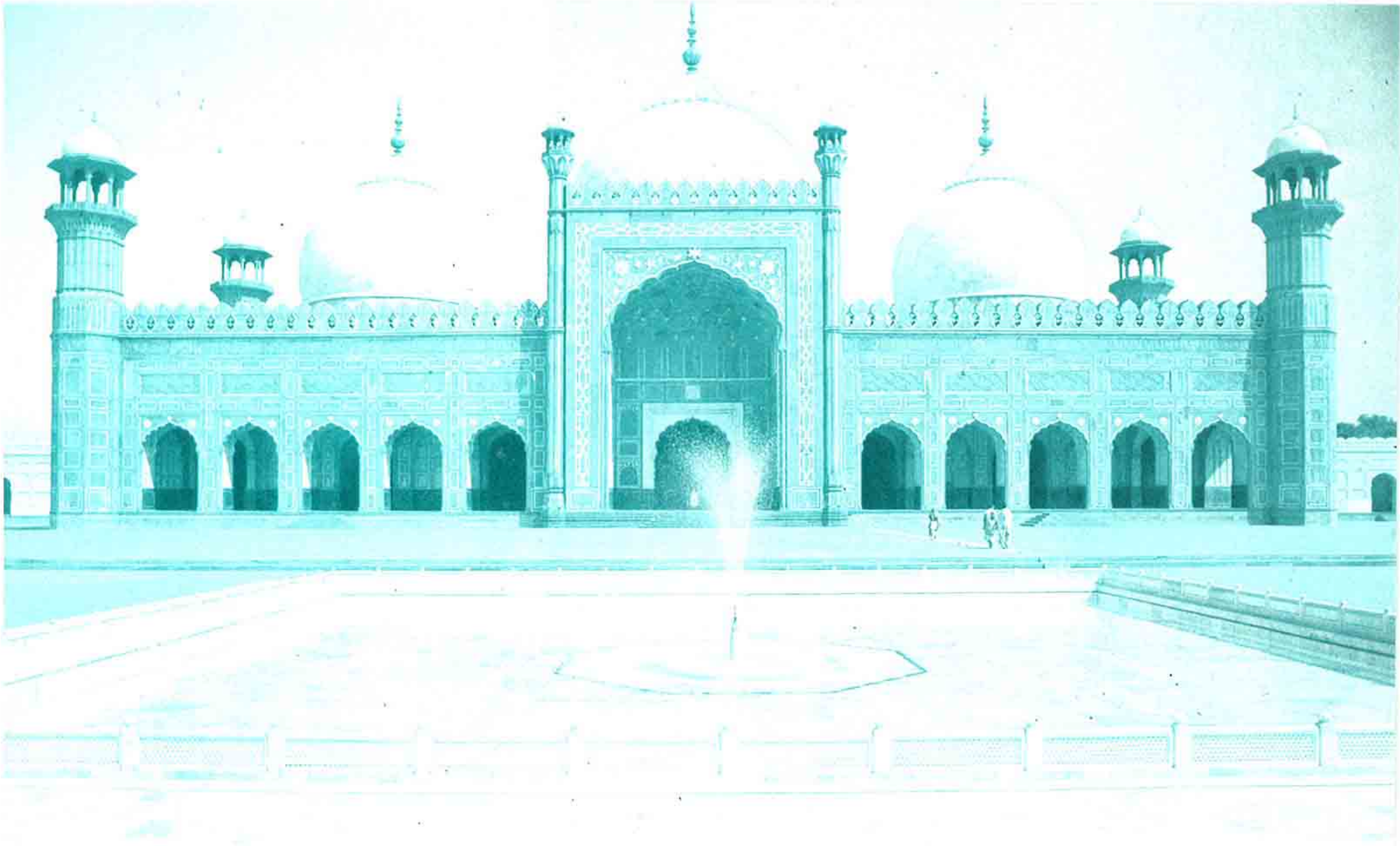
٦ ـ إن **الصيد بالحرم محرم** على الحلال والمحرم بالاجماع لقوله ﷺ : « **ولا ينفر صيدها** » ، وكذلك **يحرم قطع شجرها وحشيشها** للحديث الشريف : « **ولا يعضد شجرها** » .

٧ ـ يعفى ساكن مكة المستوطن بها من دم التمتع والاقران في الحج لقوله تعالى ﴿ ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام ﴾ .

٨ ـ يمنع الكافر من دخول مكة وحرمها لقوله تعالى ﴿ يا أيها الذين آمنوا إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ . وروي عن **الشافعي** رضي الله عنه أن سيدنا محمد ﷺ قال : « **لا يجتمع مسلم ومشرك في الحرم** » .

٩ ـ إن معظم آيات الذكر الحكيم التي ورد فيها ذكر « **مسجد** » قد ذكر بها « **المسجد الحرام** » وإنه قد ذكر في **خمسة عشر موقعا** بالقرآن الكريم[1] .

هذه الشخصية المتميزة للمسجد كدار للعبادة .. وذلك الدور المرشح له .. وتلك المواقف والأقوال التي جسدت .. في النهاية .. لمساجد الإسلام شخصية ودوراً ودلالة ليس فقط في المدلول الديني للمسجد ورسالته ومهامه .. ولكن أيضاً في شكله الخارجي .. وكما يقولون فإن تميز المساجد عن غيرها لم يكن في « **المضمون** » وحسب ولكن في « **الشكل** » أيضاً .



★ مسجد «بادشاهي» لاهور - باكستان ★

الفن الاسلامي

صحيح أن رسالة الإسلام قد نزلت في القرن السادس الميلادي، بعد رصيد بشري هائل في مجال العمارة والفنون.

وصحيح أيضاً أن عمارة المساجد كان لا بد أن تتأثر بالمدارس المعمارية التي سبقت ظهور الإسلام وبناية المساجد.

لكن غير صحيح هو القول بأن الفن الإسلامي كان امتداداً للمدارس السابقة عليه.. فكما تميزت رسالة المساجد عما قبلها من دور للعبادة.. **كان طبيعيا أن تتميز عمارة المساجد عما قبلها من مدارس معمارية أيضا**. ولسوف نناقش هذه القضية من خلال زوايا أربع:

١ - آثار الإسلام على الفن.
٢ - معايير الفن الإسلامي.
٣ - ملامح الفن الإسلامي.
٤ - المدارس المعمارية الإسلامية.

١ - آثار الاسلام على الفن

تقوم العقيدة الإسلامية على مبادىء وقيم كانت الإطار الذي تحرك الفن الإسلامي من خلاله، من ذلك:

- الإيمان المطلق بوحدانية الله لقوله تعالى ﴿كل شيء هالك إلا وجهه.. له الحكم وإليه ترجعون﴾.
- ضعف الإنسان أمام قدرة الله: ﴿ما أصابك من حسنة فمن الله﴾.
- الله هو الخالق البارىء المصور: ﴿خلق الله السموات والأرض بالحق وصوركم فأحسن صوركم﴾.
- الترغيب في حب الجمال والزينة: ﴿قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق﴾.
- الحث على العلم والتماسه من الله تعالى: ﴿وقل رب زدني علماً﴾.
- الحث على العمل: ﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾.

٢ - معايير الفن الاسلامي

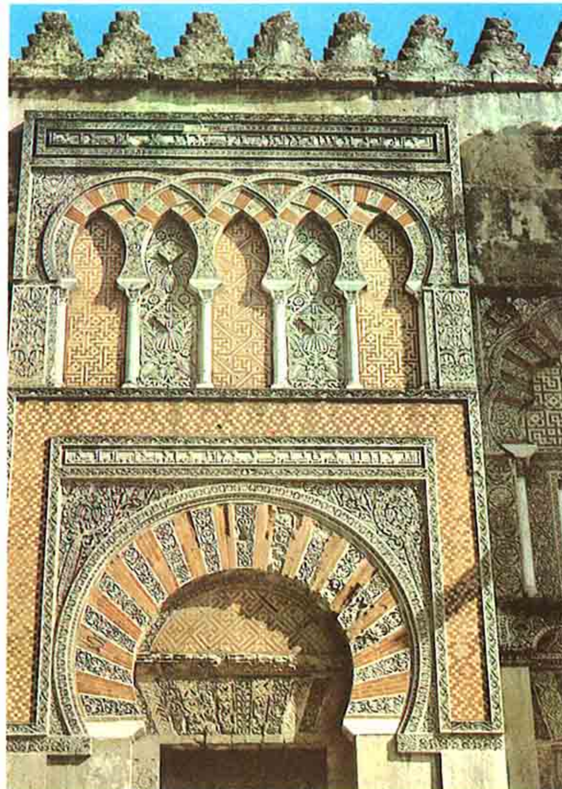
وكانت تتحدد في **كراهة تصوير الكائنات الحية كالانسان أو الحيوان..** وتتضافر هذه الكراهية «الفنية» مع المضمون الأساسي لرسالة الإسلام وهو توحيد الألوهية والربوبية ونبذ الشرك وتحطيم الأصنام واخلاص العبادة لله وحده «خالق كل شيء».



★ مسجد الجمعة ، واحد من المساجد الأثرية ـ المدينة المنورة ★



★ مسجد السلطان أحمد ـ اسطنبول ★



★ باب جامع قرطبة ، شاهد حي على تقدم
العمارة الاسلامية أيام الدولة الأموية ★

٣ ـ ملامح الفن الاسلامي

وتتأكد تلك الملامح ، كما قال « **فييت** » : « **إن الفن الاسلامي في مظاهره السائدة لا يهتم أصلا بنقل الحياة ، إنما ترمي نزعته العامة إلى تجريد المشاهد الحية في الطبيعة حتى لا يبقى منها إلا خطوطها الهندسية** » وفي ذلك نستطيع القول بأن الفنان المسلم قد حقق سبقاً فنياً بوصوله إلى **الرسوم التكعيبية** قبل الفنانين المعاصرين بعدة قرون . . إلا أننا لا نستطيع أن نعقد بين الفنان الإسلامي المبكر والفنان التكعيبي المعاصر مقارنة عادلة . . إذ يتفوق فنان الإسلام لسببين هما ـ كما يقول الأستاذ **أبو صالح الألفي** في كتابه « **الفن الاسلامي** » ـ :

- الفارق بين الفنان المسلم والفنان المعاصر أن الفنان المسلم حقق فاعليته الفنية التي استشعرها في نفسه تعبيراً عن موقفه إزاء الطبيعة . أما الفنان المعاصر فإنه يعبر عن فلسفة عقلية منطقية .
- والفنان المسلم يقدمْ لنا في رقة وأناقة وعذوبة صياغته الجديدة . أما الفنان المعاصر فكثيراً ما يقدم لنا أشكالا مشوهة لا تحقق الاستمتاع الجمالي واستشعار العذوبة التي نلمسها في الفن الإسلامي .

كذلك كان يتنازع الفنان المسلم اتجاهان متناقضان ، وكان عليه ـ كما نقول بتعبيرنا المعاصر ـ « حل هذه **المعادلة الصعبة** » .

فأما **النقيض الأول** فهو ازدهار الحضارة الإسلامية **والثراء الذي وصل إليه الخلفاء المسلمون . .** الأمر الذي يدفع إلى النفس دائماً بحب الاستمتاع بكل ما هو ثمين نفيس كالملابس الفاخرة والأثاث والرياش والقصور الفارهة . . إلخ .

وأما **الطرف الآخر للمعادلة** فهو التجاوب مع اتجاه العقيدة الإسلامية ، **والنزوع إلى عدم الرغبة في انهاك الموارد الاقتصادية للمجتمع . .** إلى جانب التأثر لحد كبير بالحديث الشريف القائل : « **من أشراط الساعة التباهي بالمسجد** » .

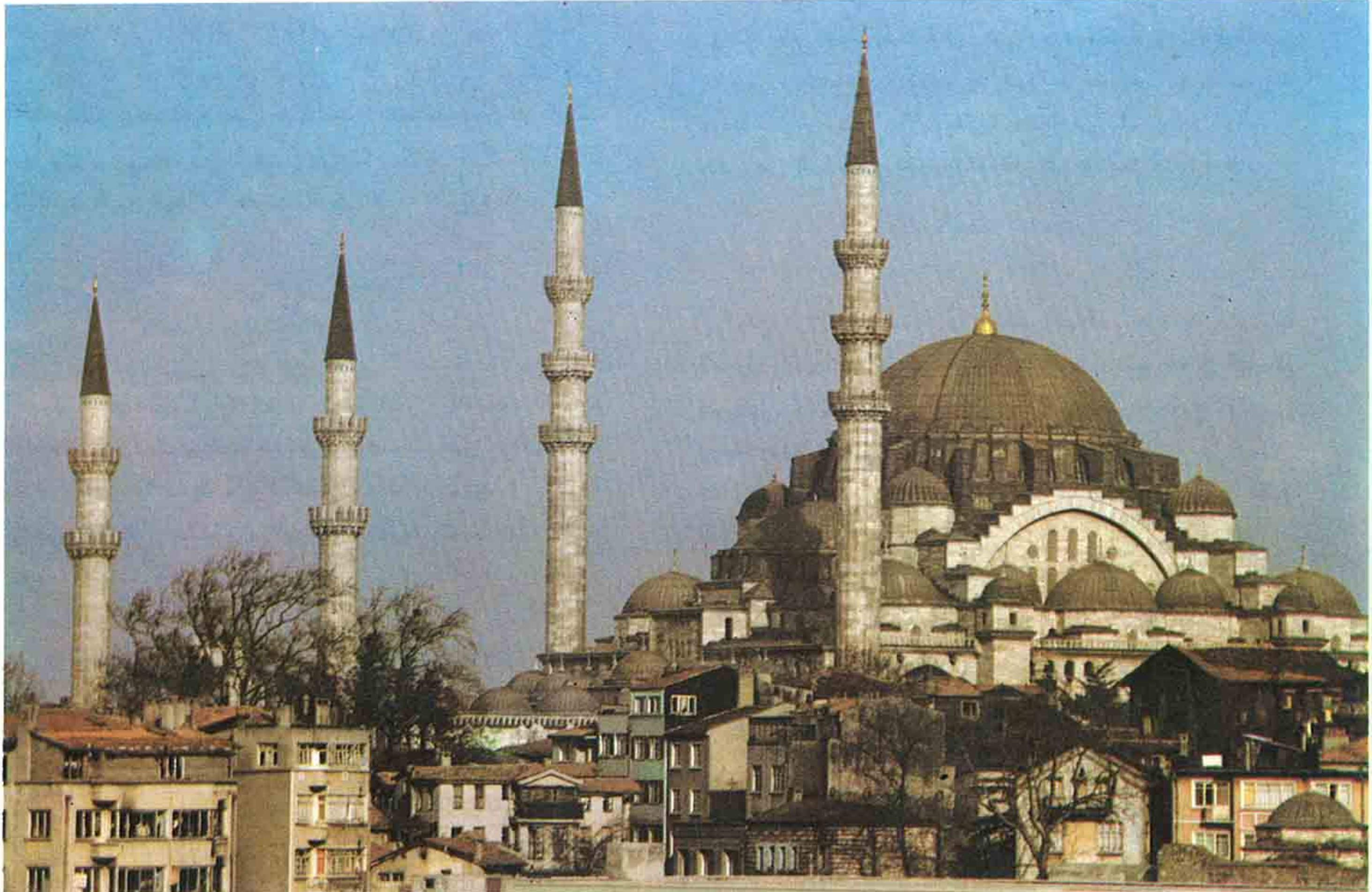
هنا استطاع الفنان المسلم الوصول إلى حلول ابتكارية حقق بها التوازن بين نقيضي « المعادلة الصعبة » تمثلت في :

١ ـ **إنتاج الخزف ذا البريق المعدني** ، والتوصل ـ باستعمال الحرارة ـ إلى التمكن من تلوينه بالبريق الذهبي أو الأحمر أو الأخضر أو الزيتوني . . **كبديل لاستعمال معدني الذهب والفضة** .

٢ ـ تمثلت مثالية الفنان المسلم في حل هذه المعادلة في أسلوبه في **زخرفة المحراب** المصنوع بخامات الخشب أو الصلصال المزجج أو الجص . . وهي خامات زهيدة الثمن .

« الجدير بالذكر أنه كان باستطاعة المسلمين ـ وبخاصة في فترات الازدهار ـ حيث كانت تتدفق عليهم الأموال من كل مكان . . أن يستعملوا في زخرفة المحاريب الذهب والفضة مع ترصيعها بالأحجار الكريمة » .

★ جامع السلطان سليمان ـ اسطنبول ـ تركيا ★



٤ ـ المدارس المعمارية الاسلامية(٢)

أ ـ العصر الأموي

(٤١ـ١٣٢ هـ) ـ (٦٦١ـ٧٥٠م)

وفيه تطورت عمارة المساجد تطوراً عظيماً اتضح أيام حكم «**عبد الملك بن مروان**» وازدهر في عهد خلفه «**الوليد بن عبد الملك**». وقد شيدت في هذا العصر عدة مساجد ما زالت موجودة حتى الآن منها :

●● مسجدي «**قبة الصخرة**» و«**المسجد الأقصى**» ببيت المقدس .

●● **الجامع الأموي بدمشق .**

●● **جامع عقبة بالقيروان .**

●● **جامع الزيتونة في تونس .**

ولقد استحدث استعمال **المآذن في العصر الأموي** . ويُقال إن **معاوية بن أبي سفيان** قد أمر في عام ٦٦٣م «**مسلمة**» واليه على **مصر** بتشييد «**أربع صوامع**» للمناداة على الصلاة في أركان **جامع عمرو بن العاص** . كذلك **أدخل بنو أمية استعمال «المحراب المجوف» والمنبر ..** كما يُقال إن **معاوية** كان أول من شيدت له «**المقصورة**» .

يقول **ابن خلدون في مقدمته :**

المقصورة : «أول من اتخذها **معاوية بن أبي سفيان** حين طعنه الخارجي ، والقصة معروفة ، وقيل أول من اتخذها **مروان بن الحكم** حين طعنه اليماني . ثم اتخذها الخلفاء من بعدهما» . ويقول أيضاً :

«بعد أن أخذ **عمرو بن العاص «المنبر»** بلغ **عمر بن الخطاب** ذلك فكتب إليه عمر : «أما بعد .. فقد بلغني أنك اتخذت منبراً ترقى به على رقاب المسلمين .. أو ما يكفيك أن تكون قائماً والمسلمون تحت عقبك .. فعزمت عليك الا ما كسرته» .

ب ـ العصر العباسي

(١٣٢ـ٤٤٧هـ) ـ (٧٥٠ـ١٠٥٥م)

وقد تميزت عمارة المساجد فيه عن العصر الأموي باستبدال الأعمدة الحجرية ـ التي كانت مستعملة من قبل ـ **بدعامات** تحمل السقف مشيدة **بالآجر ، وغالبا ما يتم تزويد هذه الدعائم بأعمدة متصلة بها من الجانبين ، كذلك استغني عن القبة** وكانت المآذن تقام خارج المساجد .

ومن المساجد في هذا العصر :

● **مسجد «السمراء»** شيده **المعتصم** عام ٢٢١هـ (٨٣٦م) **بشمال بغداد .**

● **مسجد «أبو دلف»** وبناه **المتوكل** في المدة من ٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ .

● **جامع «ابن طولون» في مصر .**

● **جامع «نايين» في إيران** (بالقرب من مدينة «يزد») ، ويمكن القول إن **فيه ظهر «الايوان» لأول مرة ثم توالى انتشاره بعد ذلك .**

ج ـ العصر الأموي في الأندلس

(١٣٨ـ٤٢٢هـ) ـ (٧٥٦ـ١٠٣١م)

ويعتبر **جامع مدينة قرطبة الكبير** ، الذي بناه **عبد الرحمن الأول** عام ١٦٩ / ١٧٠هـ ،هو السمة المعمارية المميزة للعصر الأموي في الأندلس ، كما يعتبر هذا المسجد ـ بعد مسجد السمراء ـ أكبر جامع إسلامي ، ولقد كان تصميم هذا المسجد متأثراً ـ إلى حد كبير ـ بتصميم المسجد الأموي بدمشق .. لكنه خضع لعدة تحسينات وزيادات أخرجته عن التصميم المحوري للمسجد الأموي .

هذا .. وجامع قرطبة ـ أحد العلامات المعمارية الإسلامية الهامة ـ يتميز بعدة جوانب منها :

● ارتفاع مئذنته إلى ٣٣ متراً .

● تنقسم مساحات المسجد إلى ١٩ صحناً كبيراً و ٣٨ ساحة عريضة .

● في الوجه الجنوبي للجامع ـ المواجهة للوادي الكبير ـ ١٩ باباً مصفحاً بصفائح وألواح برونزية عجيبة الصنع .. أما الباب الأوسط فقد زين بألواح وصفائح من الذهب الخالص .. إلى جانب تسعة أبواب في الجهة الشرقية والجهة الغربية .

● تتمثل عبقرية الفنان المسلم في أنه استطاع تحميل سقف المسجد ـ والذي يبلغ ارتفاعه تسعة أمتار ـ على أعمدة رفيعة لا يزيد قطرها عن ٢٥ سم .. وتتضح حدة المقارنة إذا عرفنا أن مهندس كنيسة نوتردام بفرنسا قد رفع سقفها ، الذي يقترب ارتفاعه من سقف جامع قرطبة .. ولكن على أعمدة من الحجر يبلغ قطر الواحد منها أربعة أمتار .

د ـ العصر الفاطمي

(٣٥٨ـ٥٦٧هـ) ـ (٩٦٩ـ١١٧١م)

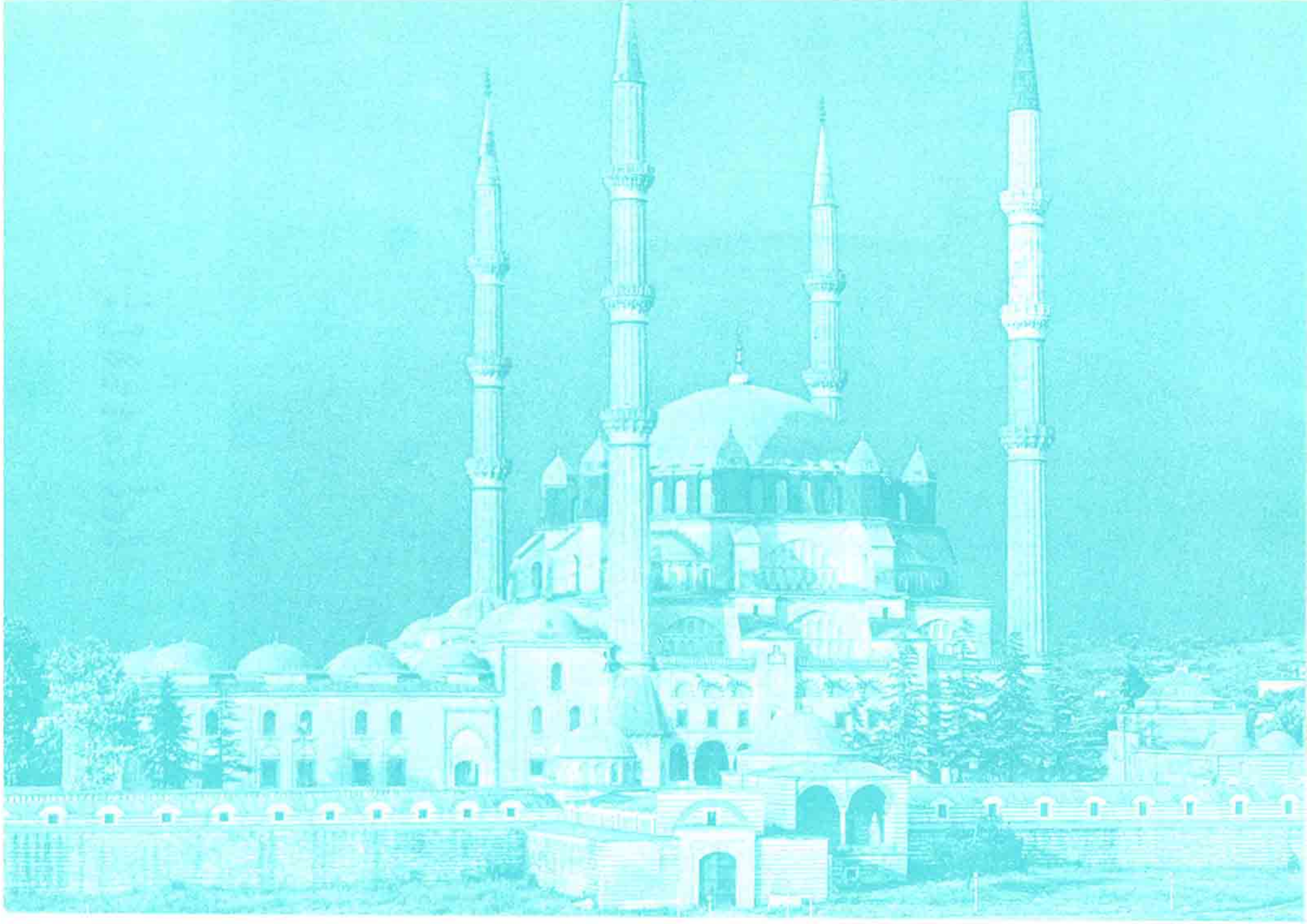
وكان طراز عمارة المساجد في **العصر الفاطمي** مزج من الأسلوب الطولوني والعمارة المغربية التي كانت خطوطها واضحة في **شمالي إفريقيا** . كذلك عنى الفاطميون بواجهات المساجد كما يتضح ذلك من واجهة **جامع المهدية** وبوابته الفخمة .

ومن أشهر المساجد التي أقيمت على الطراز الفاطمي في **مصر** آنذاك :

● **الجامع الأزهر .**

● **جامع الحاكم بأمر الله** (ويتميز ببروز مدخله الرئيسي عن الواجهة بمقدار ستة أمتار وتلك ظاهرة معمارية تظهر لأول مرة في مصر بعد نقلها عن مسجد المهدية) .

● **مسجد الأقمر ومسجد الجيوشي ومسجد الصالح طلائع .**



★ جامع السلطان سليم ـ تركيا ★

هـ ـ العصر السلجوقي

● في إيران

(٤٤٧ ـ ٥٥٣ هـ) ـ (١٠٥٥ ـ ١١٥٧ م)

وتتميز عمارة المساجد آنذاك بوجود ايوان عال مقبب يتوسط دعائم واجهة كل ضلع من أضلاع الصحن المكشوف .. كما ظهر بالواجهة طابقان .. ويتميز ايوان القبلة بزيادة اتساعه عن بقية الايوانات الثلاثة، كذلك ازداد ارتفاع المئذنة .. ومن مساجد تلك الفترة :

- **● مسجد الجمعة بمدينة أصفهان .**
- **● مسجد الجمعة في قزوين .**
- **● مساجد جليا ياجان وسفارية وأردستان .**

● في تركيا

ويتضح من مساجد تلك الفترة أن سلاجقة تركيا لم يأخذوا بطراز المسجد ذي الايوان والصحن المكشوف المعروف في إيران .. فقد خلت مساجدهم من الصحن واعتمد تصميمها على بهو للصلاة مغطى ومتعدد الأروقة تظهر به دعائم منتظمة . وقد يعلو رواق القبلة أكثر من قبة وأشهر مساجدهم :

- **● جامع علاء الدين في قونية .**
- **● الجامع الكبير في ويفرجي .**

● أتابكة السلاجقة

(١١٢٧ ـ ١٢٧٢ م)

اتسست عمارة المساجد في عصر **آل زنكي في سوريا**، بالمحافظة على تصميم الجامع المستطيل الذي تتفتح أروقته على الصحن المكشوف .. **ولا يوجد في هذا النموذج قبة لعدم وجود رواق قاطع لرواق القبلة . ولم يعثر ـ من بين مساجد هذه الفترة ـ إلا على مسجد واحد له قبة وهو جامع مدرسة ركن الدين بدمشق** (٦٢١ هـ ـ ١٢٢٤ م) .. ومن مساجد تلك الفترة :

- **● جامع حلب .**
- **● الجامع الكبير ـ الموصل بالعراق .**



★ مسجد الصخرة بالقدس نموذج متميز لبناء المساجد على مساحة ثمانية الأضلاع ★

و ـ العصر الأيوبي في مصر وسوريا
(٥٦٧ ـ ٦٤٨هـ) ـ (١١٧١ ١٢٥٠م)

لم يخلف لنا **العصر الأيوبي** آثار معمارية كثيرة ، وسبب ذلك انشغالهم بالحياة العسكرية والاستعداد للحروب وخوضها . لكنهم صرفوا اهتمامهم إلى انشاء المدارس التي بلغ عددها ١٣ مدرسة (عام ٦٠٣ هـ) والتي كان تصميمها يشبه تصميم المساجد . وأشهر مساجد تلك الفترة هو **المسجد الكبير الملحق بقلعة صلاح الدين بالقاهرة .**

ز ـ المغول في ايران
(٦١٥ ـ ٧٣٥هـ) ـ (١٢١٨ ـ ١٣٣٤م)

وقد تميزت عمارتهم الدينية بعدم الخروج كثيراً عن طراز جامع أصفهان .. إلا أن التغيير لديهم قد اقتصر على محاولة تدريجية لاستطالة العناصر الزخرفية .. الأمر الذي أكسب المباني أناقة واتزاناً .. بالإضافة إلى فخامة المداخل والمآذن .. ومن مساجدهم :

- **جامع تبريز ـ ايران .**
- **الجامع الأزرق بتبريز .**

ح ـ الفن المغربي الاسباني
(٤٢٥ ـ ٨٩٧هـ) ـ (١٠٢١ ـ ١٤٩٢م)

وهنا تجدر ملاحظة أن **المساجد لم تتأثر عمارتها بالطرز المعمارية السابق الاشارة إليها** ، بل ظل تخطيط المسجد على نفس الطراز العربي الذي كان معروفاً من قبل في **القيروان وقرطبة** .. ومن أشهر مساجد **مراكش** في تلك الفترة :

- **جامعا تلمسان والكتبية .**

أما في **الاندلس** فقد تأثرت عمارة المسجد بالنمط المغربي ومن أشهر مساجدهم :

- **مسجد طليطلة .**
- **المسجد الجامع بالمرية .**
- **المسجد الجامع في أشبيلية** والمعروف باسم (**لاجيرالده**) .

ط ـ العصر المملوكي
(٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ) ـ (١٢٥٠ ـ ١٥١٧م)

وقد نشطت حركة عمارة المساجد في تلك الفترة في **مصر** أيام السلطان .. « **الظاهر بيبرس** » .. ورغم أن المساجد في تلك الفترة قد اخذت ببعض العناصر المعمارية الأجنبية إلا أن تخطيطها ـ عموماً ـ لم يبتعد كثيراً عن التصميمات القديمة التي عرفت في مسجدي **ابن طولون**



★ جامع سليمانية ـ اسطنبول ★

(الدولة العباسية) والحاكم بأمر الله (الفاطميون) وأشهر المساجد:

- **مسجد الظاهر بيبرس ـ القاهرة.**
- **مسجد قايتباي ـ القاهرة.**
- **جامع السلطان حسن ـ القاهرة.**

ي ـ العصر الصفوي بايران
(٩٠٧ ـ ١١٣٥ هـ) ـ (١٥٠٢ ـ ١٧٢٢ م)

وتعتبر مساجدهم امتداد للمدارس المعمارية الايرانية السابقة.. ومن مساجدهم:

- **مسجد الشاه ـ أصفهان.**
- **مسجد الشيخ لطف الله.**

ك ـ العصر العثماني
(٦٨٠ ـ ١١٣٤ هـ) ـ (١٢٨١ ـ ١٧٣٠ م)

وتعتبر طرز المساجد في عصرهم حلقة اتصال بين الطراز السلجوقي القديم والطراز العثماني الجديد الذي ظهر بعد فتح **القسطنطينية**. بعد ذلك تأثرت عمارة المساجد **بالعمارة البيزنطية** بالقسطنطينية وأوضح مثال لها هو **جامع «ايا صوفيا»** الذي كان كنيسة بناها الإمبراطور الروماني «**جوستنيان**» ومن أهم مساجد ذلك الطراز:

- **جامع ايا صوفيا باسطنبول.**
- **مسجد السلطان بايزيد الثاني.**
- **جامع سليمية بادرنة.**
- **جامع السلطان أحمد الأول باسطنبول.**
- **جامع سليمانية باسطنبول.**
- **جامع محمد علي بالقاهرة.**

ل ـ عمارة المساجد بالهند
(٩٣٣ ـ ١٢٧٤ هـ) ـ (١٥٢٦ ـ ١٨٥٧ م)

تحولت بعض المعابد الهندية ـ على أيدي المسلمين ـ إلى مساجد، ولذلك ظلت **الخطوط المعمارية الهندية** واضحة في المساجد والأبنية التي شيدت خلال العصر الإسلامي الأول هناك.

ولعل أوضح مثال وأقدم أثر، للعمارة الهندية للمساجد هو **مسجد «قوة الاسلام»** الذي شيده **قطب الدين أيبك** عام ٥٩٠ هـ (١١٩٣ م) ومن أشهر مساجد المعمار الهندي:

- **مسجد جامع مدينة جاونبور.**
- **مسجد اللؤلؤة**، الملحق بقلعة «**شاه جاهان**» بمدينة **أجرا.**

عمارة المساجد .. ماذا تعني؟

من هذا الاستعراض السريع للمدارس المعمارية الإسلامية على امتداد تاريخ الإسلام . وامتداد رقعته التي كان خضوعها ـ على امتداد السنين ـ لعامل الجزر أكثر منه للمد .. يتضح لنا عدداً من النقاط التي لا تخلو من دلالة .. والتي تدعونا إلى شحذ الهمم والعمل الفوري أكثر من اثارتها لجانب التأمل والأسف :

١ ـ ان **المسجد** كان ، **أول ما يبدأ بالتفكير فيه** واقامته والاهتمام به **مع بناء كل مدينة جديدة** .

٢ ـ أن **المسجد كان يحظى الرعاية والاهتمام** ، والانفاق ، فوق ما كان يناله غير ذلك من مرافق الدولة .

٣ ـ ذلك يجسد مدى تواجد الحاسة الدينية والنزعة العقيدية في أذهان المسلمين آنذاك .

قضية اليوم

والآن .. ؟

قد يقول البعض إن الدول الإسلامية ترفع مع كل يوم مئذنة مسجد جديد ، وترصد الميزانيات الكبيرة لهذا الهدف .

هذا صحيح .. **ولكن قضيتنا هي أن المسجد** لم يكن في يوم من الأيام فن عمارة ورسوم وزخارف ومساحات ، وجدران ترفع وأعمدة تقام وحسب .. بل إنه كان دائماً **مركز اشعاع ديني وثقافي واجتماعي ، وكان منارة علم وفن وحرب .. وكان محل ميلاد فكر .. وتربية أجيال .. ومدرسة مجتمع ..** كان المسجد كل هذا .. كان «**مقر الحكومة**» و «**مجتمع الدولة**» .

وإذا كانت المساجد قد تطورت .. والمؤسسات قد أقيمت .. والسلطات قد حددت ووضعت بين كل منها الحواجز والفواصل .. الأمر الذي صحبه ـ في الوقت ذاته ـ استقلالا في المباني والمواقع .. فإن **المسجد** ، حسب هذا التطور ، **لا بد أن يكون له دور جديد .. دور يساند الانسان المسلم المعاصر في صراعه ضد مبادىء المادة والالحاد .. تلك هي التي استشرى ضررها خلال الآونة الأخيرة .**

لا بد أن يكون المسجد للمسلم : مصلى .. ومنتدى .. ومأوى .. ومهربا .. مهربا يلوذ إليه كلما ضاقت به سبل الكفاح ضد سموم الفكر المعاصر .

وفي تصميم المساجد المعاصرة لا بد أن تراعى تغطيتها للخدمات التالية :

- **روضة أطفال** ينشأون فيها على علوم الدين وحفظ القرآن الكريم .
- **قاعة للمحاضرات .**
- **مكتبة** إسلامية وأخرى عامة .
- **سكن** لإمام المسجد ومؤذنه وخادمه .
- **مدارس** وفصول التقوية للطلاب .

تلك اقتراحات طرحت على كافة وسائل الإعلام ، ونادى بها علماء المسلمين في كافة أقطار الإسلام .

وهي ليست **رفاهية فكرية** يفاخر بها أصحابها ، كما أنها ـ وبنفس المقياس ـ ليست بذخاً في انفاق ، أو امعاناً في زخرفة ، أو تمادياً في أساليب معمار ... **فقط هي استجابة عصرية لدور «بيوت الله»** لقوله تعالى ﴿ في بيوت **اذن الله أن ترفع** ويذكر فيها اسمه ﴾ .. الآية ـ ثم هي خروج بالمسجد عن رسالته المعاصرة المحدودة التي كادت أن تقتصر على أداء الصلوات الخمس والجمعة والعيدين والاستسقاء والخسوف .. والكسوف ..

الاسلام والتحدي

ثمة نقطة أخرى ..

إن العالم كله ـ وخصوصاً أصحاب المبادىء الهدامة كالشيوعية والماسونية والقديانية .. الخ وغيرها ، يرون أنهم لن يتمكنوا من أقطار الإسلام ما ظل الإسلام حياً في أفئدة شعوبها .

وفي مواجهة ذلك .. ليس أمامنا غير أن يكون نهجنا على دربين :

- تكثيف الدعوة الإسلامية في الأقطار غير الإسلامية .
- ترشيد وتطوير رسالة المسجد حسب التصور المعاصر لها .

في هذه الحدود أنشئت مؤسسات إسلامية عدة لخدمة أهداف الإسلام والدعوة لمبادئه وفي طليعتها :

● **رابطة العالم الاسلامي بمكة المكرمة .**

● **المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة ،** والذي عقد لأول مرة **بالمدينة المنورة** في المدة من ٢٤ ـ ٢٩ / ٢ / ١٣٩٧ هـ (١٢ ـ ١٧ / ٢ / ١٩٧٧ م) .

● **مؤتمر رسالة المسجد** الذي عقد لأول مرة **بمكة المكرمة** في المدة من ١٥ ـ ٢٠ / ٩ / ١٣٩٥ هـ (٢٠ ـ ٢٥ / ٩ / ١٩٧٥ م) .

أيضاً ـ أقيمت « **مراكز إسلامية** » وهو تعبير نعتقد أنه طرحه كان أكثر توفيقاً وواقعية منه لو قلنا إنها « مساجد » .

المراكز الاسلامية في أوروبا

أقيمت مراكز إسلامية في كل من **لندن ـ زيوريخ ـ جنيف ـ همبورج ـ** أما المركز الإسلامي الخامس فهو في « **فيينا** » ويعتبر **أول مسجد يسمح باقامة مئذنة به ،** وعلى ارتفاع ٢٣ متراً . . أما مساحته فتبلغ ثمانية آلاف متر مربع ، وفي **حديقة الامم المتحدة بشارع هوبرتس في فيينا بالنمسا .**

أما **ايطاليا** . . فقد اهدت حكومتها قطعة ارض لاقامة مركز إسلامي عليها . . وتشكل للمشروع مجلس ادارة برئاسة الشافعي عبد الحميد ، **السفير المصري** وعضوية سفراء كل من **المملكة العربية السعودية والسودان والعراق وعمان والكويت والأردن وليبيا واندونيسيا وافغانستان وايران وتونس وباكستان وروما .**

آخر مركز إسلامي هو ذلك الذي قام بافتتاحه **جلالة الملك خالد ابن عبد العزيز** حفظه الله والملك **بدوان ملك بلجيكا** في مدينة **بروكسل** يوم ٢ / ٦ / ١٣٩٨ هـ الموافق ٩ / ٥ / ١٩٧٨ م .

●● في كندا

تبرع المسلمون في **اوتاوا** عاصمة **كندا** بمبلغ ٢٠٠ ألف دولار لإقامة مسجد تحت اشراف **الجمعية الاسلامية** هناك .

●● وفي هيئة الأمم المتحدة

أوصى **المؤتمر العالمي الأول لتوجيه الدعوة واعداد الدعاة ،** الذي افتتح بالمدينة المنورة يوم ٢٤ / ٢ / ١٣٩٧ هـ الموافق ١٢ / ٢ / ١٩٧٧ م **بإنشاء مسجد بمبنى الأمم المتحدة في نيويورك .**

ماذا بعد المراكز الاسلامية ؟

وعود إلى الحديث النبوي الشريف : « من أشراط الساعة ، التباهي بالمساجد » .

إننا نعلم جميعاً أن إسلامنا الحنيف لم يكن ـ بامتداد تاريخه الطويل المجيد ـ بحاجة إلى بذل الجهد وتعميق الجذور اكثر منه في عصرنا الحاضر هذا .

ونعلم أيضاً ـ كما سبق أن قدمنا ـ أن المساجد لم تكن أبداً غاية في حد ذاتها . . بل اقترن المسجد دائماً ـ منذ وضع رسول الله ﷺ ـ اللبنة الأولى في مسجد قباء بالمدينة المنورة . . اقترن المسجد دائماً برسالته .

وهذه **المراكز الاسلامية** التي ترتفع مآذنها في سماء عالم غير الإسلام اليوم . . سوف تقيم رسالتها على أسس ثلاثة :

● **مباشرة واعية ورشيدة لشعائر الاسلام . . ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ .**

● **أساليب واعية للدعوة الاسلامية : ﴿ ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة ﴾ .**

● **ثم تكريس العاملين بها لهدف واحد أمام أعينهم ألا** وهو نصرة الدين ونبذ ما دون ذلك ﴿ ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين ﴾ .

هوامش

١ ـ لمزيد من المعلومات ، راجع العدد الأول من مجلة الفيصل ص ٤٧ .

٢ ـ من كتاب « فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية » للأستاذة نعمت إسماعيل علام .

أبجديات قديمة في الوطن العربي

بقلم : أحمد فارس

تعتبر الجزيرةالعربية واحدة من المناطق القليلة الكبيرة الأهمية في التاريخ العالمي . فهي عدا موقعها المتوسط بين قارات العالم القديم كلها (**آسيا ، إفريقيا ، أوروبا**) ، وعدا اتصالها المباشر بجميع مراكز الحضارات القديمة ، وعدا قيام حضارات كبرى في أطرافها الشمالية ، عدا ذلك كله فقد منحت العالم أربعة أمور هامة .

١ - الأديان السماوية الثلاثة وخاصة **الاسلام** .

٢ - الكتابة الأبجدية وهي أم جميع الكتابات العالمية ولا سيما **الكتابة العربية** التي تعتبر اليوم ثاني كتابة منتشرة في العالم بعد الكتابة اللاتينية .

٣ - دولة العرب المسلمين التي كانت عماد **الحضارة العالمية** طوال القرون الوسطى .

٤ - قيام سكان الجزيرة العربية منذ أقدم العصور **بالوساطة الحضارية والمزج بين جميع الحضارات القديمة** ، وقد ساعدهم على ذلك أن بلادهم تسيطر على جميع الطرق العالمية بين الشرق والغرب .

إن الحديث عن هذه البنود التي ورد ذكرها دفعة واحدة يبدو أمراً مستحيلاً ، لأن كل واحد منها يمكن أن يشغل كتاباً كاملاً . لذلك سنحاول أن نتحدث في مقالنا هذا عن الأبجديات القديمة في الوطن العربي ، والتي تعتبر من أقدم الأبجديات في العالم .

١ - الكتابة اليمنية

تعتبر بلاد اليمن من البلدان التي أنشأت حضارة تعد من أقدم حضارات العالم ، وإن كانت لا تقاس بحضارات مصر وسورية وبلاد الرافدين . وأساس عمرانها كان ازدهارها الاقتصادي بسبب طرقها التجارية وخصب أرضها ، ويشهد على هذا العمران بقايا مدنها وقصورها وسدودها وخصوصاً **قصر غمدان وسد مأرب** . وعرب اليمن هم أقدم الأمم التي كتبت بالحروف الأبجدية وكانت لغتهم **الحميرية أو السبئية المعينية** قد انقرضت منذ زمن بعيد ولم يبق منها إلا الكتابات التي اكتشفها ونقلها الرحالة الأوروبيون وقام بتفسيرها العالم (**رودريكو دي هال**) . وتتألف أبجدية هذه اللغة من ٢٩ حرفاً وكتابتها تسمى **بالخط المسند** ، وقد وجدت كتابات من هذا النوع **في جبل الصفا في حوران جنوب سورية** وفي أماكن أخرى من الجزيرة العربية . وهذه الكتابات تظهر بعض التفرع عن الخط المسند اليمني . ولكن العرب الذين سكنوا هناك كانوا من السبئيين ، واقامتهم هناك برهان على وجود محطات لتجار اليمن عن طريق البحر الأبيض المتوسط . انظر الشكل رقم (١) .

وللغة السبئية شبه بالاكادية أو البابلية القديمة وباللغة الحبشية من حيث المفردات والتصريف والضمائر الشخصية ، وقد تكون هذه اللغة أحد الأشكال القديمة للغة السامية الأصلية التي تفرعت عنها سائر اللغات السامية ، وقد حلت مكانها اللغة العربية الشمالية بزوال اليمن وخصوصا بسبب الأسواق الكبرى كسوق عكاظ وبسبب الاختلاط مع عرب الشمال عن طريق التجارة والحج .

تدمري	عبري	عربي	جعزي	لاتيني	سبئي معيني
𐡠	א	ا	አ	A	𐩱
𐡡	ב	ب	በ	B	𐩨
𐡢	ג	ج	ገ	G	𐩴

شكل (١)

شكل ٢

شكل (٣)

شكل (٤) تفسيره:
انا شرحيل بن ظلمو
(ظالم) بنيت سنة
٤٦٣ بعد مفسد خيبر
بعم (بعام)

شكل (٥) نموذج من الخط المسند ولغة اليمن ، ترجمته للغة العربية كما يلي ، في شهر ذي قيصد من ثلثمائة سنة بعد ميحصن بن بحص .

شكل (٦) يمثل كتابة عربية بخط نبطي ترجمتها :
هذا هو القبر بناه عائذ بن كهيل بن القس لنفسه وأولاده .. وأعقابه ولمن يكون في يده . الخ ...

شكل (٧) كتابة نقشت تحت تمثال أدنيه يقول النقش :
ملك الملوك ومصلح المدينة كلها وقائد الخيالة

أ ب ج د ه و ز ح ط ي ك ل م ن س ع ف ص ق ر ش ت

شكل يمثل الأبجدية التدمرية

٢ ـ الكتابة الهيروغليفية

من المعتقد جداً أن **الخط المصري** كان في أول عهده من جملة التزيينات والنقوش ، وهو عبارة عن رموز محفورة ، ثم أخذت هذه الرموز تدل على كلمات ثم على مقاطع ثم على حروف . وهكذا ظهر خطهم القديم المسمى (**هيروغليف** HIEROGLYPHES) أو الخط المقدس ، وقد استعملوه للكتابة على الأبنية والمعابد . ثم جرى الناس في أخذهم وعطائهم على استعمال رموز مختزلة أخذت عن الهيروغليفية فتولد معهم خط آخر يسمى (**الهيراتيقي** HIERATIQUE) أي الديني ، ومن هذا ظهر الخط (**الديموتيكي** DEMOTIQUE) أي العامي ، وعن هذا أخذ الفينيقيون أبجديتهم الشهيرة . وظلت الخطوط الهيروغليفية (شكل ـ ٢) سراً مبهماً إلى أن حل رموزها العلامة الفرنسي (**شامبوليون**) سنة ١٨٢٢ م ، فأوجد باكتشافه هذا علم الآثار المصرية (EGYPTOLOGIE) وبواسطته تمكن العلماء من قراءة ترجمة النقوش الموجودة على الأبنية المصرية القديمة ، وظل علماء فرنسا محتفظين بالمكانة الأولى من هذا العلم وذلك بفضل الجهود التي بذلها كل من علماء اللغة والتاريخ (**روجيه ، وشاباس ، وماريت ، وريبول ، وماسبيرو**) .

أثناء حملة نابليون على مصر عثر أحد ضباطها على حجر بالقرب من بلدة « **رشيد** » عليه رموز منقوشة بثلاثة خطوط مختلفة ، هيروغليفية ، وديموتيكية ، ويونانية ، وقد حل منها العلامة الانكليزي **يونغ** اسم **بطليموس** المكتوب في أحد إطاراتها ، ثم أتى شامبوليون من بعده فاهتدى إلى أن كلاً من هذه الخطوط له معنى خاص به . فأخذ اسم بطليموس واجتهد أن

يتوصل بحروفه إلى حل ما في باقي الإطارات . فوفق إلى قراءة اسم (**برنيس ، وكليوباترا ، والاسكندر**) فتوصل بحروف هذه الأسماء إلى ايجاد أبجدية ابتدائية ثم ظهر له من المقابلة بين الكلمات الهيروغليفية المقروءة والكلمات **القبطية** الحالية أنه يوجد تشابه كبير بينهما في القواعد النحوية ، وتوافق في المعاني . وبعد هذه الجهود أصبح بالامكان قراءة الرموز والنقوش المصرية وترجمتها .



٣ ـ الكتابة الآشورية والكلدانية

بينما كان المصريون ينشئون على ضفاف النيل أبنيتهم الفخمة وادارتهم الحكيمة وحضارتهم العريقة ، كان الكلدانيون والآشوريون يقيمون الحروب الهائلة ويضعون العلوم الرياضية ، ويبحثون في العلوم المختلفة ، وقد وجد علماء التاريخ ما يثبت هذه الحقائق عندما وجدوها مشروحة بالتفصيل في كتب عثروا عليها في مكتبة (**آشور بانيبال**) في أنقاض مدينة (**نينوى**) في العراق وهي تتألف من صحف مستوية من الخزف مخطوطة بالخط الاسفيني أو المسماري (شكل ٣) ، لأن شكله مرتب على هيئة الاسافين أو المسامير .

ومن الصعب جداً حل رموزه لأنه يحتوي على مقاطع أو كلمات صعبة التمييز . وقد عرضت هذه الصعوبة للآشوريين أنفسهم فألفوا لذلك معجماً مهماً تركوه في جملة مخلفاتهم ، وتمكن العلماء بعد جهد طويل من حل رموز هذا الخط بمقارنتهم بين أسماء الأعلام الموجودة في بعض الكتابات المسمارية المؤلفة باللغتين الفارسية والآشورية ، وهكذا تمكنوا من ايجاد الأبجدية وقراءة الكلمات **الآشورية** واستعانوا على ترجمة معانيها باللغة **الفارسية** ، فاكتشفوا اللغة الآشورية التي هي من مشتقات **اللغة العبرانية وسموا (اسيريولوجي** ASSYROLOGIE) العلوم التي ثبتت من قراءة الرموز وترجمة النصوص الآشورية ، وأهم من اشتغل بهذه العلوم العالمين (**راولانسون الانكليزي**) و (**اوبرت الافرنسي**) . . وما قيل عن اللغة الآشورية يمكن أن يقال عن اللغة البابلية .



٤ ـ الكتابة النبطية

كان الأنباط عرباً وعرفهم اليونان كعرب وقد تكلموا اللغة العربية ، وكانت أسماء ملوكهم عربية أيضاً ، أما كتابتهم فقد نقشت **بالخط الآرامي** . ولا عبرة في ذلك لأن اللغة الآرامية في معظم الألف الأول قبل الميلاد ، كانت اللغة الدولية في أيام الأنباط **وكانت الآرامية لغة العلم ولغة أهل الدولة والوجاهة** . غير أن الكتابة الآرامية التي كتب بها الأنباط اختلفت قليلاً عن الكتابة الآرامية الأصلية واصبحت في القرن الثالث للميلاد كتابة عرب الشمال وتحولت إلى الخط العربي النسخي (انظر الشكل ٤) .

وأقدم كتابة عربية من هذا النوع وجدت في شرقي حوران في سورية على قبر **امرىء القيس** أحد ملوك الحيرة . **فالكتابة العربية إذا متفرعة عن النبطية التي تفرعت عن الآرامية . وأما اللغة العربية في صدر الاسلام فإنها تختلف عن اللغة العربية التي تكلمها الأنباط** .

اعتقد علماء اللغة إلى عهد متأخر أن الفينيقيين هم أول من استعمل الحروف الأبجدية . ولكن الواقع هو أن أقدم كتابة بالحروف الأبجدية قد اكتشفت منذ فترة في **طور سيناء** قرب بلاد الأنباط في مكان يقال له (**سرابيط الخادم**) ترجع إلى ١٨٥٠ قبل الميلاد . فهي أقدم من الكتابة الفينيقية التي اكتشفت على قبر **احيرام في جبيل في لبنان** بكثير . وهذه الكتابة قد ابتكرها الساميون الذين كانوا يشتغلون في **مناجم الفيروز** في طور سيناء وقد أخذوا علامات كثيرة من الهيروغليفية المصرية واستعلموها كعلامات للأصوات مثل علامة رأس الثور التي تعني (الف) في

اللغة السامية واستعملت للحرف الصوتي (آ) . وكذلك علامة بيت الهيروغليفية التي استعملت للحرف (ب) . وقد انتقلت هذه الأبجدية أولا إلى العرب الجنوبيين في اليمن عن طريق التجارة فاستعملها المعنيون منذ نحو (١٢٠٠) ق . م . وثانياً إلى سواحل الفينيقيين حيث استعملها هذا الشعب الذي كان يشتري الفيروز من العرب ، وعن طريق الفينيقيين انتشرت في العالم كله واشتقت منها الكتابة اليونانية ثم اللاتينية أخيراً . وقد اكتشفت كتابات في **الصفا** قرب حوران وفي **العلا** بشمالي الحجاز وفي **حجر (مدائن صالح وتسمى كتابتها ثمودية ، نسبة إلى قوم عاد وثمود كما ورد ذكرهما في القرآن الكريم)** . وهي في لغتها عربية شمالية إنما في كتابتها قريبة من العرب الجنوبيين (انظر الشكل ٥ والشكل ٦) .



٥ ـ الكتابة التدمرية

إن ما قيل عن الأنباط فيما يتعلق بلغتهم وكتابتهم يمكن أن يقال عن التدمريين . فقد كان هؤلاء من العرب واستعملوا إحدى لهجات اللغة العربية التي لا تختلف كثيراً عن لهجة الأنباط ، ولكنهم كالأنباط كانوا يكتبون بالخط الآرامي الذي تنوع قليلاً فكان منه النوع النبطي والنوع التدمري . ومن حسن الحظ أن الكتابات التدمرية كانت ترافقها في كثير من الأحيان ترجمة يونانية وهذا ما ساعد كثيراً في تفسيرها . والكتابات الدينية كثيرة وتفيدنا عن الالهة التي عبدها التدمريون وأكثرها موجودة على القبور والأضرحة . وهناك كتابات فخرية نقشت على مختلف المباني للاشادة بذكر الرجال أو لتخليد حادث (انظر الشكل ٧) . وهذا العمل له فائدة في تعيين تواريخ الأبنية وفي معرفة بعض الشؤون الادارية في المدينة .

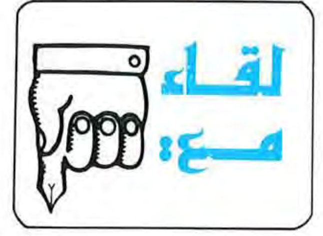
ومن الكتابات المهمة كتابة موضوعها (**قانون تدمر المالي**) تفيدنا عن أنواع البضائع التي كانت تنقلها القوافل وعن المواشي ، وعن اعاشة المدينة وحتى عن صلاحيات مجلس شيوخ المدينة ، وهي إذاً صورة عن حياة مدينة تدمر المتاجرة .

٦ ـ الكتابة الفينيقية

مثل الفينيقيون دوراً مهماً في تاريخ البشرية رغم أنهم شعب صغير . فقد كانوا رجال ملاحة وتجارة وقاموا بمهمة الاتصال بين الشعوب القديمة ، ولم يكن لديهم مدنية خاصة بهم ، لكنهم ساعدوا على نشر مدنيات الأمم الراقية في الأوساط المتأخرة . ومخرت مراكبهم عباب البحر الأبيض المتوسط فطافوا جميع ثغوره بتجارتهم الضخمة . كان التاجر الفينيقي يحتاج إلى الكتابة السهلة لتنظيم دفاتره بسرعة ، والأرقام لضبط معاملاته التجارية ، وعليه ساقتهم الحاجة إلى الأخذ عن الآشوريين علم الحساب ، واخترعوا الأبجدية التي استمدوا أصولها من الأنباط واعتمدوا في وصفها على الهيروغليفية المصرية ، وقد كان من نقائض هذه الكتابة حتى المختزلة منها أن بعض حروفها يدل أحياناً على عدة أهجية وأخرى على كلمات وتارة على حروف ، أو يوجد عدة إشارات لحرف صوتي واحد . فالفينيقيون بفضل نبوغهم العلمي اختصروا هذه الطريقة المعقدة فاختاروا من الكتابة المصرية ٢٢ حرفاً أمكنهم بموجبها أن يدلوا على جميع الحروف الصوتية والأهجية الموجودة في لغتهم . وبذلك اخترعوا الكتابة السهلة وأخذها عنهم الاغريق ومن ثم الرومان ، وبواسطة هؤلاء انتشرت في أنحاء أوروبا . ومهما أشدنا بأهمية الحروف الهجائية وفضلها على الشعوب الأوروبية فلا نكون مبالغين ، ولولاها لما ازدهرت المدنية ولما تم هذا التقدم العالمي .

يتضح مما سردنا أن المنطقة العربية كانت تعج بالحضارة منذ آلاف السنين ، وقد تركت بصمات حضارتها على حضارات العالم المعاصر .. لقد أخذ الغرب عنا الكتابة ، والرياضيات ، والجبر ، والفلك والعلوم الأخرى .. أعطتهم حضارتنا كا ما ينفع فردوا لنا الجميل بأن أعطونا كل ما يفسد ويضر .. عن طريق استعمارهم وتشويههم لتاريخنا وحضارتنا ..

لقد آن الأوان لكي نصحوا من غفوتنا وننهض من كبوتنا .. إن لنا رصيداً حضارياً عظيماً يجعلنا نرفع الرؤوس عالياً أمام العالم أجمع .. **إن العربي طوال تاريخه الطويل لم يكن إلا رسولا يحمل رسالة الخير والمحبة لكافة البشر . ويشهد على ذلك تاريخه القديم والمعاصر .**



رحلة الشعر والعمر والذكريات



إعداد: فتحي سعيد

أولى بهم أن يطلقوا على الشعر الجديد صفة التجميد

وددت لو أنني حذفت من شعرنا العربي ما قيل في الخمر والمجون والغزل والمديح

شعرنا العربي زاخر بالقيم والعراقة والمعاني الجميلة

كثر الحديث في الأيام الأخيرة عن الشاعر محمود أبو الوفا .. وكأنما ارتفعت الستارة عنه فجأة بعد أن علاها الغبار وتراكمت فوقها السنون ...

فكتبت الصحف والمجلات الكثير عنه .. ونبهت إلى أنه مازال بين الأحياء يرزق ويعيش رهين ثلاثة محابس لا محبسين .. **الساق التي فقدها طفلا ، ونور البصر الذي انطفأ شيخا ، وجدران بيته الذي لا يغادره .**

وفجأة تبارت الأقلام وعدسات التصوير في تصوير حياته وذكر مناقبه وكأنه أثر من الآثار الدفينة اكتشف فجأة .

وأخيراً كرمته بلاده في عيد الفن بمنحه وسام الفنون ومعاشاً استثنائياً .

هذا هو الشاعر محمود أبو الوفا .. الذي يعيش في صمت وعزلة ، زاده الإيمان بالله تعالى .. ثروته التواضع وحب الناس جميعاً .

بداية أول لقاء

عرفته منذ **عشرين عاماً أو يزيد .. منذ كنا نفد من بعيد إلى العاصمة مبهورين طامحين ، نرتاد فيما نرتاد ندوته الحافلة في بيته الذي لم يغادره حتى الآن .**

كان يجلس على أريكته في حجرة متواضعة عارية أو تكاد إلا من سرير عتيق ذي أعمدة أربعة وبضعة مقاعد .

وكانت جلسته مقصداً للزائرين ومحبي الشعر من الشباب والشيوخ معاً .. نسمع إليه وقد انطلق يتكلم أو يتلو الأشعار والذكريات بصوت خفيض حبيب واضح النبرات وكل منا لفرط حنوه وتعاطفه يحس بأنه وحده صديقه الأثير .

ومرت السنون .. وسعينا في مناكبها وألهتنا دوامة الحياة وحالت الأيام بيننا وبين لقاء شاعرنا الحبيب أبي الوفاء .

ومع الزمن .. صمت صوته رويداً رويداً .. داهمته العلة تلو العلة وأبهظته تكاليف الحياة بعد أن أحيل إلى المعاش .. وتوارى الرجل خلف زوايا الصمت .. وشدتنا بعيداً عنه شواغل الدنيا فما عدنا نسمع عنه خبراً ...

وذات مساء ليس ببعيد سمعته يتحدث عبر موجات الأثير في أحد برامج الإذاعة .. وكأنه بعد طول صمت يعلن أنه مازال حياً بعد .. وأخذتني رجفة وأنا أصغي إليه يتحدث .. **انطلق الصوت ينسكب**

لقاء مع:

رويدا رويدا وينتشر خرير موجات أنهكها هدير البحر كأنه «**عجوز همنجواي**» يلقي بشباكه إلى الأعماق وقد وهنت اليدان وكلَّ البصر وغام الأفق وارتعشت الكلمات في الحلق وتسلق الصوت جدران الزمن .. **يغوص ليصطاد الأصداف ويلوذ بالمحارات البيضاء، لأن فيها نقاء قلبه وبراءة عالمه.**

وينطلق الصوت هابطاً على هدير شلال صاعداً فوق حزمة ضوء .. خصيب مترع عميق يمتزج فيه دفء الأبوة بعنفوان الشباب يسترسل على استحياء ومشقة لطول ما ألف الصمت واستغنى عن الكلام كالسيف يصدأ لطول الثواء في الغمد.

جدول من حب وحنين تساقط فيه الندى من جبهة الفجر، فانتشر الخرير وانثال في نبرات كشدو البلبل الغرد الذي هز الربى وحرَّك الأوراقا.

ذكريات تطير بك على جناح وتهز قلبك .. لأنها نابعة من قلب رحب، أحب حتى رأى الدنيا كلها زنابق ورياحين.

من ذلك العجوز المغترب الذي يلغط بالحب والحياة والأمل والزهور والأنسام وقدرة الإنسان ولا يتحدث عن مرضه وعزلته ونكران المجتمع الأدبي له؟ ابتلاه الدهر بما ابتلاه فما فقد جسارته ولا كرامته ولا وقاره كأنه «**أبو فراس**» تكبله قيود الروم ويهتف:

وقور وأحداث الزمان تنوشني
وللموت حولي جيئة وذهابُ

هذا العجوز الذي له قلب شاب واعتبره «**موسيقار كبير**» غنى له في صباه أعذب وأشهر أغانيه عن «**المساء**» اعتبره «**مرحوما**» ولا يغضب الرجل بل يغدق على الموسيقار الكبير الحب والسماحة .. **ويبتسم لأنه سبق غيره بقوله:**

فغدوت في الدنيا ولا أدري أمن
أحيائها أنا أم مِنَ الأموات؟

هذا الشاعر .. هو آخر عنقود الشعراء الكبار في عصره، مهر شعره بأغلى المهور ودفع في سبيل عزة نفسه فوق ما يستطيع، وهون الصبر عليه النوازل فلم يتزلق أو يتكالب على مقعد أو دائرة ضوء..

هذا الشاعر اسمه: «**محمود أبو الوفا**» .. **قد لا يعرفه معاصروه، ولكن الشعر يعرفه جيدا، ويعرف أنه من الشعراء الذين كتب عليهم ألا ينالوا الجدارة والصدارة وهم في حلبة السباق.**

وأبو الوفا .. لا يحب إلا أن يذكره الناس إنساناً .. لا أكثر:

حسبي إذا الحب أضناني فتُّ هوى
أن يذكروني قالوا كان إنسانا
في ذمة الله قلباً لم يجد سكناً
يأوي إلى ظله فارتدَّ حيرانا!

عن الشعر والذكريات ورحلة العمر

وهرعت إليه في مساء اليوم التالي .. نفس البيت القديم الواغل في أعماق الأزقة والحارات وقد ضاقت عن ذي قبل .. تضاعف الأحياء فيها وزاد الضجيج وتراكم الغبار.

وطرقت الباب .. ووجدته هناك قابعاً فوق أريكته في نفس حجرته العارية ملتحفاً عباءته وكأنه مازال حيث ألفيناه وتركناه من سنين .. **وكان لقاء .. وكان حديثا وحوارا ..** وذكريات رحلة السنين وشجناً دفيناً ما كان ليفضي به لولا شدة وطأته عليه وطول تجلده له حتى فاض الكيل .. وقد ذهب عنه نور البصر .. وداهمته علة القلب وانتصر على ذلك كله بنور الايمان وحلاوة الرضا والقبول.

●● من أين نبدأ .. وكيف نبرر هذا الغياب الطويل وذلك الجحود؟

ويخف الرجل إليك ليوفر عليك عناء الكلمات .. يفيض عليك حباً وسماحة وينوب عنك في تقديم الأعذار والتعليل بشواغل الأيام وصراعات الحياة، وينطلق الحديث على سجيته دون إعداد وإنما ينبعث من القلب دافئاً صادقاً عذباً يقلب صفحات الماضي ويستعيد رحلة أعوام طويلة حقاً ويدور شريط الذكريات .. مذهبه في الشعر بعد تجربته العريقة فيه .. رأيه ومعاصرته للشعراء .. **شوقي وحافظ وعبد الرحمن شكري والأمير عبد الله الفيصل وعزيز أباظه** وشعر هذه الأيام .. وانطلق يتحدث، وأخذت أسجل حتى لا تخونني الذاكرة ويفوتني نصف الكلمات:

«**مذهبي في الشعر بعد طول مراس وتجريب هو أنه هناك شعر أو لاشعر، لاوسط بين الاثنين .. موهبة ودراسة.**

وكذلك الحمد لله الذي لا يحمد على مكروه سواه، وجدتني أبعد خلق الله عن كل تبعية أو انتمائية إلى ناحية مذهبية أو طائفية عما يعرف في الأوساط الأدبية بالكلاسيكية والرومانسية أو الواقعية والمثالية، فما همت



لمْ أقلْ غير ما حسبت مفيدا ... ليت شِعري هل قلتُ شيئًا مفيدا؟

فإذا عشت .. عشتُ حرًا ضميري ... مستريحًا لِـمَا صنعتُ سعيدا

بل اذا متُ لم أجُرْ ورائي ... من كلامي سلا سلًا وقيودا

محمود أبو الوفا

لقاء مع:

بشاعر قط ولا انجذبت لمدرسة ولا تعلقت بقدوة .

وأظن أنه لا يختلف اثنان في أن الشعر ينبغي له أن يتجدد ثم يتجدد حتى يبلغ من النمو والتطوير إلى نفس المستوى الذي يستطيع بـه أن يجيـد التعبير عن أمته .

ولكن أي تجديد هذا الذي يراد به لشعرنا حتى يتمشى مع طموحنا ؟ هل هو التجديد الذي يتداعى إليه أصحاب هذه المدارس والمذاهب إياها !؟ وقصارى كل ما فيه من تجديدات فإنها ما هي بأي حال من الأحوال أكثر من أنها شكليات أو سطحيات . »

●● ما التجديد إذن الذي تراه ؟

« إن التجديد الذي ينبغي للشعر الآن يجب أن يتجاوز هذه المظهريات جميعاً ، إنه يجب أن يخترق هذه القشرة البشرية الجلدية حتى يصل إلى النقطة الحساسة الجوهرية التي متى خرج منها التعبير ، أي تعبير ، فإنه حينئذ لا يمكن إلا أن يكون مشحوناً بكل ما في صاحب هذا التعبير من اخلاص وصدق وعقيدة ووجدان وضمير .. **هذا هو الشعر كما أعرفه » .**

●● ومن من الشعراء القدامى كان أثيرا لديك ؟

« من جميع العصور وجميع المذاهب والألوان .. متقدمين متأخرين جاهلين ومخضرمين ، أمويين وعباسيين ، خوارج أو شعوبيين من الفُتّاك أو الصعاليك حتى شعراء المماليك إلى شعرائنا العصريين أو المعاصرين من المصريين أو غير المصريين من العراق إلى الشام إلى لبنان إلى الأعزة الأماثل من الشعراء المعروفين بالمهجريين حتى الشعراء الصوفيين من **السهروردي** المقتول إلى **ابن عربي** إلى **ابن الفارض والبرعي والبوصيري** ، ونسيت أن أقول حتى **الحلاج** أيضاً .

أي نعم لكل هؤلاء قرأت ، وأقولها بكل فخر ، أعجبت وانتفعت وإنما فقط على القاعدة التي عليها خلقت فكنت منذ شدوت .. وهي أني لا آخذ إلا ما استحسنت دون أن أحس أن أحدا غلبني على عقلي أو فرض علي أي سلطان » .

●● وماذا عن التجديد ودعاوى النقاد حول قضية الشعر ؟

« إن هذا التجديد الذي يدعوننا إليه ليس فيه أي تجديد مطلقاً ، ولعله أولى أن يسمى بالتجميد لا بالتجديد .

إن تجديد شعر أية أمة من الأمم ينبغي أن يوضع في كفة وطموح هذه الأمة في كفة أخرى ، فإن تعادلا في كفتي هذا الميزان فهو ذاك وإلا .. ولقد مرَّ الشعر العربي في هذه التجربة في عدة أزمنة فما قصَّر في أي زمن كان .. فقد حمل رسالته في عهد القبيلة أيام جاهليته فما تفوق عليه أي شعر .. حتى إذا انتهى عهد القبيلة وجاء دور الدولة فما كان أقل صولة ولا أضعف جولة ، وجاء دور الأمة فما كان أسبق إلى رفع اللواء والجهر بالنداء والحداء .

هذا هو مذهبي في الشعر .. ومفهومي للتجديد :

لم أقل غير ما حسبتُ مفيدا
ليت شعري هل قلتُ شيئاً مفيدا ؟
فإذا عشت .. عشت حراً ضميـ
ـري مستريحاً لما صنعت سعيدا
بل إذا مت لم أجزْ ورائي
من كلامي .. سلاسلاً وقيودا !

نفور شوقي .. وبكاء أمي

ويسترسل شاعرنا .. كأنه يقرأ من سطور ذاكرته في كتاب مفتوح أمام عينيه ..

« **شوقي أمير الشعراء** .. ازدراني عندما رآني أول مرة .. وصغرت في نظره لعرجي .. كنت أرتدي الزيَّ الذي ارتضيته لنفسي الجلباب والطاقية والبالطو .. والعكازة التي هي ساقي الثانية .. **ونفر شوقي من ذلك المنظر في الحفل الكبير واستعظم أن يشترك في الحفل شاعر على هذا النحو .. فنفرت منه بدوري وقاطعته بعد أن ألقيت قصيدتي وأفحمته .**

وبعدها تراجع وأسف وسعى إلي وقال في حفل تكريمي قصيدته الشهيرة ، وقال في الساق العرجاء التي نفر منها قولته الذائعة :

سبَّاق غاياتِ البيانِ جرى بلا
ساق فكيف إذا استردَّ الساقا !؟

وعهد إلي بعد ذلك بمراجعة دواوينه ، وقمت بتحقيق الجزء الثالث من ديوانه الشوقيات .

وقد نشرت شعري في الأهرام ونشرت صورته معي .. ويوم وصول الخبر لأمي .. ندبتني وبكت كثيراً .. لأنني صرت شاعراً أظهر في الصحف . **والشاعر في مفهوم ذلك العصر ، وفي مفهومها ، هو صاحب الربابة الذي يطرب الناس في المقاهي ويقص عليهم قصص السيرة الشعبية ، وذهبت إليها لأسترضيها**



وكانت قد عميت بكثرة الأحزان .. موت أبي وبتر ساقي وكوني شاعراً .. عدت إليها ببذلة أنيقة وطربوش .. فتحسست ملابسي وقامتي واطمأنت لهيأتي وقرت نفسها وطابت».

●● لقد كان شوقي أميرا للشعراء ومحاطا بسياج مكين من النقاد رغم وجود حافظ وسائر الكوكبة .. فماذا قال هؤلاء النقاد في أبي الوفاء؟

«نعم، كان **شوقي** مزوداً بكل شيء اللقب والرتبة وأمهات الصحف تفسح له وللأقوال فيه مكاناً فسيحاً، بل خصصوا له أعداداً خاصة، ومع هذا .. **كان النقد أمينا إلى حد كبير ..** وأكبر دليل على ذلك ما كتبه **الدكتور محمد حسين هيكل** رئيس تحرير جريدة السياسة أكبر الصحف في ذلك الوقت، التي أفردت لشوقي عدداً كاملاً يوم مبايعته أميراً للشعراء، كتب يقول عن ديوان «**أنفاس محترقة**»:

«وسائر قصائد الديوان أنفاس محترقة لمحمود أبو الوفا فيها من عيون الشعر ما يفخر به الشعر .. وما يقف إلى جانب خير ما ظهر من الشعر في هذا الزمن الأخير».

ماذا قال النقاد الآخرون؟

وهيكل الأديب والصحفي كان صديقاً حميماً **لشوقي** وكان يعلم تماماً مدى غيرة أمير الشعراء ومدى فزعه من النقد .. **فما بالك بتقريظ شاعر غيره أو اغداق كلمات المديح له .. دون سواه!**

ولم يكتب هيكل وحده عن أبي الوفا، كتب كثيرون من كبار الأدباء والنقاد مثل **الرافعي والعقاد وأمين الخولي** شيخ الأمناء **والدكتور أحمد الشايب وسيد قطب** الذي وصف أبا الوفا وشعره بهذه الكلمات:

«هذا شاعر .. شاعر ولو لم ينظم بيتا واحدا من الشعر، لأن روحه الطليقة استطاعت أن تخلص من قيود الضرورات البائسة التي تكبل حياته من نشأتها أو أن تنطلق بعد ذلك مرفرفة ترى في هذه الأرض جمالا وفي تلك الحياة متعة.

شاعر لأن قلبه الودود استطاع أن يرق ويصفو فلا تغشيه الأحقاد الذميمة على هذا الكون الظالم له ولا يضطغن في قرارته على هذه الدنيا التي كشرت في وجهه والتي عاقبته في قسوة على بعض ابتساماته .. شاعر لأنه هذا

الذي يقول:

أحب أضحك للدنيا فيمنعني
أن عاقبتني على بعض ابتساماتي
هاج الجواد فعضته شكيمته
شلت أنامل صناع الشكيمات

ولم يكن هؤلاء وحدهم الذين قالوا كلمة صادقة في أبي الوفا وشعره .. جاء بعدهم كثيرون لا تسعهم الذاكرة .. منهم **أبو شادي ومصطفى والسحرتي ومحمد عبد الغني حسن ووديع فلسطين وعبد المنعم شميس وكامل الشناوي** وآخرون.

بل لقد أثنى **الأمير الشاعر عبد الله الفيصل** على هذا الديوان وأرسل لي خطاباً رقيقاً شاعري العبارة وأهداني «**كسوة عربية**» بقي منها هذا العقال المعلق فوق الجدار .. كذلك زارني في منزلي البسيط هذا، الشاعر **عزيز أباظة** وغيره من كبار شعراء الوطن العربي».

ويدور حديث الذكريات .. ويسترسل الرجل:

«ليس لي شلة أحرص عليها أو تحرص علي .. كان العقاد في زمني ينفس علي .. وكتب مرة مقالين عني وأتاني المطبعة ليطلعني على ما كتبه.

وعاصرت **عبد الرحمن شكري** وهو ليس بشاعر .. فالألفاظ تأتي للشاعر مختارة لابسة ثوبها وليس الشاعر هو الذي يتكبدها أو يصطنعها اصطناعاً، كذلك لم أحب **أبا نواس ولا البحتري**.

لم ألجأ لأحد في شيء ولم أطرق باباً أو أتخذ وساطة، وكان الله سبحانه يدبر أمري دون تدخل.

أذكر أول عهدي بالوظائف .. حين عينني **د. عبد الرزاق السنهوري** وزير التربية وكان محباً للشعر متعاطفاً مع شعري خاصة، عينني دون أن أعلم في **وظيفة في دار الكتب** وأنا لا أرتاح لقيود الوظيفة وذهبت إليه .. وسألني من حاكيت من الشعراء .. قلت: حاكيت نفسي .. واستمرت جلستنا معاً ثلاث ساعات كان فيها بسيطاً وأخرج غداءه من حقيبته وتناوله معي .. ورفضت الوظيفة حتى لا أكون تحت رحمة قيد أو سلطان .. أو أوقع في براثن وزير أو حاكم يرضى أو يغضب، فما كان منه إلا أن ألحقني بوظيفة في مجلس الوزراء حتى يضمن ألا يفصلني أحد أو يقيدني قيد، لأن القانون أيامها ينص على أنه من يصير في هذا المجلس لا يفصل .. وبذلك ضمن لي ألا يمسني وزير يجيء أو يذهب. وبعدها تقلبت في وظائف أخرى .. في **بنك مصر .. ودار الكتب ومصلحة الاستعلامات** حتى أرغموني خلالها على التوقع

لقاء مع:

بالحضور والانصراف كل يوم ولا قبل لي بذلك لحالتي الصحية فهجرت الوظيفة .

وعدا **السنهوري** .. كانت **هدى شعراوي .. أحبت شعري وفتحت لي مجلسها .**

بل أكثر من ذلك أصارحك القول .. سعى إلي منذ سنوات قريبة وفد من الأدباء والنقاد الماركسيين وعلى رأسهم مسؤول حزبي كبير .. وأرادوا أن يبايعوني .. **على ماذا ؟**

على إمارة الشعر في الوطن العربي .. وأن يقام لذلك حفل كبير تعلن فيه المبايعة وتحشد له الدعاية الكافية ...

تساءلت لماذا الإمارة وما السبب ؟

قالوا لأنك الشاعر الذي نرى فيه ذلك .. وأشعارك الأخيرة عن الإنسان وإرادته في ديوان « **النشيد وعنوان النشيد** » تؤهلك لتكون كذلك في نظرنا .. كما أن بحكم نشأتك الكادحة وشيخوختك الصامدة أصلح الشعراء لذلك .

ورفضت تماماً .. وقلت لقد عشت مؤمنا حرا لا أخضع لمذهب ولا أنحاز لدرسة بعينها .. فهل بعد هذا العمر الطويل أتنازل عن إيماني وحريتي .. ويأسرني بريق اللقب وضوء المبايعة !؟

ولم أقبل بالرغم من جدلهم والحاحهم الطويل :

فما أنا بالمشغوف ضربة لازب
وليس لسلطان علي أمير ..

وطني هو الفصحى

●● سافرت باريس للعلاج .. فكيف وجدت أوروبا وحضارتها ؟

« نعم .. سافرت إلى العاصمة الفرنسية للعلاج على نفقة الدولة .. كان ثمة أمل في علاجي بعد ساقي التي بترت نتيجة مرض وليس بسبب حادث . وعشت حوالي عام بها .. قريباً من حي « **الشانزلزيه** » الشهير .. وعبرت المانش .. وتعرفت على ملامح الفن فيها وطفت بمعالمها وقرأت شعراءها الكبار أمثال **لامرتين وهوجو** صاحب « **البؤساء** » وغشيت أماكنهم ومنتدياتهم ، **ولكني لم أستسغ تلك الاباحية المطلقة تحت عنوان الحرية والتحضر وعبرت عن ذلك في قصيدة لي ألقيتها في حفل أقامه لي لفيف من الأدباء العرب هناك وقلت فيها معبرا عن انطباعي بما شاهدت :**

وطني هو « الفصحى » فكل بلادها
في مصر أو في الشام هنَّ بلادي
هذا هو الوطن الذي أحيا له
وله أوالي صادقاً وأعادي
« باريس » جئتُ بذات جسمي شاكياً
فصدرتُ أشكو منك ذات فؤادي
حريةُ الأرواح ما أنا طالبٌ
للناس لا حرية الأجسادِ
الناس ما داموا عبيدَ مُيولهم
ما الفرقُ بين حواضر وبوادي
حرر طباع الناس من أصفادها
تلقَ الحياةَ خلت من الأصفادِ »

●● وأخيرا .. ماذا بقي من حديث الشعر والذكريات ؟

« بقي الكثير .. مما لم أقله بعد .. فما زال في الصدر أنفاس تتردد . ومازال في الوتر ألحان لم أعزفها حتى الآن ..

بودي .. لو طال بي العمر أكثر .. وراجعت الشعر العربي القديم كله ونخلته نخلا .. ونبذت منه الرديء المعاد .. واخترت الجيد المفيد ..

وددت لو أني حذفت من شعرنا العربي ما قيل في الخمر والمجون والغزل الفاضح والمديح المتهافت حتى لا يفتن الناشئون من هواة الشعر به وحتى لا يولع شباب الجيل القارىء لهذا الشعر بمثل هذه الاغراءات وأن أبقي فقط ما ينفع الناس .. وما يصلح أن يكون قدوة ومثلاً لا تقليداً أو محاكاة واثارة للغرائز ، خاصة وأن شعرنا العربي زاخر بالقيم والعراقة والمعاني الجميلة .

هذه الأفكار نبتت عندي منذ ثلاثين عاماً وحيل بيني وبين تنفيذها .. ومازلت كبير الأمل أن يوفقني الله تعالى على تنفيذها .. ولدي مشروع آخر أتمنى لو أتيح لي اخراجه للناس .. ذلك أنني أود في شرح نفسي وتسجيل رحلتي ورصد تجربتي الفنية وتقييم شعري ومحاسبة نفسي حساباً عسيراً على ما قدمت بحيث يجمع ذلك كتاب صغير يكون بمثابة خلاصة رحلة الحياة والشعر .. **فهل يسعفني العمر !؟**



هذا هو الشاعر

هذا هو شاعرنا .. قلب يتوهج على أطراف الأنامل .. تتراقص خفقاته عبر شعاب الحياة بينما يدب صاحبها فوق أرضها على عكازته يقول كلمته دون أن يكف عن السير .
حاقت به النوّب فلم تلطخ خفقته ، وعرك الحياة فلم يرتد محسوراً مسلوب الابتسامة ، بل إن الابتسامات لا تقنعه فيودُ لو يضحك ملء فيه .. أن يطلق الضحكات رنيناً عالياً يتحدى بها الأهوال ويجابه القدر ، ولكنه وهو الشاعر الجسور يخشى لكثرة ما عبثت في وجهه الحياة وتجهمت :

أحب أضحك للدنيا فيمنعني
أن عاقبتني على بعض ابتساماتي!

بل إنه لا يلبث في لحظات شجوه أن يترك الضحكة الموجعة تنفلت وتلسع دون أن يذرف دمعة أو يريق آهة بل يضحك ضحكة الكليم وهي أشد وأدهى .. ويسخر بها ويجعلها مطية لفلسفة ممرورة لا وسيلة لشكوى :

في ذمة الله نفسٌ ذات آمال
وفي سبيل العلا هذا الدمُ الغالي
كأنني فكرة في غير موضعها
بدت فلم تلق فيها أي إقبال

وأبو الوفا .. شاعر أخذت الحياة بتلابيبه .. وألح عليه الشعر فغناه وأرسله بسيطاً كالنسيم ، ناصعاً كالفل ، نفاذاً كالشعاع مما أكسبه ملامح الامتياز بين رهط الشعراء أبناء النصف الأخير من القرن ، حتى إنه كما يقول « **الرافعي** » ، « **شاعر ملأ نفسه حتى ليعد أحد الذين يعتصم الشعر العربي بهم** » ، وحتى إن **أمير الشعراء** وهو صاحب الرتب واللقب يتوج أبا الوفا فيمن توجوه عقب عودته من باريس إثر رحلة لم تكلل بالنجاح للعلاج عام ١٩٣٢ م . فينشد فيه رائعته الشهيرة بعد أن أنكره من قبل :

البلبل الغرد الذي هزَّ الربى
وشجا الغصون وحرك الأوراقا
لو يعرف الطب الصناع بيانه
أو لو يُسيغ لما يقول مذاقا
غالى بقيمته فلم يصنع له
إلا الجناح .. محلقاً خفاقا

قاموسه الشعري الخاص

. ومن هنا كان لأبي الوفا قاموسه الشعري الخاص ، فاستقلاله وثراؤه وسيولة موسيقاه لون خاص في بابه جعلته ينفرد بنكهة معينة عن مدرستي **شوقي والبارودي** أو شيوع نفس القدامى وبعث الحياة في أوصال القوالب الموروثة ، وعن مدرستي **أبولو والمهجر** وشيوع الايقاعات الشعرية المحدثة ، وعن **مدرسة الغزل الغنائي** التي انحصر فيها **رامي وعلي محمود طه** ، وعن الاغراق النفسي الشجي الذي تميز به **الشابي والتيجاني وناجي ..** فانحاز أبو الوفا دون هذه الاتجاهات جميعاً باستقلال شخصيته الشاعرة استقلالا كاملًا لا يجعلنا نقوى على ادراجه بقائمة مدرسة بعينها بل نجعله شاعراً مستقل الذات ينفرد بقاموسه الخاص وايقاعه النابض الحي الذي ينثال دون أن يكون مجرد تلاعب بالمقاطع أو المقدرة اللغوية على انتزاع اللفظة من براثن القديم وتحلية القصيد بها بقدر ما هو مذهب في الأداء النفسي والفني يعبر عن جوهر صاحبه بطريق مباشر ، ويقدر ما هو مزج للألفاظ والموسيقى دون قلق أو انفعال بما يشي بطاقة شعرية نفاذة وطبيعة تلقائية رائقة أسهم في تعميقها ، فلسفة شفيفة تكاد تكون بمثابة لحن مميز في أشعار أبي الوفا .. **فلسفة نابعة من صميم موقفه تجاه الحياة والناس .. ومن تمرده على السدود والقيود .. ومن عزلته الروحية التي فرضها على نفسه حتى لا يلوثه غبار الأرض والأحياء .. أتاحت له أن يتوغل في قلب الأشياء ويحقق له عالما من الصفاء والحب والايمان يكون مسراه فيه جناحا محلقا خفاقا وليس ساقا خشبية صماء :**

كل شيء ألقاه ألقي عليه
بسمةَ الحب والرضا والحنانِ
أو كل الحياة صارت جمالا
أم أنا حالمٌ على يقظانِ ؟
وفضاءُ الدنيا يُضاحك عيني
وعيناي للفضا تضحكانِ

وأصدق ما يقال إن أبا الوفا شاعر مضيء .. فائق المهارة في توزيع الاضاءة على الجو النفسي للقصيدة ، وهي اضاءة لصيقة بكلماته وشخصه ليست معمودة أو نابية بما جعله يعمق لغته ويكثف رؤياه ، فجاءت أشبه بالموجات الضوئية ذات الصوت المرقق الرخيم .

لقاء مع:

حوار جسور من قلب مؤمن

ولا نجد مثالا صادقاً نسوقه .. على أصالة النزعة الإنسانية عند أبي الوفا ودلالة على قوة تجلده وارتفاعه عن مستوى الحدث .. أكثر صدقاً ودلالة من هذا الحوار الجسور الذي دار بينه وبين نفسه حين رمى عينيه ما رمى .. وأسدل الظلام على نورها الستار .

قالت له نفسه : هذا هو العمى وليس غشاوة وتزول كما تزعم .. فكيف تريدني أن أضحك وأبتهج وأظل على حالي من الرضا والايمان .. لقد كان نور العين هو « **العكازة** » التي أتوكأ عليها في ظلام الوحدة .. كحالي مع ساقي المبتورة التي أستعيض عنها بعكازتي الخشبية .. فياله من صراع وقد فقدت الاثنين معاً العين والساق :

رأى ما رأى حتى غدا اليوم لا يرى
سوى غير شيء أو يرى الشيءَ مبهما
رمى من رمى عينيه فاستلَّ فيهما
ضياءهما .. ما كان أقساهُ إذ رمى
وقلت لنفسي كيف أنت؟ فلم تجب
فقلت : أتحتجينَ؟ قالت : تظلَّما
رويدك يا نفسُ أما لك من نهى
يردك للتقيا كما كنت دائما
لئن كنت منذ الأمس عندي كريمة
فإنك منذ اليوم ما منك ألما!

ويترك نفسه ساخطا على يأسها وتظلمها من القدر الذي رماه .. ويتلفت إلى عقله علّه يجد فيه سكينة ورضا .. وربما كان أرحم وأحنى من نفسه الجاحدة ولكن العقل يعلن تمرده بدوره ويؤيد سخط النفس :

فما راعني في العقل إلا رجوعهُ
إلي كما لو كان سيفاً تثلّما
أرى أن تلك النفس غير ملومةٍ
ولم ترتكب حُوباً ولم تأت مأثما
وماذا على من نور عينيْهِ ينطفىء
إذا ظن في الأقدار ما ظن مرغما؟

وحين يجد نفسه محاصراً بين احتجاج النفس وتمرد العقل لا ييئس ولا يصرخ .. وإنما ينتصر على الاثنين ويتجه نحو الأفق الأعلى .. هاتفاً مستجيراً رافضاً ذلك اليأس والتذمر الذي أعلنه كل من عقله ونفسه طارقاً باب الله راضياً بعطاياه :

إلهي ذا عقلي ونفسي كلاهما
غوي .. فكن لي يا إلهي منهما
هوى النفس يصبي العقل إن كليهما
مرايا أخيهِ .. يا لنا من كليهما
تباركت يا مُعطي النهار ضياءهُ
ويا معطي الليل الظلام فأظلما
لأمر الذي لا أمر من فوق أمره
رضينا بما يرضى ولو كان مُؤلما

ولو كان الأمر هو فقدان البصر في فترة من حياته ملأها صقيع الوحدة والشيخوخة لهان الأمر .. فلقد كان الساق والأب في يوم واحد في مقتبل الشباب ، وأصر على أن يواصل الرحلة بلا يأس أو حقد .. ولكن ما أدهى وأمر فقدان الامتلاء وحلاوة الصحبة .. وهما بمثابة الدفء والنور له .. فقد انصرف الجميع وتركوه للفراغ رهين المحبسين .. وخلا البيت من حوله .. وقلّت الأيدي التي تدق عليه الباب ، فهل ينهزم ويلعن الحياة والناس ؟ كلا إنه يضيء شمعة بدلا من أن يلعن الظلام ويبارك من جافوه ويزيدهم حباً :

أحباؤنا أنتم على البعد والقرب
بعدتم قربتم ما لدينا سوى الحب
أحبكمو حباً كأني نهلتهُ
من الحب في قلب المحبين للرب
على أي درب في الحياة سلكتمو
سأسلكهُ حتى وإن لم يكن دربي



من مظاهر الاحتفال بشهر رمضان عند الخلفاء المسلمين

بقلم : المكينسي أحمد

رمضان في عهد الرسول وعند الخلفاء الراشدين ..

كان الناس في **أيام الرسول** ﷺ وفي عهد **الخلفاء الراشدين** يتخذون من رمضان موسماً كريماً لعبادة الله وتوثيق الصلة بينهم وبين الباري عز وجل. الكل يتسابق إلى رحمة الله التي وسعت كل شيء وذلك بالتقرب إليه عبر الصلاة والصيام، وتقويم ما اعوج من السلوك طوال العام.. ونهي النفس الأمارة بالسوء عن الهوى حتى تتقرب إلى الله أكثر.. كانوا يعيشون نهار رمضان في عبادته ويحيون لياليه عاكفين في المساجد يصلون ويتلون القرآن، الكل يبتهل إلى الله تعالى بالدعاء الصالح والمغفرة والثواب نورهم في الحياة كتاب الله ودستورهم في المعاملات سننه وأحكامه البالغة.

وعلى مدار التاريخ الإسلامي الطويل كان الصيام دائماً وسيلة لتأديب النفس وتهذيب الخلق وغاية للتعاون على البر والتقوى وهدفاً من أجل عمل الخير والسعي في تحقيقه سواء عند ذوي الفضل والسعة أو عند الخلفاء وأولي الأمر من الناس.

وفي عهد الخلفاء المسلمين

لقد كان الخلفاء المسلمون يمجدون شهر رمضان فيجعلونه موسماً للبر والاحسان بالفقراء والضعفاء.. وكان شهر رمضان يمثل عندهم الزهد عن متاع الدنيا وغرورها، والتقرب من الله سبحانه وتعالى بالعمل الصالح والبر والاحسان، وكانوا يحتفلون به احتفالا يتناسب مع مكانته في نفوس المسلمين. ويروي **ابن بطوطة**[1] الرحالة المغربي الشهير، صورة جميلة من صور الاحتفال برؤية رمضان في المجتمع الإسلامي في مدينة ابيار - بلدة في مصر - وذلك سنة ٧٣٧ من الهجرة.. يقول: «... ولقيت بابيار قاضيها الشافعي وحضرت عنده يوم الرقبة أو الرقابة وهم يسمون بذلك يوم ارتقاب هلال رمضان وعادتهم فيه ان يجتمع فقراء المدينة ووجهائها بعد العصر من اليوم التاسع والعشرين من شعبان - ٢٩ شعبان - بدار القاضي ويقف على الباب فقيه المتعممين وهو ذو شارة وهيئة حسنة لاستقبال الوافدين، فإذا أتى أحد الفقهاء والأعيان تلقاه ذلك النقيب ومشى بين يديه متقدماً إياه قائلاً بسم الله سيدنا، فيقوم الجميع له ويجلس النقيب في الموضع اللائق به، فإذا تكاملوا هناك ركب القاضي وركبوا معه وتبعهم جميع من في المدينة من الرجال والنساء والصبيان حتى يصلوا إلى موضع مرتفع خارج المدينة وهو مرتقب الهلال فإذا رأوه يعودون إلى المدينة بعد صلاة المغرب وبين أيديهم الشموع والمشاعل والمصابيح ويوقد أهل الحوانيت حوانيتهم بالشمع ويصل الناس مع القاضي إلى داره ثم ينصرفون وهكذا يفعلون كل سنة».

مراسيم الاحتفال عند الخلفاء

وكان السلطان أو الوالي يركب في أول شهر رمضان من كل عام في موكب فخم تشيعه حاشيته المقربة من حواليه يشبه أول العام الهجري من حيث اللباس والآلات والأسلحة وغيرها. ويروي التاريخ عن الخلفاء الفاطميين أنهم اهتموا اهتماماً بالغاً بشهر رمضان، فكان الخليفة يخطب في هذا الشهر ثلاث خطب في أيام الجمعة الثانية والثالثة والرابعة، أما الجمعة الأولى فيستريح فيها وتسمى عندهم «**جمعة الراحة**»، وعندما يحل يوم الخطبة - يوم الجمعة طبعاً - تفرش المقصورة المعدة لصلاة الخليفة بالسجاجيد ويفرش سائر الجامع بالحصر، ثم يركب الخليفة في موكب حافل وفخم كالذي ركبه في أول يوم من شهر رمضان.. وما إن يصل الخليفة إلى المسجد حتى يهب الناس لاستقباله والاحتفاء بطلعته، ثم ينزل عن دابته ويدخل المسجد يحيط به رئيس وزرائه وكبار رجال الدولة والأمراء والقواد، وإذا حان وقت الصلاة أذن مؤذنوا القصر على باب مجلس الخليفة وأذن سائر المؤذنين في المآذن ووقف إمام الجامع على المنبر، عند ذلك يسير قاضي القضاة حتى يصل إلى المنبر، ثم يتبعه متولي بيت المال - وهو بمثابة وزير المالية - يحمل المبخرة، ثم يصعدان إلى المنبر إلى أن يصلا إلى ذروته فيبخران المنبر ثم ينزلان.

عند ذلك يخرج الخليفة والمقرئون بين يديه يرتلون آيات من الذكر الحكيم ترتيلاً محموداً، فإذا نزل الخليفة ووقف على الدرجة الأولى من المنبر جهر المقرئون بالقراءة وكبر المؤذنون وأخذ القراء يتلون الفاتحة ثم يضج المكان بتلاوتها عقب ذلك، بعد هذا يبدأ الخليفة في القاء خطبته التي غالباً ما يكون موضوعها التبرك بطلعة هذا الشهر الميمون مع ذكر نعمه وفضائله وكرمه والحث على عمل الخير وطاعة الله، وعندما ينتهي الخليفة من القاء خطبته ينزل إلى المحراب ويصلي بالناس.. وبعد انتهاء الصلاة يأخذ الخليفة في توزيع الصدقات والهبات على موظفي المسجد.. كان الخليفة يسير على هذا النظام في الجمعة الثانية والثالثة والرابعة من شهر رمضان وفي كل جمعة - يوم الخطبة - يركب الخليفة إلى المسجد ويفعل كما فعل في الجمعة السالفة.. وكانت تقام من باب القصر إلى المسجد الذي سيصلي فيه الخليفة مظاهر الزينة وكان لا يمر بمسجد في طريقه إلا نفح موظفيه بالمال بالرغم من كثرة المساجد التي تقع في طريقه، وكان كرم الخلفاء والسلاطين ووزرائهم وكبار رجال الدولة يتجلى في شهر رمضان. ومما يؤثر عن أحد أمراء البحر العرب أنه كان سخياً.. وأنه كان يوزع كل يوم اثني عشر ألف رغيف مع قدور الطعام.

فإذا حل شهر رمضان ضاعف ذلك وأشرف بنفسه على توزيع صدقاته من الظهر في كل يوم إلى نحو صلاة العشاء الآخرة.

وكان يضع ثلاثة مراكب طول كل مركب أحد عشر ذراعاً مملوءة طعاماً ويدخل

الفقراء أفوجاً وهو قائم بينهم وفي يده مغرفة ، ويصلح بنفسه صفوف الفقراء ويقرب إليهم الطعام . . ويبدأ بالرجال ثم بالنساء . . ثم بالصبيان . . وكانوا لا يتزاحمون لعلمهم أن الخير يعمهم ، فإذا فرغ من اطعام الفقراء بسط سماطاً[٢] للأغنياء .

وهكذا كان كرم الخلفاء والكرماء والسلاطين وعطفهم كبيراً على الناس حتى نجد أن دورهم وقصورهم كانت لا تخلو في كل ليلة من ليالي هذا الشهر المبارك من اقامة المآدب الخاصة والعامة حتى لقد فاق ما كانوا ينفقونه في هذا الشهر ما كانوا ينفقونه في سائر شهور السنة .

ومما يحكى في هذا الصدد ، أن الصاحب ابن عباد كان لا يدخل عليه أحد في شهر رمضان بعد العصر فيخرج من داره إلا بعد الافطار عنده ، وأن داره كانت لا تخلو في كل ليلة من ليالي رمضان من ألف نفس مفطرة فيها ، وكانت صلاته وصدقاته وقربانه في هذا الشهر الكريم تبلغ مبلغ ما يصرف منها في جميع شهور السنة .

وكانت هذه الولائم والمآدب تقام في القصر وفي دار الوزير وفي دور أصحاب اليسار وفي بعض المساجد .

ففي القصر الفاطمي مثلاً ، كان يقام سماط يطلق عليه « **سماط رمضان** » وذلك بقاعة الذهب حيث يجتمع مجلس الملك ويعد من اليوم الرابع من شهر رمضان إلى آخر أيام هذا الشهر ، كما تمد أسمطة أخرى في الحديقة بعد أن يقام سرادق كبير في المكان وذلك في حالة إذا ما اختار الخليفة الحديقة مكاناً للافطار عوض القصر . . وإلى هذا السماط يدعى قاضي القضاة في ليلة الجمعة احتراماً لمركزه الديني كما يدعى إليه الأمراء وأصهار الخليفة وغيرهم من كبار رجال الدولة كل بدوره حتى لا يحرموا من الافطار مع أولادهم وأهلهم ، وفي حالة تغيب الخليفة أو تأخره لسبب من الأسباب يحل محله ابنه أو أخوه أو صاحب الباب ، بمثابة كبير الأمناء في عصرنا ، وقبل حضور المدعوين يقوم الخادم بتهيئة الأسمطة على شكل خاص أعلاها في الصدر سماط يسع بضعة عشر رجلاً يجلسون حوله على الوسائد وقد وضعت عليه أنواع الأطعمة والفاكهة . . ونحو ذلك في أسمطة أخرى بين يدي ذلك هنا وهناك وعليها الأطعمة من اللحوم والأفاوية ، وقد تصاعدت منها روائح البهارات زد على هذا رائحة الند المحروق التي تعبق المكان ، وعندما يتكامل وضع الأطباق تزول رائحة الند وتحل محلها روائح الأطعمة وبهاراتها . . وكان الخلفاء يهتمون بهذا السماط اهتماماً كبيراً بحيث لا يفوته شيء من أصناف الأطعمة الفاخرة ، حتى بلغت نفقات هذا السماط في ٢٧ يوماً ثلاثة آلاف دينار ووصل متوسط ما ينفق في اليوم الواحد ١١٣ ديناراً مع رخص الأسعار آنذاك .

وعندما يحضر المدعوون الذين أشرنا إليهم آنفا ، تقوم جماعة من الخدم السود بانارة المصابيح المعلقة في أعمدة السرادق[٣] . . أما الصقالبة[٤] البيض ، فيشتغلون في حمل الأطباق المختلفة من الطعام . . ويقف جماعة من الحواشي والخدم الآخرون على استعداد لخدمة المدعوين ، يحملون الأباريق الفضية والأقداح الزجاجية حول الأسمطة يسكبون الماء المبخر في كيزان الخزف لمن يريد حسب الطلب . . بالإضافة إلى الأسمطة التي ذكرناها والتي تقام خصيصاً للخليفة وحاشيته كان يصحب سماط آخر يمد في دار الوزير يدعى إليه كثير من رجالات الدولة ثم يعطى ما يزيد عن حاجاتهم من الأطعمة للعامة . أما الأطعمة فكانت وفيرة بحيث ينال العامة منها الكثير حتى كان الفرد يأخذ ما يكفي جماعة من الناس . وإذا حضر الوزير أخرج إليه من الطعام الذي أكل منه الخليفة وربما حمل إلى داره مقادير كبيرة من ذلك الطعام .

وقد امتاز الاحتفال بشهر رمضان بمظاهر الأبهة والعظمة حيث كان يرسل في أول يوم من أيام هذا الشهر (ويسمى غرة رمضان) لكل من أصحاب الرتب وسائر موظفي الدولة الآخرين طبق من الحلوى كما يرسل إلى نسائهم وأولادهم من هذه الأطباق التي كانت تعم أهل الدولة كلهم .

هلال رمضان

أما هلال رمضان فيمتاز عن غيره من الأهلة ، ويحظى من عيون المسلمين وقلوبهم بتقدير فائق لا يحظى به هلال غيره ، لأنه غرة الشهر الذي أنزل فيه القرآن الكريم وفرض على المسلمين فيه الصيام ، ثم إنه ذلك الهلال الذي رفع النبي ﷺ من قدره وهلل من مقدمه لقوله حينما كان يراه : « **اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان والسلامة والاسلام ، ربي وربك الله ، هلال رشد وخير** » .

هلال رمضان في مكة المكرمة

وقد حضر الرحالة **ابن جبير**[٥] رمضان في الحرم المكي سنة **٥٧٩** من الهجرة ووصفه بقوله : « **حينما استهل هلال رمضان وقع الاحتفال في المسجد الحرام بهذا الشهر المبارك ، وقد جددت الحصر وكثر الشمع والمشاعيل وغير ذلك من آلات الاضاءة حتى تلألأ الحرم نورا وسطع ضياء . . ومنذ اليوم الأول شرع الأئمة لاقامة التراويح فرقا ، فلا تكاد تبق في المسجد زاوية ولا ناحية إلا وفيها قارىء يصلي بجماعة خلفه فيرتج المسجد لأصوات القراء من كل ناحية ، فتعاين الأبصار وتشنف الأسماع بما تخشع له النفوس خشية ورقة وخشوعا** » .

ومن أفضل ما حصل في هذا العهد المبارك بمكة المكرمة ، يقول « **ابن جبير** » ان اجتمع الناس كلهم على إمام واحد في صلاة التراويح فيضيق الحرم المكي بالعالم من المصلين والهاتفين إلى الله تعالى في حالة خشوع ، ويتجهون إلى ربهم بقلب مليء بالخشية والخشوع .

وما أحسن الاجتماع والاتحاد في الأمة الإسلامية . . وكان الخليفة في سائر أيام هذا الشهر يجلس في المسجد يستمع إلى المقرئين وهم يتلون القرآن ، والى المؤذنين وهم يؤذنون ويذكرون فضائل السحور ويختمون بالدعاء ، والى الوعاظ ورجال الدين وهم يذكرون فضائل هذا الشهر المبارك مع الاشادة بمدح الخليفة والدعاء له بالصحة والعافية وخدمة البلاد لما فيه مصلحة الدين والعباد .

مجلس السحور عند الخليفة

وإذا جاء وقت السحور أحضرت جفان القطائف[٦] وجرار الجلاب ، فيأكل الجميع ويأخذ بعضهم ما شاء له من الأطعمة المتبقية وما بقي بعد ذلك يحمله الخدم معهم إلى دورهم على سبيل الاستزادة وينصرف كل إلى حال سبيله بعد انتهاء السحور .

وكان الخليفة يجلس للسحور إلى مائدة كبيرة ملأى بصحاف الأطعمة ، فيتناول منها المخض ، وهو اللبن المنزوع زبده ، وعصير الفواكه ، والموز ، وغير ذلك من الأطعمة الخفيفة التي لا يزال المسلمون يتناولونها إلى اليوم في البلاد العربية أو في بعضها . . وكان الغرض والقصد عند الخلفاء من السحور تحقيق حكمة الصوم المتجلية في البركة ، لأن السحور ، كما قال الرسول ﷺ « **كله بركة** » ، وكان الناس يحثون المسلمين على القيام في الليل للسحور وذلك بترديد أشعار لطيفة وأهازيج عامية ترغيباً للخير وان لم يرد به نص ثابت . . ومن بين هذه الأهازيج :

أيها النوام قوموا للفلاح
واذكروا الله الذي أجرى الرياح
إن حبيس الليل قد ولى وراح
وتدانى عسكر الصبح ولاح
اشربوا عجلى فقد جاء الصباح

ثم يقول البعض في السحور :

«تسحروا رضي الله عنكم .. تسحروا غفر الله لكم .. تسحروا فإن في السحور بركة .. تسحروا» .

كما كان المسلمون - ولا يزالون الى يومنا هذا والحمد لله - يحتفلون بليلة الختم في اليوم التاسع والعشرين من شهر رمضان ، فيحضر الوزير ويتلو المقرئون القرآن ثم يخطب الخطباء في فضائل هذا الشهر مشيدين بها ، ويكبر المؤذنون بعد ذلك ثم توزع عليهم قطع من العملة الذهبية الصغيرة أو تقدم إليهم جفان من القطائف وغيرها من الحلوى وفي الأخير تخلع عليهم الخلع .

بقي أن نشير في آخر المطاف إلى **ان الاحتفال بموسم الصيام لم يكن مقصورا على رمضان وحده عند الخلفاء المسلمين** .. بل تعداه حيث شمل ليال أخرى كان يحتفل بها من طرف بعض الخلفاء - الفاطميين مثلاً - خاصة كليلة أول رجب وليلة نصف رجب وليلة أول شعبان وليلة النصف منه ، وكانوا يصومون في هذه الأيام الأربعة كصيامهم لشهر رمضان .. فيضاء قصر الخليفة وتنار مصابيح المساجد وتزين دور الأمراء وكبار رجالات الدولة احتفاء بهذه المناسبة الغالية ويجلس القراء بين يدي الخليفة في المساجد يتلون القرآن الكريم كما تلقى الخطب في فضائل هذه الليالي .. وتبدو البلاد في حلل بديعة من الأنوار الساطعة .. بفضل المصابيح الرمضانية - كما كانوا يسمونها آنذاك - المنتشرة هنا وهناك في أرجاء البلاد .. حتى الجأ بعض المؤرخين والعامة إلى القول بإن مصابيح رمضان لم يشكل في صورته التي نشاهده عليها الآن إلا في نهاية القرن الماضي وفي عهد الدولة الفاطمية بالضبط ويقولون كذلك : إنهم لم يعرفوا مصباح رمضان إلا في يوم دخول **المعز لدين الله الفاطمي**[7] القاهرة وكان ذلك في ٥ رمضان من عام ٣٥٨ من الهجرة حيث استقبله أهل القاهرة ليلا في موكب كبير اشترك فيه رجالها ونسائها وأطفالها حاملين معهم المشاعل والمصابيح مرددين الهتافات والأناشيد .. وبعد أن كانوا يستعملون المصابيح للإضاءة لزيارة الأهل والأقارب أو التردد على المساجد حملها الأطفال بعد الأفطار يطلبون بها الهدايا والهبات الرمضانية ، وهكذا تأصلت فيهم هذه العادة يوماً فيوماً حتى أصبح المصباح ملتصقاً برمضان وأصبحت هذه هي لعبة الأطفال يفتنون بها .. ويعدون لها الأناشيد .

والجدير بالذكر أن العباسيين[8] لم يعنوا بالاحتفال بهذه الليالي الأربع السالفة الذكر إذ كانوا يرون في الاحتفال بها بدعة من البدع لأن **الرسول** ﷺ لم يكن يحتفل بها .

أما عن رمضان فقد كان بعض الخلفاء المسلمين يحرصون على إمامة المسلمين في صلاة الجمع الأخيرة الثلاث من هذا الشهر المبارك ، وكانت الاحتفالات تأخذ طابعاً آخر لما يسبغه الخلفاء والموسرون من مظاهر العطف والكرم طوال أيام هذا الشهر على المحتاجين والفقراء بصفة خاصة وعلى العامة من الرعية بصفة عامة .. ومما يحكى من جليل الأعمال في باب **العطف والكرم** ما روي عن أحمد بن طولون[9] انه زار مسجده وقت بنائه فرأى الصناع يشتغلون إلى الغروب وكان في شهر رمضان فقال متى يشتري هؤلاء الضعفاء افطاراً لعيالهم .. اصرفوهم العصر .. فصارت سنة بمصر .

فلما فرغ شهر رمضان قيل له .. لقد انقضى شهر رمضان .. فيعودون إلى عادتهم . فقال **«قد بلغني دعاءهم وقد تبركت به .. وليس هذا مما يوفر العمل»** .

إن هذه المظاهر الرائعة الدينية الخاصة بالاحتفال بشهر رمضان لتكتسي صبغة خاصة وتبلغ منتهى الروعة والأبهة عند حلول **عيد الفطر** في البلاد التي يكون فيها الشعور الاسلامي قوياً مثل **طرسوس**[10] التي كان يتوافد إليها غزاة المسلمين من أنحاء البلاد الإسلامية وترد إليها تبرعات أهل البر من المسلمين الذين لا يستطيعون الخروج للغزو بأنفسهم حتى قيل **«ليس من مدينة عظيمة من سجستان وكرمان إلى مصر والمغرب إلا بطرسوس لأهلها دار ينزل بها الغزاة لتلك البلاد ويرابطون بها إذا وردوها وتكثر لديهم الصلات وترد عليهم الأموال والصدقات العظيمة ..»** .

فرحة العيد

في ظل رحاب الله كانت المدن الإسلامية تحتفل بهذا الشهر المبارك عبر تاريخها الطويل ومع بزوغ شهر شوال تسطع الأنوار في كل مكان وتتجاوب أصوات المسلمين بالتكبير والتهليل وتتلألأ الأضواء من قصور الخلافة مؤذنة بحلول العيد ، عيد الفطر .

هكذا كان يحتفل أجدادنا بشهر رمضان احتفالا يجمع بين العبادة والزهد والكرم والعطف احتفالا يليق مع قدسيته وكرمه ومعجزاته .. وقد صدق من قال «رمضان كريم» .

من مصادر البحث :

١ - تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار - ابن بطوطة .

٢ - تاريخ المقريزي .

٣ - السلوك في معرفة دول الملوك - المقريزي كتاب في تاريخ مصر من ٥٥٧ إلى ٨٤٤ هـ .

٤ - تاريخ ابن جبير .

٥ - فتاة القيروان - جرجي زيدان - من روايات تاريخ الإسلام - الرواية ١٥ .

٦ - رحلة ابن جبير .

الهوامش

١ - ابن بطوطة هو شمس الدين محمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المعروف بابن بطوطة (٧٠٣-٧٧٩هـ) .

٢ - السماط الشيء المصطف ما يبسط ليوضع عليه الطعام «سماط الطريق» جانباه «سماط القوم» صفهم ، ج سمط وأسمطة .

٣ - السرادق : الفسطاط الذي يمد فوق صحن البيت الخيمة ، ح سرادقات .

٤ - الصقالبة مفردها الصقلب والصقلبي والصلابي وهم قوم كانت تتاخم بلادهم بلاد الخزر ثم انتشروا منها إلى بلاد سواها من أوروبا ويعرفون أيضا بالسلاجين .

٥ - ابن جبير أبو الحسن الكناني الأندلسي (٥٤٠-٦١٤هـ) (١١٤٥-١٣١٧م) كان بارعا في الادب مولعا بالتنقل مات في الاسكندرية في اثناء رحلته الثالثة الى الشرق وقد وصف ما زاره من البلدان في كتابه «رحلة ابن جبير» .

٦ - القطائف : طعام سوي من الدقيق المرق بالماء (شبهت بخمل القطائف التي تفترش) .

٧ - المعز لدين الله الفاطمي : خليفة فاطمي فتحت مصر في عهده سنة ٣٥٨هـ على يد القائد جوهر الصقلي بعد القضاء على الدولة الاخشيدية الحاكمة .

٨ - العباسيون : حكموا بغداد من (٤٥٠-٦٥٦هـ) (١٠٥٨-١٣٥٨م) .

٩ - احمد بن طولون : أمير مصر في أواسط القرن الثالث الهجري .

١٠ - طرسوس - بلاد في سوريا - الشام قديما .

★ منظر عام للجزيرة ★



جزيرة ترينداد

بقلم: محمد محمود حافظ

● ترينداد وتوباغو جمهورية صغيرة تقع على البحر الكاريبي وهي من دول أميريكا الجنوبية ، وهي جزيرة خضراء أراضيها خصيبة وسكانها خليط من سبع جنسيات مختلفة .. العرق الهندي والافريقي هو الأعم والغالب على سحنة السكان وعاداتهم .

● واسم ترينداد في الأصل إسباني يعني « المثلث » أو « الثالوث المقدس » ، وأخذت التسمية من التلال الثلاث الكبيرة التي تحيط بالجزيرة الواقعة في أقصى الشمال الشرقي من أميريكا الجنوبية .

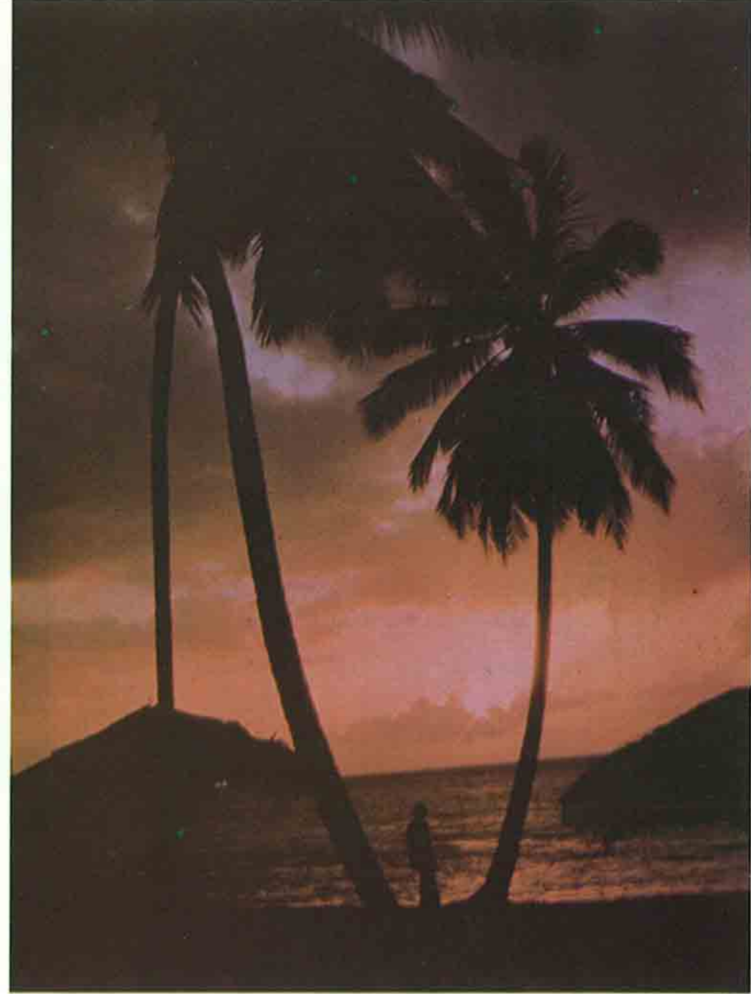
● وفي جنوبها تلتقي مع **غوانا وسيرينام** ، أما على حدودها الغربية فتقع **فنزويلا** .

● ومساحة ترينداد وتوباغو تبلغ ٨ آلاف كيلو متر مربع .

● وعدد سكانها طبقاً لإحصاء عام ١٩٧٤م (١,١٠٨,٨٠٠) نسمة ، وهي ذات مناخ استوائي .

لمحة تاريخية عن الجزيرة

● اكتشف **كريستوفر كولمبوس** هذه الجزر سنة ١٤٩٨م ، وفي سنة ١٥٣٣م احتلت إسبانيا هذه الجزر التي



★ الطبيعة . . وقت الغروب ★



★ فتاة بالملابس الشعبية . . في احد الاحتفالات الوطنية بالجزيرة ★

كانت تسكنها قبائل من **الهنود الحمر** ثم جاء الاحتلال البريطاني عام ١٧٩٧م ، أي بعد ٢٦٥ سنة من الوجود الإسباني .

وبقيت بريطانيا تحتل هذه الجزر حتى سنة ١٩٦٢م ، وهي سنة الاستقلال .

● وعاصمة جمهورية ترينداد وتوباغو (**بورت اوف سبين**) وعدد سكانها ٢٥٠ الف نسمة ويليها في الأهمية مدينة **سان فرناندو** ويقدر سكانها بـ ١٥٠ الف نسمة .

الأديان في ترينداد

نظراً لتعدد الأجناس في هذه الجزيرة فقد تتبع ذلك تعدد الأديان .. وللروم الكاثوليك نشاط منظم في ترينداد كما أن للمسلمين نشاط قوي ومنظم هو الآخر .. ويوجد اليوم في ترينداد ١٣٠ الف مسلم يشكلون ١٢٪ من مجموع السكان ، وتتزايد هذه النسبة بسرعة بسبب تزايد عدد المسلمين الطبيعي المرتفع على غيرهم .

● كما يوجد : (٣٩٠ الف هندوكي ، ٥٨٨ الف مسيحي ، ١٣٠ الف مسلم وغالبيتهم من أصل هندي وآخرون من أصل إفريقي) .

● وبعد احتلال الجزيرة من قبل الإسبان أخذ الأهالي الأصليون يتعاشرون شيئاً فشيئاً ويختلطون بالعرق الاسباني .. وعندما احتل الانكليز هذه الجزيرة قدم معهم عدد كبير من الهنود الذين كان يتم استجلابهم من الهند وتسخيرهم في زراعة الأرض وخاصة زراعة قصب السكر .. وكان بينهم كثير من المسلمين الذين قاموا بتعريف سكان الجزيرة بعقيدتهم .. ولكن سنوات الاضطهاد والاستعمار الكثيرة وبسبب الظروف القاسية تضاءل عدد المسلمين .

المسلمون ينظمون أنفسهم

عندما جاء الانكليز بالهنود إلى ترينداد أسكنوهم في أكواخ قريبة من **مزارع قصب السكر** ، ولما كان عدد المسلمين كبيراً



★ لقطة تمثل جانبا من الحضور بقاعة الاحتفالات بالعاصمة ترينداد ★



★ منظر عام للعاصمة ترينداد في البحر الكاريبي ★



★ المنصة الرئيسية في المؤتمر الاسلامي في العاصمة بورت أفاسبين ★

حاولوا ان ينظموا أنفسهم في جماعات كلما سمحت لهم بذلك السلطات المسيحية الحاكمة ، غير انه لم يظهر تنظيم المسلمين بشكل فعال ، الا عام ١٩٢٠م ، حيث اتحدت عدة جماعات إسلامية في تنظيم عام وسجلت **أول جمعية إسلامية** في ترينداد سنة ١٩٢٣م ، تحت اسم «**جمعية تقوية الاسلام**» .

وما كادت تتأسس الجمعية حتى أخذت **الحركة القاديانية** المنحرفة عن الإسلام تتقرب للجمعية وسيطرت عليها مما دفع المسلمين المخلصين إلى الانتباه لهذه الحركة وخطورتها على الإسلام .. فلم يجدوا بدأ من تأسيس جمعية منفصلة مستقلة تتقيد بالكتاب والسنّة وكان ذلك عام ١٩٣٥م .. وبجهود مؤسسها **الحاج ركن الدين رحمة الله** .. وكان ذلك أن نظم المسلمون أنفسهم وانضموا إلى هذه الجمعية وسميت جمعية أهل السنّة والجماعة .. وأصبحت في أعوام قليلة من اكبر وأقوى الجمعيات الإسلامية العاملة ليس في ترينداد فحس بل على مستوى **دول أميريكا اللاتينية** .. وبعد اكتشاف الحركة القاديانية من قبل المسؤولين ومحاصرة اتباعها .. قاموا بتأسيس جمعية جديدة لهم سموها (**رابطة مسلمي ترينداد**) .

وبقيت جمعية تقوية الإسلام على اقصارها بداخل السنّة والجماعة ، لكنها غدت جمعية ضعيفة لأنه لم ينضم لها إلا عدد قليل من المسلمين .

وفي عام ١٩٦٠م ، زار ترينداد عالم باكستاني اسمه مولانا **محمد فضل الرحمن الأنصاري** وكان داعية إسلامي غيور على دينه وعقيدته .

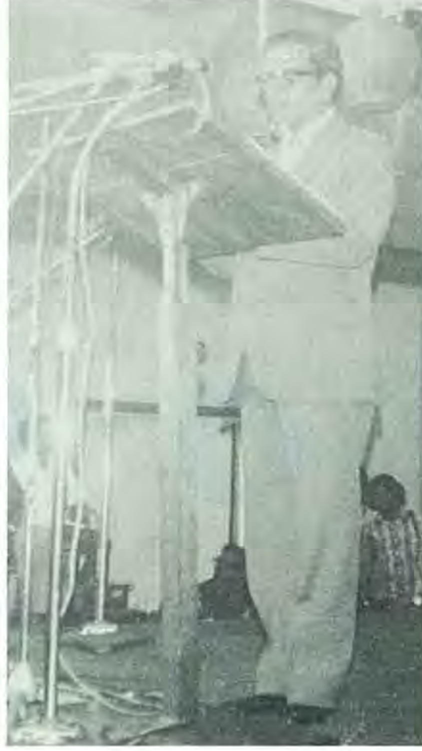
وقام بنشاط مؤثر بين المسلمين في ترينداد ودعاهم إلى الحركة والعمل في سبيل نشر الإسلام بين السكان ، فكان لحركته ونشاطه الدور الكبير في ازدياد عدد المسلمين وفي تنظيمهم بشكل أفضل وأقوى .. وتوسعت حركة الدعوة إلى الإسلام بواسطة فروع الجمعية حتى أضحت تغطي كل مكان في الجزيرة .

المساجد والمدارس

ومن أهم الأعمال التي حافظت على الشخصية الإسلامية في ترينداد : **المساجد** .. فقد أدت دورها الكامل في تثقيف المسلمين وتوحيد صفوفهم .. فكل مسجد في ترينداد وتوباغو ملحق به مدرسة يتعلم فيها أطفال المسلمين العقيدة الإسلامية والقرآن الكريم .. وقد بلغ عدد المساجد **٧٠ مسجداً** ، كما أن حكومة ترينداد تقدم معونة مالية لهذه المدارس .



★ رئيس مجلس الوزراء الدكتور وليمز وهو يلقي كلمته في حفل افتتاح المؤتمر الاسلامي ★



★ رئيس مجلس الشيوخ في ترينداد الدكتور وحيد علي وهو يخطب في المؤتمر ★



★ معالي الشيخ محمد علي الحركان وهو يتحدث للمسلمين في ترينداد ★

الرابطة ومؤتمرها الاسلامي في ترينداد

وقد شجع وجود المسلمين بهذا الشكل المنظم **رابطة العالم الاسلامي** على اختيار ترينداد لعقد مؤتمرها الكبير والأول من نوعه الذي تشهده المنطقة ، كما **أن حكومة ترينداد وتوباغو رحبت بعقد المؤتمر على أراضيها** .. وقدمت كافة التسهيلات لانجاح المؤتمر الذي ضم جميع المنظمات والهيئات الإسلامية العاملة في **دول أمريكا الجنوبية والبحر الكاريبي** . وقد افتتح المؤتمر **رئيس الوزراء الدكتور اريك وليامز** كما حضره **رئيس مجلس الشيوخ الدكتور وحيد علي** .. إلى جانب كبار الشخصيات في الحكومة الترينددادية .. وقد استمر المؤتمر ثلاثة أيام من ١١ شوال إلى ١٣ منه ١٣٩٧هـ .

وكان الهدف من عقد **المؤتمر الاسلامي الأول في أميريكا الجنوبية** هو تشكيل مجلس أعلى للتنسيق مهمته تنظيم العمل الإسلامي بين الجمعيات في إطار من التنظيم والعمل المنسق حتى تؤدي دورها الهام في يسر وسهولة .. خاصة وان **الحرية الدينية والفكرية مكفولة في اكثر دول أميريكا اللاتينية .**

والرابطة عندما تقوم بعقد هذا المؤتمر الذي ضم ٥٦ جمعية ومنظمة إسلامية في أميريكا الجنوبية والبحر الكاريبي إنما تهدف تحقيق النجاح الكامل للعمل الإسلامي والاستفادة من الطاقات بعد توحيدها لخدمة أهداف الإسلام .

وكان من نتائج هذا المؤتمر أن تم تشكيل **المجلس الاسلامي الأعلى للتنسيق** واتخذ مقره الرئيسي في ترينداد ، لأنها دولة بعيدة عن الاضطرابات السياسية .. كما أنها دولة مضيافة يستطيع العاملون في المجلس التحرك بنشاطهم في حرية ويسر .

وبهذا المؤتمر تكون الرابطة قد حققت سلسلة من الانجازات المكرسة لخدمة العمل الإسلامي وهي تنطلق في عملها هذا من الدعم المتواصل والكبير من قبل **حكومة المملكة العربية السعودية** .. فلولا هذا الدعم لما استطاعت أن تسير بهذه السرعة في تحقيق هذه الانجازات والتي شملت الكثير من دول العالم التي بها أقليات إسلامية .

فهناك اليوم مجالس إسلامية عليا للتنسيق في إفريقيا واستراليا وأوروبا وأميريكا الشمالية وكندا وأميريكا الجنوبية والبحر الكاريبي .

وهذه المجالس تؤدي الغرض المقصود طبقاً للقرار الذي اتخذه مؤتمر المنظمات الإسلامية الذي عقد بمقر رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة عام ١٣٩٤هـ/١٩٧٤م .

لوحة  فنان

موناليزا .. والمفاتيح (١٩٣٠)

★ قال عنها ليجير: «إنني أحتفظ بهذه الصورة لنفسي، ومن ثم فهي ليست للبيع».

★ الصورة مليئة بعدد من المتناقضات.. في حين تبدو خلفية الصورة ضبابية، تظهر أمامنا صورة موناليزا وبجانبها مجموعة من المفاتيح.. وعلبة سردين!!.. الى جانب شكل دائري وشريط أسود يطوق المنظر كله على هيئة زخرفية واضحة يجعل الصورة تبدو وكأنها تطفو بحرية في الفضاء.

★ يلجأ كثير من الفنانين إلى استغلال صورة «موناليزا» وكأنها «كليشيه» لا مدلول لها.. لكن «ليجير» تناولها مع أشياء أخرى كحزمة المفاتيح وعلبة السردين الأمر الذي يعتبر امعانا منه في الحط من قدر «موناليزا».

★ رغم ذلك لم يستطع بعض النقاد طرح تساؤلات شتى عن معنى مجموعة المفاتيح، والدائرة التي تجمعها، وعلبة السردين... كل هذه الأشياء التي تبدو كأنها تسبح في الفضاء، وعن يسارها «موناليزا»، رمز الجمال والابتسامة الشهيرة، لكنها هنا تقطب حاجبيها وقد فارقتها الابتسامة.

فرناند ليجير (١٨٨١م - ١٩٥٥م)

★ ولد بإحدى القرى الفرنسية عام ١٨٨١م.. وفي عام ١٩٠٠م سافر إلى باريس، في نفس العام الذي سافر فيه بيكاسو إليها.

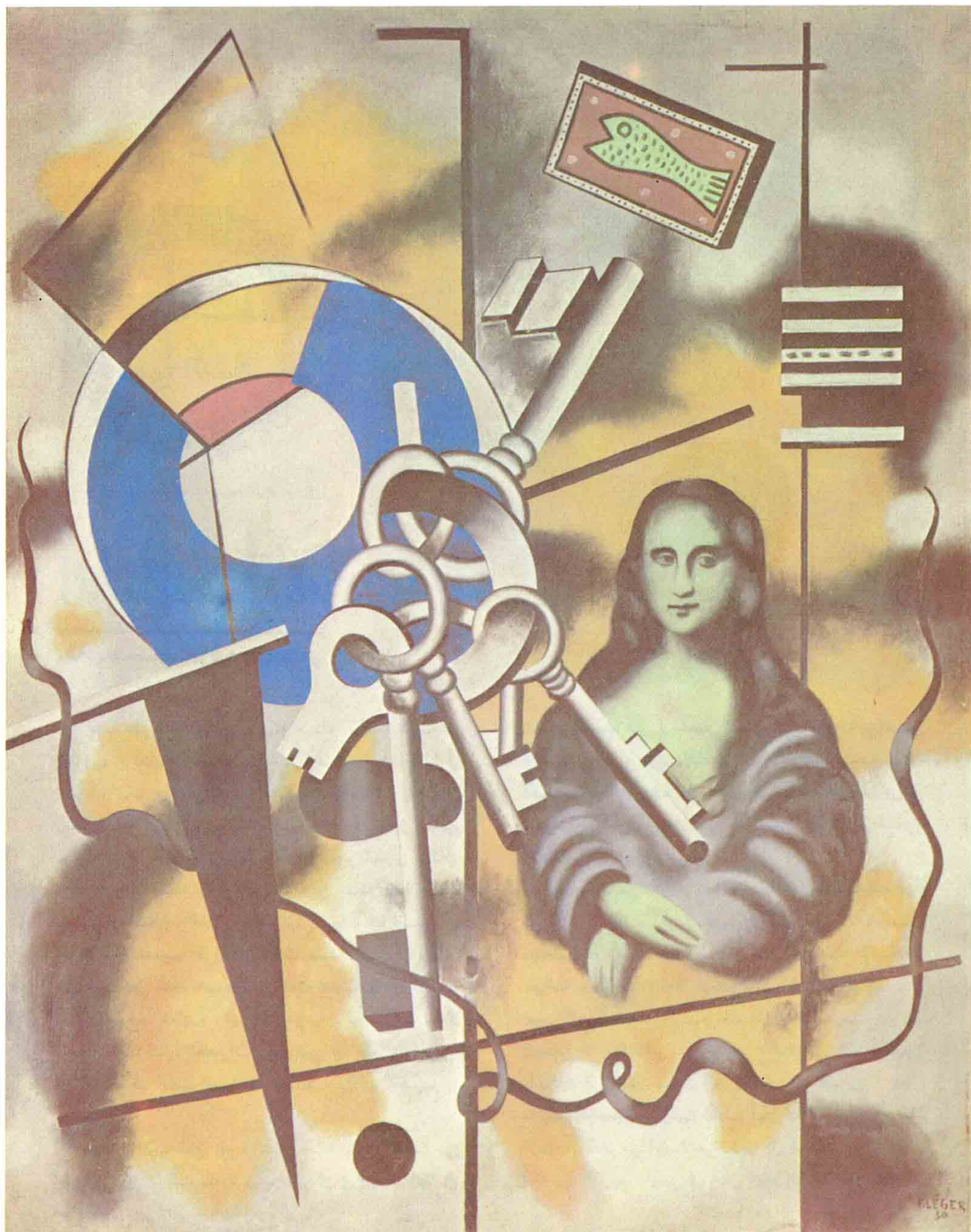
★ بدأ انتاجه الفني عام ١٩٠٣م متأثراً بالمدرسة الانطباعية.

★ اشترك في الحرب العالمية الأولى، مقاتلا في الجيش الفرنسي، وخرج منها فنانا واقعي النزعة وقال: «إن الأصول والقواعد الفنية التي تعلمها من تجربة اشتراكه في الحرب تفوق ما كان سيتعلمه لو شاهد جميع متاحف العالم».

★ ينتمي فنه إلى العالم المعاصر من حيث تصويره لواقع المدن والمصانع والجماهير البشرية، كما تميز بقدرة واضحة على تحديد الصورة المثلى لعالمه الذي يحلم به، ومن هنا اكتسب كفاءة نادرة في التعبير عن طبيعة الحياة الحديثة.

★ كان يقتبس مواد لوحاته من عامة الناس، ولذلك اتسم فنه بالبساطة وسهولة الفهم.

★ لم يحقق شهرة كبيرة، لكن يكفيه أنه كان «فنانا معاصرا» بحق، وأنه كان الجسر الذي حقق الفن المعاصر - عن طريق - الانتشار بين الناس.







حافظ ابراهيم في اسلامياته

بقلم : محمد ظافر القاسمي

غلب على حافظ إبراهيم ، أيام حياته ، أنه « **شاعر النيل** » ، لكثرة ما تحدث عن مصر وشؤونها وشجونها في شعره ، فبكى على حريتها ، واستنهض همم أهلها ، ونعى على التخاذل فيها ، وتمنى سيادتها واستقلالها ، ودعا إلى تعليم أبنائها ، وآده الظلم في أرجائها ، وهدّه الفقر الذي ينتاب أهلها ، وعلى الجملة فإنه لم يدع مشكلة من مشكلاتها الاجتماعية والسياسية والثقافية والحضارية والعمرانية إلا وكان لها نصيب في شعره . **والتغليب طريقة عرفت عند العرب في أكثر من فن** ، ففي اللغة تغليب ، وفي الفقه تغليب ، وفي الأصول تغليب ، وهذا التغليب ـ مهما تكن دواعيه ـ فيه شيء من الظلم واضح . فإذا قلنا (**العمران**) ونحن نعني **أبا بكر وعمر** ، فإن أبا بكر قد حُجب فعلاً في اللفظ ، وإن لم يُحْجَب في الذهن .

وهذا التغليب الذي وقع في شعر حافظ ينطوي أيضاً على شيء من الظلم : ذلك بأنه **لا ريب عندي في أن حافظا في شعره الاسلامي لم يقصر عن حافظ الاجتماعي والسياسي ، أو عن حافظ في شعر الرثاء ، ومع ذلك فقد شاءت الظروف التي عاش فيها أن يتغنى الناس في شعره السياسي والاجتماعي ، أكثر من تغنيهم في شعره الاسلامي ، أو في مراثيه .**

وقد يكون من الخير أن ننصف حافظاً بعد قرابة نصف قرن من وفاته ، وأن نذكّر الدارسين والمدرسين ، والعالمين والمتعلمين ، بما كان لحافظ من شأن في عاطفته الإسلامية الفياضة ، ولا سيما في هذا الزمان الذي أخذ **المسلمون** ، في جميع الأقطار ، يشعرون فيه الحاجة إلى التقارب ، أو إلى التضامن . فهذا شاعر ، أي شاعر ، قد غنَّى آلام المسلمين وأحزانهم قبل سبعين سنة أو أكثر وصدح ببلبله الحزين ، يرتل مآسيهم وفواجعهم ، ويقيني أنه لو قُدِّر له أن يعيش إلى هذا الزمان ، لكان من أكثر الشعراء دعوة إلى التضامن ، وأحرهم نداء إلى التقارب . ولعل في بعض أبياته وقصائده التي سننشر

إليها في هذا البحث ما يمكن أن يكون صالحاً حتى في هذا العصر .

ولادته

غلب على حافظ إبراهيم أنه شاعر النيل ، حتى ان شيخنا **أحمد أمين** ، رحمه الله ، قال عن مولده في مقدمة ديوانه الذي جمعه ونشره مع الأستاذين **أحمد الزين** ، **وإبراهيم الابياري** عام ١٩٣٧ (ص ٦) :

« حوالي سنة ١٨٧٢م كانت سفينة (ذهبية) ترسو على شاطىء النيل أمام بلدة (**ديروط**) في أعلى الصعيد ، وكان يسكنها **إبراهيم أفندي فهمي** ، أحد المهندسين المشرفين على **قناطر ديروط** ، وزوجته **الست هانم** » .

« ففي يوم منها أو قريب منها ، ولد لهذه الأسرة في هذه السفينة مولود سموه **محمد حافظ** ، وهو شاعرنا فيما بعد ، فكان ذلك إرهاصاً لطيفاً وايماء ظريفاً ، إذ شاء القدر ألا يولد شاعر النيل ، إلا على صفحة النيل » .

شاعريته المبكرة .. وبيئته الدينية

والواقع أن حافظاً كان شاعراً موهوباً ، رزقه الله الطبع الشعري الجميل ، منذ أن كان فتى ، **فقد روي له شعر وهو في السادسة عشرة من عمره** . والواقع أيضاً أن حافظاً **ولد في بيئة إسلامية خالصة** ، وعاش في هذه البيئة إلى أن مات ، وعرف كل خصائصها ومزاياها وخبر جميع عيوبها وهناتها ، وتلقف ثقافتها ، وصاحب كتبها ، بل ولعله لم يعرف غيرها رفيقاً ، على الرغم من أنه شدا شيئاً من **الفرنسية** ، وترجم **بؤساء هوغو** ، وشارك في نقل كتاب في **الاقتصاد السياسي** عن الفرنسية . على الرغم من هذا ، فإن الذين ترجموا له أكدوا أنه كان يصحب دواوين الفحول ، ويختار منها لحفظه أجودها لفظاً ، وأحلاها سبكاً ، وأرقاها مبنى ، وأعلاها معنى ، حتى إن أحمد أمين قد ذهب إلى أنه لو جمع مختاراته ، لكانت أبلغ من مختارات **أبي تمام** .

أضف إلى ذلك أنه عاشر وخالط أئمة المسلمين في عصره ، وعلى رأسهم الأستاذ **الشيخ محمد عبده** ، وناهيك به من شيخ التفت حوله آمال المتنورين من الشباب المثقف في عصره .

وإذا قيل لك إن حافظاً كان ملازماً **لسعد زغلول** فلا تنس أن سعداً ، زعيم الشرق في زمانه ، كان ذا نشأة أزهرية ، وقد حافظ على هذا الطابع الأصيل طول حياته ، في سلوكه الخاص ، وفي حياته السياسية ، وفي خطبه الشعبية ، وفي كل ناحية من نواحي حياته الخاصة والعامة .

حري إذن بشاعر موهوب كحافظ إبراهيم أن يرى الاسلام هو القبلة التي يتوجه إليها ، وهو العقيدة التي يدافع عنها ، وهو الكعبة التي يطوف حولها . وحري به أن يرى المسلمين ، أنى تباعدت ديارهم ، أو تناءت أقطارهم ، قومه الأقربين ، الذين يتلهف على نهوضهم ، ويبكي في مآسيهم ، ويفرح في أحزانهم . ومن الطبيعي أن تنفتح شاعريته على شؤون المسلمين وشجونهم ، في كل مناسبة دعت ، أو ظروف نادت .

وما رأيك في أن نذهب إلى **أن الشعر الاسلامي عند حافظ هو الأصيل ، وأن شعره السياسي والاجتماعي كان فرعا عن ذلك الأصل ؟** إننا لا نعرف لحافظ مصدراً للخير إلا الشريعة الإسلامية ، والا الثقافة الإسلامية . فأما اتصاله بحضارة الغرب ، التي كانت يومئذ ترد على أقلام وألسنة وسلوك بعض الشباب المثقف ، فلم يكن نصيب حافظ منها نصيباً مدرسياً منظماً ، وانما تلقفه من الصحف والمجالس ، وبعض الكتب التي نشرت في ذلك العصر . لا بل إن بعض مترجميه ذهب إلى أنه عرف عناوين هذه الكتب ولم يقرأها . ولهذا من حقنا أن نفترض معاني الخير العام والخاص ومفاهيمه ، للفرد والأسرة والمجتمع والدولة ، لم تأت إلى حافظ إلا عن طريق الإسلام ، وأن تغنيه بالحرية والسيادة والاستقلال وتعليم المرأة والنهوض بالأمة ، وغير ذلك من الدعوات الخيرة الصالحة ، كانت في أصلها عند حافظ إسلامية خالصة ، وإن مازجتها فيما بعد التيارات الحديثة التي دخلت المجتمع العربي والإسلامي أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين .

استمع إليه يستقبل العام الهجري عام ١٣٢٧ ١٩٠٩م فيقول :

أطل على الأكوان والخلق تنظر
هلال رآه المسلمون فكبروا
وأذكرهم يوما أغر محجلا
به توج التاريخ والسعد مسفر
وهاجر فيه خير راع إلى الهدى
يحف به من قوة الله عسكر
ففيه أفاق النائمون وقد أتت
عليهم كأهل الكهف في النوم أعصر

وفي عـالم الاسـلام في كل بقعـة
لـــه أثـر بـاق وذكر معـطر

ثم يذكر العالم الإسلامي قطراً قطراً فيقول :

سلوا (**الترك**) عما أدركوا فيـه مـن مُـنى
ومـــا بــدّلوا في المشرقــين وغـــيروا
سلوا (**الفرس**) عن ذكرى أياديه عنـدهم
فقد كان فيـه الفـرس عُمْيـاً فـأبصروا
سلام عليـكم أمـة الفـــرس إنـــكم
خليقـــون أن تحيـــوا كرامـــاً وتفخـــروا

ويشير إلى انتقال الملك من **مولاي عبد العـزيز إلى مولاي عبد الحفيظ في (مراكش)** فيقول :

فـــألق إلى (عبـــد الحفيـــظ) بتـــاجه
ومـــرَّ على أدراجـــه يتعـــثر
وقـــام بـــأمر المســـلمين مـــوفق
على عهـــده (مـــراكش) تتحضر

ثم ينتقل إلى **الأفغان والأقطار الأخرى** فيقول :

وفي دولـــة **الأفغـــان** كانـــت شـــهوره
وأيـــامه بـــالسعد واليمـــن تـــزهر
وفيـه نمـت في (**الهنـد**) للعـلم نهضـة
أرى تحتهـا سراً خفيـاً سـيظهر
وفيه بـدت في أفـق (**جـاوة**) لمعـة
أضـــاءت لأهليهـــا الســـبيل فبـــكروا

ويتحسر على حرمان (**الجزائر**) و(**تونس**) مـن نعمتـه في ذلك العام ، فيقول :

فيـــا ليتـــه أولى (الجـــزائر) منـــة
تفـــك لهـــا تلك القيـــود وتـــكسر
وفي (تـــونس) الخضراء يـــا ليتـــه بـــنى
له أثـــراً في لـــوحة الـــدهر يـــذكر

ويختم جولته في مصر :

وفيـــه سرت في (**مصر**) روح جـــديدة
مبـــاركة مـــن غـــيرة تتســـعر

حتى إذا حل العام الهجري الجديد (١٣٢٨) حياه بقصيدة جديدة قال فيها :

لي فيك حـــين بـــدا ســـناك وأشرقـــا
أمـــل ســـألت الله أن يتحققـــا

ويخاطب فيها المصريين خاصة والمسلمين عامة فيقول :

فتعلمـــوا فـــالعلم مفتـــاح العلى
لم يبـــق بـــابا للســـعادة مغلقـــا
ثم استـــمدوا منـــه كل قـــواكم
إن القـــوي بـــكل أرض يتـــق

ويقام في القاهرة احتفال بالأسطول العثماني ، عام ١٩١٠ م ، فإذا بحافظ إبراهيم يهتز لهذه المناسبة ، وينشد فيها قصيدة عصماء ترنح لها كل من سمعها من الحاضرين . ذلك بأن الأسطول العثماني الثاني كان الأسطول الإسلامي الوحيد في ذلك العصر ، وقد جاء في القصيدة خطاباً للسلطان العثماني :

أيهـــا القـــائم بـــالأمر لقـــد
قمـــت في النـــاس فـــأحسنت القيـــاما
وابعـــث الأســـطول تـــرمي دولـــة
قـــوة الله وراء وأمـــاما
يـــكلأ الشرق ويـــرعى بقعـــة
رفـــع الله بهـــا (**البيـــت الحـــراما**)
حـــي يـــا مشرق أســـطول الألى
ضربـــوا الـــدهر بســـوط فـــاستقاما

ثم يخاطب الشرقي فيقول :

أيهـــا الشرقي شمـــر لا تـــنم
وانفض العجـــز فـــإن الجـــد قـــاما
ســـابق الغـــربي واســـبق واعتصـــم
بـــالمروءات وبـــالبأس اعتصـــاما

ويدعو الرحمن لكي يزيدنا من قوته :

قـــوة الـــرحمن زيـــدينا قـــوى
وأفيضي في بـــني الشرق الـــوئاما

وكان أول طيار عثماني مسلم قد عزم عام ١٩١٣م على الوصول إلى مصر بطائرته ، ولكنه سقط في ديار الشام قبـل ان يبلـغ مصر . وقد أعد حـافظ قصيدة لتتلى في استقباله ، ولـكنه لم يكتب له نشرها إلا عام ١٩١٤م ، يكفي أن تقرأ مطلعها لتتبين العاطفة الإسلامية المتأججة في صدر حافظ بسبب هـذا الحـدث التاريخي العظيم :

أهلاً بأول مسلم
في المشرقين علا وطار
النيل والبسفور فيك
تجاذبا ذيل الفخار

ولئن فات حافظ أن يرحب بفتحي ، فلم يفته رثاء **فتحي وصادق** فقال يخاطب الطائرة :

أخت الكواكب ما رماك وأنت رامية النسور
ماذا دهاك وفوق ظهرك مربض الأسد الهصور

ثم قال يخاطب الشهيد فتحي :

فاسبح بروحك وحدها
واصعد إلى الملك الكبير

وحينما خيف على **القسطنطينية** الاحتلال عقب **الحرب العالمية الأولى** ، نظم قصيدة ، خاطب فيها **(أيا صوفيا)** فقال :

(أيا صوفيا) حان التفرق فاذكري
عهود كرام فيك صلوا وسلموا

ثم خاطب ربه فقال :

أيرضيك أن تغشى سنابك خيلهم
حماك وأن يمنى (الحطيم) و(زمزم)
وكيف يذل المسلمون وبينهم
كتابك يتلى كل يوم ويكرم
نبيك محزون ، وبيتك مطرق
حياء وأنصار الحقيقة نوَّم

وفي قصيدته الشهيرة التي قالها عام **١٩٠٣**م على لسان اللغة العربية ، حينما حاربها بعض المتفرنجة وزعموا أنها لا تصلح لغة علم ، لم يفته أن يشير إلى أنها **لغة القرآن الكريم** ، فقال :

وسعت كتاب الله لفظا وغاية
وما ضقت عن آي به وعظات
فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة
وتنسيق أسماء لمخترعات

وعاد **الخديوي عباس** من دار الخلافة فحياه بقصيدة عام **١٩١١**م جاء فيها :

خفقت قلوب المسلمين وأشفقت
دار الخلافة والمليك الأعظم

ودعا لك البيت الحرام فأمنت
بطحاء مكة والحطيم وزمزم

ويدعى لحفل أقيم في **الأوبرا** بمناسبة **مدارس الجمعية الخيرية الاسلامية** ، فيقول على لسان أحد طلابها :

فيها تبينت الهدى
وقرأت فاتحة الكتاب
وبها صرفت عن الضلا
لة واهتديت إلى الصواب

وهو الذي وضع **نشيد الشبان المسلمين :**

أعيدوا مجدنا دنيا ودينا
وزودوا عن ثرات المسلمينا

ويقول في عيد تأسيس الدولة العلية (العثمانية) :

لقد مكن الرحمن في الأرض دولة
لعثمان لا تغفو ولا تتشعب
وقام رجال بالإمامة بعده
فزادوا على ذاك البناء وطنبوا
وردوا على الإسلام عهد شبابه
ومدوا له جاهاً يرجى ويرهب

ويختار الله الأستاذ الشيخ **محمد عبده** إلى جواره فيرثيه بالقصيدة العصماء ، ومنها :

سلام على الإسلام بعد محمد
سلام على أيامه النضرات
تباركت هذا الدين دين محمد
أيترك في الدنيا بغير حماة
تباركت هذا عالم الشرق قد قضى
ولانت قناة الدين للغَمَزات
أبِنْتَ لنا التنزيل حكماً وحكمة
وفرقت بين النور والظلمات

وبعد فهذا قُل من كثر ، عن إسلاميات حافظ في شعره ، ولعل ما فاتني أكثر مما رويت ، أفليس خليقاً بنا أن ننصف حافظاً ، ولا سيما في كتب تاريخ الآداب ، التي تدرس للطلاب ، وأن نرد غليه صفته الأصلية وهي أنه شاعر الإسلام في الثلث الأول من القرن العشرين ؟ .

الإنسان والعلم

الفديو

التسجيل بجهاز الفيديو (أي تسجيل الصورة على شريط ممغنط) ، **هو المقابل « البصري » لجهاز التسجيل « السمعي »** ، وهو أيضاً الوسيلة التي يتم بها تخزين إشارات الفيديو على امتداد شريط ممغنط ، والشريط ـ المصنوع من البلاستيك المغلف بأكسيد ممغنط ـ يمر بـ « رأس » التسجيل ، ومن ثم تخزن الاشارات على الشريط على هيئة جزئيات من الاكسيد المغنط .

ويتميز التسجيل بهذه الطريقة بكونه جاهزاً لاعادة عرض المادة المسجلة دون الحاجة لأية عمليات أخرى . ولهذا السبب انتشر استعمال هذه الأجهزة ، في الوقت الراهن ، في تسجيل البرامج التليفزيونية ، سواء أكانت أحادية اللون أو ملونة .

نظرة تاريخية

أول جهاز فيديو هو جهاز « التليجرافون » Telegraphone الذي اخترعه « **بولسن** » Poulsen **عام ١٨٩٨ م** لتسجيل الرسائل البرقية ، والذي استعمل ـ فيما بعد ـ لتسجيل الكلام على أسلاك صلب كوسيلة لتخزين المادة المسجلة .

ثم تطور الأمر باختراع التسجيل على أشرطة ممغنطة ، حسب التطوير الذي استحدثته شركة الكهرباء الألمانية **عام ١٩٣٠ م** اعتماداً على اختراع « بلومر » .

وفي ١٩٥٣ م قدم « **اتحاد الاذاعات الامريكية** » (**R.C.A**) جهاز الفيديو (**أولسون**) الذي يتحرك الشريط فيه **بسرعة ٦ أمتار/ثانية ، ويكون وضع اشارات التسجيل على الشريط طوليا بامتداده (الشكل رقم ١ ـ ا)** . إلا أن هذا الجهاز لم يحقق نجاحاً كبيراً ، نظرا للسرعة الهائلة التي يتحرك بها الشريط .

أما « **جنزبرج** » فقد قدم جهازه « **أمبكس** » **عام ١٩٥٦ م** ، وفيه يكون **وضع الاشارات على الشريط عرضيا** (بعكس جهاز أولسون) (**انظر شكل ١ ـ ب) وسرعة ٣٨ سم/ثانية** ، وله أربعة رؤوس للتسجيل (وأربعة اخرى لاذاعة التسجيل) موضوعة حول عمود دوار كل منها على زاوية ٩٠° .

شكل رقم (٢) رسم تخطيطي مبسط لطريقة التسجيل بالرؤوس الأربعة الدوارة في جهاز " امبكس "

وهو أول جهاز فيديو عملي ، ويمكن استغلاله تجاريا حيث إن الصورة التي ينتجها تبلغ من الجودة حدا لا يمكن تمييزها عن المادة الحية التي سجل الشريط عنها ، بالإضافة إلى أن سرعته تشبه سرعة أجهزة التسجيل الصوتي المستعملة في الاذاعة ، كذلك كان مناسباً ـ الى جانب الأجهزة المساعدة الأخرى ـ للتسجيل التليفزيوني الملون حسب نظام (NTSC) المستعمل في الولايات المتحدة الأميريكية .

وفي **عام ١٩٥٩ م** قدمت شركة « **توشيبا** » باليابان مسجلاً **سرعة الشريط فيه ١٩ سم/ثانية (شكل ١ ـ جـ) ، والتسجيل يتم بشكل مائل** على الشريط الذي يوجه حلزونيا **بواسطة رأس دوار واحد** . ويتميز هذا الجهاز بأنه يستهلك نصف الطاقة التي يستهلكها جهاز « أمبكس » ، الى جانب صلاحيته للأغراض الصناعية والتعليمية والاستعمال الخاص .

جهاز أمبكس

نشاهد ، في **الشكل رقم (٢)** كيف يعمل **جهاز « أمبكس »** لتسجيل الفيديو . . .

الصورة التي تبلغ فترة عرضها ٦٤ ثانية تستهلك ٢,٤ ملليمتر من حافة الشريط (track) بسرعة ٣٨,١ م/ثانية . ويبلغ عرض هذه الحافة ٠,٢٥ مم وتبعدان عن بعضهما ٠,١٣١ مم . . أي إن خط الصور الكامل الذي يبلغ طوله ٦٢٥ يسجل على حافة طولها ١٥,٢ مم من شريط عرضه ٥٠,٨ مم . . والحركة الواحدة لمجموعة رؤوس التسجيل تتعامل مع شريط طوله ٠,٣٨١ × ٤ = ١,٦ مم تقريباً ، وبسرعة تقدر بـ : ٢٥٠ دورة في الثانية وتكون حركة الشريط بسرعة ٣٨,١ سم/ثانية .

أما اعادة تشغيل الشريط ، بعد تسجيله ، فتتم بنفس مجموعة رؤوس التسجيل التي تقوم بتحويل التسجيل المغناطيسي إلى ذبذبات تتغير لتنتج إشارات فيديو . **والهدف من اتصال الرؤوس الأربعة** ، فيما يتعلق بعملية التسجيل ، **هو تصحيح أية ثغرة قد تحدث بين أي رأس وآخر أثناء التسجيل .**

أما بالنسبة للتسجيل فليست هناك حاجة إلى التحكم في توافق سرعة كل من الشريط ودوران رؤوس التسجيل .

ذلك أنه عند تشغيل تسجيل الفيديو ، **يجب أن تتوافق حركة الشريط مع حركة الرأس زمنيا وبدقة تصل إلى ٠,١ من الميكروثانية** (أو ٠,١٥ ميكرون) . . ولهذا السبب تتحدد سرعة الشريط بواسطة تذبذب التحكم المتصل بسرعة رأس التسجيل ، والمسجل على الشريط مع الصورة . . كذلك تتحدد سرعة دوران الرؤوس **بالتوافق التزامني** لإشارات الفيديو .

أيضاً توجد أجهزة تحكم اليكترونية إضافية مهمتها تصحيح أية أخطاء قد يسببها وضع رؤوس التسجيل بالنسبة لعلاقة كل منها بالأخرى .

الجدير بالذكر أن تشغيل اشارات الفيديو الملون تحتاج لمستوى عظيم من الدقة ربما يزيد مائة مرة عن الدقة اللازمة لتشغيل تسجيل لاشارات صورة أحادية اللون (غير ملونة) . . . ذلك أن إشارة التسجيل الصوتي (المصاحب للصورة) يسجل على حافة يبلغ عرضها ١ مم من شريط التسجيل ، كما تتوافق إشارات الصوت والصورة زمنياً .

مجالات استعمال الفيديو

نظراً لكفاءة أجهزة الفيديو وقدرتها على إعادة عرض المواد المسجلة ، فقد انتشر استعمالها . . ليس في تسجيل المواد التليفزيونية وإذاعتها وحسب ، بل أيضاً في الأغراض الصناعية والتربوية . . إلى جانب اهتمامات هواة التسجيل بالمنازل .

لهذه الأغراض جميعاً تم انتاج أجهزة بسيطة ذات رأس تسجيل واحد ، حيث إن الحاجة الى مقاييس الدقة ، في هذه المجالات ، أقل من غيرها .

وغني عن القول ان جهاز الفيديو يمكن توصيله بجهاز التليفزيون سواء للتسجيل أو لاذاعة المادة المسجلة وعرضها على التليفزيون .

رياض
جدة
ظهران

لندن — جنيف — باريس — امستردام — روما — فرانكفورت — تونس — الجزائر — بيروت — طرابلس — اسطنبول — القاهرة — دبي — عمان — دمشق — بغداد — أبوظبي — بومباي — البحرين — كويت — كراتشي

لقد أنجز في جدة مصنع تحلية مياه ينتج كل يوم ٥ ملايين جالون من الماء العذب. كما أنه قد افتتحت في الرياض والظهران مرافق جامعية جديدة، وقامت صناعات وطنية في مجالات مواد البناء، والصناعات الغذائية والصناعات الكيماوية والسلع الاستهلاكية.

وبديهي أن الخطوط الجوية العربية السعودية كان لها دور هام تؤديه الا وهو تيسير نقل الفنيين والموظفين والمواد الأولية من كافة انحاء العالم. ولما تنامى حجم الطلب استجابت الخطوط السعودية للتحدي، فكان أن زادت عدد رحلاتها وعدد الاتجاهات وعدد الطائرات.

ونحن اليوم نغطي ٥٦ بلداً في قارات ثلاث بأسطول جوي تعداده ٥٢ طائرة من أفضل الطائرات العاملة دولياً (ترايستار بوينغ ٧٤٧س - ٧٠٧ الخ ...)

والخطوط السعودية تواكب ركب النمو ناشرة رحلاتها في اقاصي بلاد العالم.



السعودية
الخطوط الجوية العربية السعودية

مفتاحك إلى قلب الشرق الأوسط

نعلم الكاتب الأمريكي : وليام ساروبان
ترجمة وتقديم : د. محمد زكريا عناني









أشجار الرمان

●● يعد وليم سارويان واحدا من ألمع أعلام الأدب الأمريكي المعاصر .. ومن النقاد من يضعه في منزلة تعادل منزلة سنكلير لويس وارنست هيمنجواي وجون شتاينبك ووليم فوكنر ، وإن كان يختلف عن هؤلاء اختلافا جوهريا فيما يتصل بالموضوعات والأساليب الفنية .

ولد سارويان في مدينة صغيرة من مدن ولاية كاليفورنيا تدعى (فرستو) سنة ١٩٠٨م ، وينحدر من أبوين هاجرا من أرمينيه للولايات المتحدة قبيل ميلاده بفترة وجيزة ، واستقرا فيها مع جمع من أقربائهما ، وكونوا مع غيرهم من المهاجرين الأرمن جالية كبيرة العدد ، ظلت لفترة من الزمن تحتفظ بلغتها وتقاليدها ، وتعيش حياة تشبه نمط الحياة في الموطن القديم على نحو يذكر بما كان عليه جيل المهاجرين العرب في الأمريكيتين .

وقدر لسارويان أن يفقد أباه وهو في الثانية من عمره ، ومن ثم ألحقوه بمؤسسة للأيتام ، بقي فيها نحو خمس سنوات ، وتمكنت أمه من الحصول على عمل في أحد مصانع تعليب الأطعمة ، مما أتاح له ولإخوته أن يجدوا لهم مأوى فتمكن من الالتحاق بالمدرسة ، حيث بقي فيها حتى بلغ من العمر خمسة عشر عاما ، وكان في أثناء ذلك يقوم بالعديد من المهن ، فاحترف بيع الصحف وهو في الثامنة ، وعمل في قطف العنب ، وفي سن الثالثة عشر عين موزعا للبرقيات ، وبدأ يولع بالقراءة في هذه المرحلة المبكرة ، وتطلع لأن يكون كاتبا ، وكان يقرأ كل ما يقع تحت يديه ، ويسعى لأن يثقف نفسه بنفسه ، وهيأت له هذه القراءات - فضلا عن موهبته الفطرية - السبيل للعمل في الصحافة ، وبدأت بعض المجلات الأدبية تنشر قصصه ولما يكن قد تجاوز سن السابعة عشر .

وفي سنة ١٩٣٤م وكان قد بلغ السادسة والعشرين ، طبعت مجموعته القصصية الأولى وكانت تحمل عنوان THE DARIN YOUNG MAN ON THE FLYING TRAPEZE « الشاب الجريء فوق أرجوحة السيرك المعلقة » ، وطبعت له في نفس السنة مجموعتان أخريان ، ثم تتابع ظهور مجموعاته القصصية ، ومن أشهرها « الطفل الصغير » LITTLE CHILDREN (١٩٣٧م) ، « يا حب ، هاك قبعتي » (١٩٣٨م) ، « السلام ، شيء رائع » PEACE, IT'S WONDERFUL وظهرت في السنة التالية مجموعته الشهيرة « اسمي آرام » MY NAME IS ARAM التي تضم قصة « أشجار الرمان » التي نقدمها هنا للقارىء .

أما في مجال المسرح ، فإننا نجد له العديد من الأعمال الشهيرة وقد ظهرت أولى هذه الأعمال سنة ١٩٣٩م بعنوان «قلبي في الأعالي» MY HEART'S IN THE HIGHLAND ، وتضم هذه المجموعة كذلك مسرحية «أغنية حب قديمة جميلة» ، ومسرحية «أيام حياتك» وهذه الأخيرة لاقت شهرة فائقة وترجمت إلى العديد من اللغات كما منح من أجلها جائزة «البوليتزر» وهي من أهم الجوائز الأدبية في العالم . (وان كان ساورويان رفض استلام الجائزة وصرح بأنه يكتب للفن من أجل الفن . ولا يريد أن يخضع لأي اعتبارات أخرى غير الفن) . وظهرت لساورويان سنة ١٩٤١م مجموعة مسرحيات بعنوان «الناس الحلوين» THE BEAUTIFUL PEOPLE ، ثم مجموعة ثالثة ـ ظهرت بدورها سنة ١٩٤١م ـ وتحمل هذا العنوان الغريب «رازل دازل» RAZZLE DAZZLE ، وله فضلا عن ذلك أعمال مسرحية أخرى منها «بطل العالم» THE HERO OF THE WORLD ، و «شيء عن جندي» SOMETHING ABOUT A SOLDIER .

وكتب ساورويان كذلك في مجال الرواية والسيرة الذاتية ، وقد نالت أولى رواياته التي ظهرت سنة ١٩٤٣م تحت عنوان «الملهاة الانسانية» شهرة مدوية ، وقد استدعي ساورويان عقب ظهورها لأداء الخدمة العسكرية حيث قضى ثلاث سنوات ، وعلى أثر عودته للحياة المدنية سنة ١٩٤٦م طبعت له رواية من أهم أعماله وهي «مغامرات ويزلي جاكسون» THE ADVENTURES OF WESLEY ، ثم تتابعت رواياته ومن أشهرها «روك واجرام» وظهرت سنة ١٩٥٠م ROCK WAGRAM ، «أمي ، اني احبك» MAMA I LOVE YOU ، وظهرت سنة ١٩٥٦م ، «أبي أنت أحمق» PAPA, YOU'RE CRAZY وطبعت سنة ١٩٥٧م ، «هنا يأتي ، هناك يذهب ، وأنت تعرف من يكون» HERE COMES, THERE GOES, YOU KNOW WHO وظهرت سنة ١٩٦١م الخ ...

ولعل القارىء لاحظ غرابة بعض عناوين مؤلفات وليم ساورويان ، وهناك مؤلفات أخرى له ذات أشكال غير مألوفة مثل «أيام الحياة والموت والهرب للقمر» (لندن ١٩٧١م) DAYS OF LIFE AND DEATH AND ESCAPE TO THE MOON ومثل «لا تذهب ، فإن كنت مصرا فقل سلاما للجميع» ـ ١٩٧٠ـ DON'T GO, BUT IF YOU MUST SAY HELLO TO EVERYBODY ، ومثل «اعتدت أن أعتقد بأني كنت أملك للأبد أما الآن ، فاني لم أعد واثقا» I USED TO BELIEVE I HAD FOR EVER NOW I'M NOT SO SURE .

والحق إن أعمال ساورويان مفعمة بالطرافة والحيوية والخروج على المألوف ، وهي ـ في هذا الصدد ـ تنتسب على نحو أو آخر إلى مدرسة مارك توين وبرنارد شو ، وفي هذه الآثار تمتزج الأحاسيس الانسانية بلون من اللامبالاة والشاعرية والميل للدعابة والسخرية .

ومما يميز ساورويان كذلك عدم المبالاة بالقوالب الفنية المقررة وباللغة المصقولة المتكلفة . إن كل شيء عنده تلقائي بسيط واضح (الموضوع واللغة والمعالجة) ، وهو يعتمد أساسا فيما يكتب على استلهام حياته الشخصية وحياة أعمامه وأقربائه (ممن يطلق عليهم اسم «القبيلة») وبقية الجالية الأرمنية وكل من عرفهم أو سمع عنهم وعلى حكاية كل ما مر به من مواقف ، خاصة في فترة طفولته ، وعلى ما سمع من أخبار ونكات وثرثرة) .

ولا يوجد عنده موضوع بعينه للعمل الأدبي ، فكل ما يجري في الحياة صالح لأن يتحول إلى قصة أو مقالة ، فساعة من الزمن لم يحدث فيها شيء تصلح موضوعا لحكاية ، وما يريد أن يقوله معروف للناس من قبل ، فساورويان أديب بلا فلسفة إن صح التعبير ، وهو لا يسعى بالمرة لأن يقدم حلولا للواقع ، ويكتفي بأن يضع أمامنا مرآة ترينا أنفسنا ويتيح لنا لحظات نتعرف فيها على سمات أناس آخرين يتميزون بالبساطة والطيبة ، ومن خلال ذلك كله يتهيأ للقارىء أن يثوب لوجدانه ، ويسعى لتجاوز الألم ويكون أكثر اقترابا من بارىء الكون ومن الناس والطبيعة .

وبعض أعمال ساورويان مترجم للعربية ، مثل «أيام حياتك» ترجمها د . عبد القادر القط (القاهرة ١٩٥٨م) ، «الكوميديا الانسانية» ترجمة بدر الديب (القاهرة ١٩٥٩م) ، «أمي أحبك» وترجمتها جاذبية صدقي (١٩٥٨م) ، «سكان الكهف» ترجمها نور الدين مصطفى (١٩٦٢م) ، «مواهب لأرام» ترجمة إبراهيم الصيرفي (١٩٦٦م) ، كما تضم مجموعة اليوم الثالث بعد عيد الميلاد ترجمة ثريا حمدي ثلاثة نصوص لساورويان هي «اليوم الثالث . .» و «العودة للبيت» و «أعظم بلد في العالم» ●●



كان عمي ميليك ، في واقع الأمر ، أسوأ مزارع في الوجود ، وكانت متاعبه بسبب اسرافه في الخيال والشاعرية ، انه لم يكن يبغي سوى الجمال ، وقد أراد أن يغرسه وأن يراه ينمو وأنا بنفسي زرعت له أكثر من مائة شجرة من أشجار الرمان ، وكان ذلك منذ سنوات خلت من أيام ذلك الزمن الجميل القديم المفعم بالشعر والصبا ، كما قمت بقيادة الجرار من طراز جون دير ، وكذلك استهوته فكرة أن يزرع الأشجار وأن يراها وهي تنمو ولكن تلك الأشجار بسبب الأرض ، فقد كانت صحراوية جافة . هنالك أشار عمي إلى مساحة الستمائة وثمانين ايكر الصحراوية التي اشتراها ، وقال بأرمينية لم يسمع مثيل لشاعريتها :

— هنا ، فوق هذه الأرض اليباب سيزدهر بستان ، وستنبجس النوافير بالماء العذب ، وستعمر بكل الأشياء الجميلة .

وقد أجبته حينذاك .

● تماماً يا عمي .

كنت الفرد الأول والوحيد من العائلة الذي يرى « الأرض » التي اشتراها عمي ، إذ إنه توسم فيَّ الشاعرية مما يجعلني أقدر « الاندفاعة الرائعة » التي ساقته بعد ذلك إلى خراب رائع هو الآخر .

وكنت أعلم كما يعلم هو ، أن تلك الأرض التي اشتراها أسوأ أنواع الأراضي الصحراوية ، فقد كانت بعيدة عن العمران إلى أبعد ما يمكن للخيال أن يتصور ، في سفوح جبال **سيرا نيفادا** ، وكانت تعج بكل ألوان النباتات الصحراوية ، التي تنمو في مثل هذه المناطق الحارة الجافة فضلاً عن أنها كانت تعج بكلاب البراري والسناجب وضفادع البر ذات الذيل والثعابين وأنواع لا حصر لها من الكائنات الصغيرة المختلفة ، وأما فضاء الأرض فانه لم يشهد سوى الصقور والنسور والجوارح ، لقد كانت منطقة تتمثل فيها العزلة والخواء والصدق والكبرياء ، كانت فطرية إلى أقصى مدى في كبريائها وجفافها وتفردها واثارتها للجمال . في وسط هذه الأرض هبطنا من السيارة « الجيب » أنا وعمي ، وبدأنا نجوس خلال تربتها الجافة وسمعته يقول :

— هذه الأرض ملكي أنا .

ومضى في أناة ، وخطواته تدب في التراب الجاف ، وتلوى على مقربة من قدميه شيء جعله يجفل ، وشدد قبضته على كتفي ، وهو يقول في وقار :

— ما هذا الحيوان ؟



● أتعني هذه السحلية الصغيرة ؟

— هذا الذي يبدو كفأر له قرن . ما هو ؟

● لا أعلم ما يكون على وجه الدقة ولكنا نسميه « الضفدع أم قرن »

وابتعدت السحلية قرابة ثلاثة أقدام ثم أدارت رأسها . وحدق عمي ملياً في الحيوان الصغير ثم قال :

— هل هي سامة ؟

● للأكل . . أم إذا عضتك ؟

— للحالتين .

● لا أعتقد أنها صالحة للأكل ، ولكن لا أظن أنها سامة ، فقد أمسكت بالكثير منها قبلاً ، إنها تبدو حزينة إذا حبست ، ولكنها لا تعض أبداً هل أمسك بها ؟

قال : افعل من فضلك .

وتسللت تجاه « أم قرن » حتى أمسكتها بيدي بينما عمي يحدق فيَّ ، ثم قال :

— احترس . هل أنت واثق من أنها غير سامة ؟

● لقد أمسكت بالكثير منها قبلاً .

ومضيت بها إليه ، وحاول هو ألا يبدو خائفاً ، ولكن صوته كان مضطرباً وهو يقول :

— إنها شيء جميل صغير ، أليس كذلك ؟

● قلت : هل تحب أن تمسك بها ؟

— أجاب : لا ، فلتبقها معك ، فأنا لم أكن قط على مقربة من شيء كهذا قبلا . . إني أرى الآن عينيها ، وأعتقد أنها بدورها ترانا .

● أعتقد كذلك ، انها تنظر إليك الآن .

وأدام عمي التحديق في عيني السحلية ، وظلا لنصف دقيقة يتبادلان النظرات في ثبات إلى أن أدارت رأسها ، فسمعته يتنهد بارتياح وقال :

— إن ألفاً من هذه كفيلة بأن تقتل إنساناً فيما أظن .

● إنها لا تتنقل في جماعات كبيرة ويندر أن ترى أكثر من واحدة في وقت واحد .

— لعل واحدة كبيرة منها كفيلة بأن تقتل إنساناً إذا عضته .

أجبت :

● إنها لا تنمو بحجم كبير وهي في الغالب لا تزيد عن حجم تلك التي تراها معي ، إن عينيها لتبدوان مخيفتان بالنسبة لحيوان صغير .

ثم أردف :

— هل أنت واثق من أنها لا تبالي أن يمسك

بها إنسان ؟

● أعتقد أنها تنسى كل شيء بمجرد أن تعود إلى الأرض .

— هل أنت واثق بالفعل من ذلك ؟

● أنا لا أظن أنها تتمتع بذاكرة قوية .

وتطلع عمي بعيداً ، ثم تنهد بعمق وقال :

— ضع هذا الحيوان الصغير على الأرض فلا ينبغي أن نكون قساة إزاء مخلوقات العلي القدير ، وما دام هذا الشيء الصغير الهياب غير سام ، ولا يكبر حجمه عن حجم الفأر ، ولا يتنقل في جماعات كبيرة ولا يملك ذاكرة قوية ، فلندعه يرجع إلى الأرض ولنكن رحماء بهذه الكائنات الصغيرة التي تحيا معنا على الأرض .

● أمرك يا عمي ... (وانحنيت لاطلاق سراحها)

— ضعها برفق ، ولا تسبب أذى لهذا الكائن الذي يسكن أرضي . وتلوت السحلية على الأرض مبتعدة عنا .

قلت :

● هذه الأشياء الصغيرة عاشت على مثل هذه التربة منذ قرون .

— منذ قرون ؟ هل أنت واثق مما تقول ؟

● لست واثقاً تماماً ، ولكن ربما كان الأمر كذلك ، وهي على كل حال لا تزال تعيش على هذه الأرض .

وأدار بصره فيما حوله ، متطلعاً إلى الصبار ونباتات الصحراء التي تكسو الأرض على مدى البصر ثم قال :

— على أي شيء كانت تتغذى طيلة هذا الزمن ؟

● لا أدري .

— ماذا ترجح أنها كانت تأكل ؟

● الحشرات فيما أظن .

— حشرات ؟ أي نوع من الحشرات ؟

قلت :

● الحشرات الصغيرة معظمها متشابه ، وأنا لا أعرف أسماءها ، ولكني أستطيع أن أستفسر عن ذلك في المدرسة غداً .

● ● ●

واستمر طوافنا على الأرض الجافة حتى أفضى بنا السير إلى رقعة بها بعض جحور فانتصب عمي وصاح :

— ماذا الذي يعيش في هذه الجحور ؟

● كلاب البراري .

— ما شكلها ؟

قلت :

● أشبه ما تكون بالفئران وهي تنتمي لعائلة القوارض .

— وماذا تفعل هذه الأشياء على أرضي ؟

● إنها لا تعرف ذلك ، إذ إنها كانت تعيش هنا منذ زمن طويل .

وسمعته يقول :

— أنا لا أظن أن هذه السحلية التقت عيناها بعيني إنسان من قبل .

● ربما كان الأمر كذلك بالفعل .

— أتظن اني أزعجتها في شيء ؟

● لا أعرف على وجه اليقين .

قال :

— لو كان ذلك قد حدث فإنه يكون على الرغم مني . وأردف : إني أعتزم بناء بيت هنا في يوم ما .

● هذا شيء لم أعرفه من قبل .

— سأبني بيتاً فاخراً هنا .

● ألا ترى أنه سيكون بعيداً عن العمران ؟

— إن المدينة على بعد ساعة واحدة .

● هذا إذا سرت بسرعة خمسين ميلاً في الساعة .

قال : إنها ليست خمسين ميلاً ، بل سبعة وثلاثين فقط .

● ولكنك ستتعطل بعض الوقت ، بسبب وعورة الطريق .

فعاد يقول : إنني سأبني لي أفخم بيت على ظهر الأرض ، ثم سألني : وماذا يحيا أيضاً هنا ؟

● حوالي ثلاثة أو أربعة أنواع من الثعابين .

— أهي سامة أم لا ؟

● معظمها غير سام ما عدا الثعابين ذات الجرس .

— وهل هذا النوع السام يوجد على أرضي أنا ؟

● إنها تحيا عادة على مثل هذه الأرض .

وسألني : وكم يبلغ عددها ؟

● في الايكر أم في كل الستمائة وثمانين من الايكرات ؟

— في الايكر .

● أستطيع القول على وجه التقريب بأن في الايكر ثلاثة منها .

صاح : ثلاثة في الايكر ؟ وعلى وجه التقريب ؟

● ربما يكون اثنان فقط .

— وكم يكون في كل المساحة ؟

● هيا نحسبها . ستمائة وثمانون ايكر في كل واحد منها اثنان ، حوالي ألف وخمسمائة .

صاح : ألف وخمسمائة ثعبان .

أجبت : أنت تعلم أن مساحة الايكر كبيرة ولا يعد ثعبانان في الايكر نسبة كبيرة ، وهذا يعني أنك لا تراها في العادة .

— وماذا أيضاً علاوة على ذلك من الأشياء السامة ؟

قلت : لا أدري ، ولعل كل الأشياء الأخرى غير خطرة وحتى ذلك النوع السام لا يؤذي إلا إذا دست عليه .

قال : طيب ، دعنا نتابع سيرنا وراقب موضع خطاك جيداً ولو رأيت هذا النوع السام فحذاري أن تدوس عليه ، فلا أريد أن تموت وعمرك احد عشر عاماً .

قلت : نعم سأنتبه جيداً .

ورجعنا أدراجنا متجهين نحو « الجيب » دون أن أرى أي ثعبان . . وركبنا السيارة ، وعندئذ قال عمي وهو يشعل سيجارة :

— لقد انتويت أن أحول هذه الأرض اليباب إلى بستان ! !

● طيب .

— أنا أعلم أين تكمن متاعبي وأعرف كيف أذللها .

● كيف ؟

— أتعني السحالي والثعابين ذات الأجراس ؟

● أنا أعني المتاعب .

— أول ما سأفعله أن أستأجر بعض المكسيكيين وأوجههم للعمل .

● لأي غرض ؟

— لينظفوا الأرض مما عليها ثم أجعلهم يحفرون من أجل الماء .

● أين يحفرون ؟

قال عمي :

— عمودياً لأسفل ، وبعد الوصول إلى الماء سأكلفهم بأن يحرثوا الأرض ثم أزرع بعد ذلك .

● وماذا تنوي أن تزرع ، قمح ؟

— قمح ؟ وماذا أعمل به ؟ إن الرغيف يباع بخمسة سنتات . . إني سأزرع رماناً .

● وكم يدر الرمان ؟

— إن الرمان غير معروف ـ في واقع الأمر ـ بهذه البلاد .

● وهل هذا كل ما تعتزم أن تزرع ؟

قال عمي : إني انتوي زراعة أنواع كثيرة هنا .

قلت : أشجار الخوخ ؟

— حوالي عشر ايكرات .

وسألته : وماذا عن المشمش ؟

قال : المشمش فاكهة مدهشة من كافة الجوانب ، مدهشة في شكلها رائعة في رائحتها وما أجمل نواتها . سأزرع عشرين من الايكرات بالمشمش .

قلت : أرجو الا يلاقي المكسيكيون صعوبات في العثور على الماء . هل يوجد ماء تحت مثل هذه الأرض ؟

أجاب : طبعاً ، ولكن أهم شيء أن نبدأ ، وسألفت نظر العمال للحذر من الثعابين ذات الأجراس .

ثم سمعته يقول : رمان ، خوخ ، مشمش ، وماذا غير ذلك ؟

قلت : تين ؟

— فليكن . . ثلاثون من الايكرات للتين .

● وما رأيك في التوت ؟ إن أشجار التوت رائعة المنظر .

أجاب ، وهو يدير لسانه حول فمه : فلنزرع ثلاثين منها . وأردف : شجرة رائعة ، طالما شاهدتها في الوطن القديم . وماذا أيضاً ؟

— أعتقد أن أشجار الزيتون جميلة كذلك .

● نعم ، إنها تعد من بين أجمل الأشجار فلنزرع عشر ايكرات زيتوناً وماذا غير ذلك ؟

قلت : لا أظن أن أشجار التفاح يمكن أن تنمو على مثل هذه التربة .

— لا اظن ذلك حقاً . إلا أنه أضاف : على كل حال ، أنا لا أحب التفاح . وأدار محرك السيارة وانطلقنا نجوس خلال الأرض الجافة كي نصل للطريق الصلد وقفزت السيارة في اناة حتى وصلنا للطريق ، وعندئذ انطلقت بنا تسابق الريح .

وحين اقتربنا من البيت قال عمي : بقي شيء أرجو أن تنتبه إليه وهو أن تكتم عن العائلة كل ما يتعلق بالمزرعة .

● نعم يا سيدي . ولكني فكرت لحظتها : مزرعة ؟ أية مزرعة ؟

— إني أريد أن أجعل الأمر مفاجأة لهم . أنت تعرف جدتك ولذا سأمضي قدماً في المشروع وحين يتم كل شيء على ما يرام سأقوم باصطحاب العائلة كلها معي ، وأفاجئهم بها .

● تماماً سيدي .

قال : ولا كلمة لجنس مخلوق . وقد أجبته وقتها : أمرك يا سيدي .

وهكذا مضى المكسيكيون في العمل حتى أصلحوا عشرة ايكرات في حوالي شهرين وكانوا سبعة عمال يشتغلون بمناجل وجواريف عادية ولم يكونوا يفهمون شيئاً على الاطلاق ، وكان كل شيء يبدو لهم غريباً ، ولكنهم لم يبدوا تضجراً أبداً فقد كانوا يستلمون أجورهم ، وهذا كل ما كان يعنيهم وكانوا يتكونون من أخوين وأبنائهم .

وذات يوم تقدم الأخ الاكبر ـ وكان يدعى ديجو في أدب جم ـ وسأل عمي :

* سنيور ، معذرة ، ولكن . . لم تكلفنا بأن نجتث الصبار من هذه الأرض ؟

— إني أعتزم تحويلها إلى مزرعة .

واستفهم المكسيكيون الآخرون من ديجو ـ بالمكسيكية ـ عما قال عمي ، وتولى ديجو إخبارهم .

ولم يجدوا أنه من المفيد أن يوضحوا لعمي استحالة ما يريد أن يقوم بتنفيذه واكتفوا بأن استمروا في تقطيع الصبار .

أما الصبار فإنه لم يختف إلا لفترة وجيزة ثم لم تلبث الأرض التي نظفوها أن امتلأت بعد قليل بصبار جديد طازج ، وبأعشاب شديدة الكثافة ، ولاحظ عمي ذلك في ذهول .

وقلت ساعتها لعمي :

● إن الحفر لا بد وأن يكون عميقاً حتى يقضي على جذور الصبار ، كما أن الأرض في حاجة إلى حرث .

وتحدث عمي في المسألة مع ريان الذي يعمل في تجارة الآلات الزراعية ، ونصحه ريان الا يغامر بالاعتماد على الخيول . . إن ما ينبغي أن يفعله هو أن يدفع في هذه الأرض جراراً من نوع جيد يستطيع أن ينهض في يوم واحد بعمل سنة كاملة .

وعلى ذلك اشترى عمي جراراً من طراز (جون دير) وكان رائعاً حقاً . وجاء أحد العمال الذين يشتغلون عند ريان ، فعلم ديجو كيف يقود الجرار ، وعندما ذهبت أنا وعمي للأرض في اليوم التالي طالعنا الجرار وسط القفر ووصل إلينا هديره وهو يدوي في الفضاء الصحراوي الرحب على نحو كئيب . كان الصوت كئيباً حقاً ، ولكن عمي رأى في ذلك شيئاً رائعاً وهتف :

— هذا هو التقدم . . إن العصر الحديث أمامكم ، فمنذ عشرة آلاف سنة كان أكثر من مائة رجل يعملون في أسبوع بأكمله ما عمله الجرار اليوم .

قلت : عشرة آلاف سنة ، إنك تعني الأمس .





— على كل حال لا يوجد شيء يضارع هذه الكماليات العصرية .

● إن الجرار ليس من الأشياء الكمالية .

— ماذا يكون إذن ؟ الا يجلس السائق عليه ؟

أجبت : لأنه لا يستطيع أن يقف بسهولة .

— إن هذه الآلة تمكنك من الجلوس في أي وقت وهذا شيء كمالي . . هل تستطيع أن تصفر ؟

قلت : نعم أي أغنية تحب أن تسمعها ؟

قال : أغنية ؟ أنا لا أريد أن أستمع لأية أغنية ، أنا أريدك أن تصفر للمكسيكي الذي يقود الجرار .

● لماذا ؟

— ليس المهم لماذا يكفي أن تصفر ، فأنا أريده أن يعرف أننا نراقبه وأننا مسرورون بنتيجة عمله ، ولعله سوى عشرين من الايكارات حتى الآن .

ووضعت الوسطى والسبابة من كل يد في فمي ، ونفخت بكل قواي وكانت التصفيرة عالية جداً ، ومع ذلك لم يبد على ديجو أنه سمعها ، وكان هو بعيداً عنا بمسافة كبيرة ، ولكننا مضينا نحوه دون أن أدري في الواقع ما الذي يريده عمي من تصفيري لديجو . وقال :

— عاود التصفير مرة ثانية .

وصفرت مرة أخرى ، ولكن ديجو لم يسمعني .

— أعلى . . .

وفي هذه المرة نفخت بأقوى ما أستطيع حتى إن عمي وضع يديه على اذنيه ، أما أنا فإن حمرة قانية كست وجهي .

وسمعني المكسيكي هذه المرة ، فهدأ السرعة واستدار ثم اتجه نحونا رأساً عبر الحقل .

قلت لعمي : أهذا ما كنت تريد أن يفعل ؟

— ليس لهذا أهمية .

وفي أقل من دقيقة ونصف كان الجرار قد اقترب منا ، وكان الرجل يبدو مبتهجاً ، ومسح الغبار والعرق عن وجهه ، ونزل من الجرار وهو يقول : سنيور ان هذا رائع .

قال عمي : أنا مسرور لأنك أحببته .

وسأله المكسيكي : أتحب أن تركب الجرار ؟

ولم يعرف عمي كيف يجيب ، وتطلع إليه برهة .

قال ديجو : تعال واصعد لجولة قصيرة .

وصعد ديجو على الجرار وساعدني كذلك وجلس على المقعد الحديدي ووقفت خلفه متعلقاً به ، وأخذ الجرار يهتز للحظة ثم قفز قفزة للأمام وانطلق في انسياب على الأرض ، وهو يحدث ضجيجاً عارماً ، ودار المكسيكي في دائرة واسعة ثم رجع بالجرار إلى حيث كان عمي ، فقفزت أرضاً وسمعته يقول للمكسيكي :

— هذا جميل . والآن ، عد إلى عملك .

ورجع المكسيكي بالجرار إلى حيث كان يعمل .

● ● ●

لم يتمكن عمي من الحصول على الماء إلا بعد شهور طويلة ، وقد أجرى الحفر في كل مكان بلا جدوى ، واستعان بمضخة تعمل بالمحرك فلم تفد شيئاً . وجاء اخصائي يدعى « روي » من تكساس مع أخويه الصغيرين ، وبدأوا يفحصون التربة ثم أخبروا عمي بأنهم عثروا على المكان المناسب . واستغرق ذلك ثلاثة أشهر ، وكان الماء قليلاً مليئاً بالوحل ، وأخبر الأخصائي عمي بأن الحال سيتبدل بالتدريج ثم رجع إلى تكساس .

وكان قد تم استصلاح نصف الأرض ووجد الماء ، لذا جاء أوان الزرع وهكذا بدأنا نغرس أشجار الرمان ، وكانت من أجود نوع وأغلاه ، وغرسنا منها حوالي سبعمائة ، وقد زرعت بنفسي نحو مائة شجرة ، وزرع عمي عدداً قليلاً منها ، وهكذا كان لنا بستان رمان على مساحة عشرين من الايكرات ، يقع في حيث لا يعلم أحد إلا الله ، وسط أغرب مظهر من مظاهر القفر الذي لم ير له إنسان مثيلاً . لقد كان منظراً من أكثر المناظر التي يمكن أن يراها الإنسان غرابة وجاذبية ، وقد أولع بها عمي إلى حد الهوس .

ولم يعكر عليه الصفو إلا استهلاك رأس ماله وكان عليه أن يتوقف بدلاً من المضي في محاولة تحويل كل مساحة الستمائة ايكر إلى بستان . وقرر أن يركز كل وقته وطاقته وما بقي لديه من مال في سبيل أشجار الرمان .

وقال لي يومها : هذا بصورة مؤقتة فقط حتى نبيع الرمان ونسترد نقودنا .

قلت : تماماً سيدي .

ولم أكن واثقاً من شيء ، ولكني توقعت أننا لن نحصل على عائد يستحق الذكر من هذه الأشجار العجاف قبل عامين أو ثلاثة على الأقل ، ومع ذلك لم أنطق بحرف واحد واستغنى عمي عن خدمات العمال المكسيكيين ، وعكفنا على العمل في « المزرعة » . وكان لدينا الجرار ومساحة شاسعة من الأرض لذا اعتدنا أن نجوس من حين إلى آخر بالجرار خلال أشجار الرمان لاجتثاث الصبار وتقليب التربة .

واستمر بنا الحال على هذا المنوال لمدة ثلاثة أعوام ، وذات يوم قال عمي :

— سترى في هذه الصحراء أجمل بساتين الدنيا .

ولم تتحسن حال الماء مع الزمن . وكان يحدث أحياناً أن تتدفق منها كمية اكبر من المعتاد فكان ذلك يبعث الغبطة في صدر عمي ، ولكن الماء كان لا يلبث أن يعود في اليوم التالي قليلاً ومشبعاً بالعكارة .

وكافحت أشجار الرمان في استبسال من أجل البقاء ، غير أنها لم تكن تنل من الماء ما يجعلها قادرة على أن تدر شيئاً .

وبدأت البراعم تظهر في خلال عامنا الرابع ، وكان ذلك يعني نصراً عظيما لعمي ، الذي كاد يجن من الفرح عندما رآها ، ومع ذلك فإن البراعم لم تتحول إلى شيء ذي بال ، وكانت في الحق بديعة الجمال أرجوانية فريدة .

وفي هذا العام جنى عمي ثلاث رمانات عجفاوات وقد اكلت أنا واحدة واكل هو الثانية بينا احتفظ بالثالثة على مكتبه .

وفي العام التالي كنت قد بلغت الخامسة عشر عاماً ، وحدثت لي أشياء كثيرة مثيرة ، أعني أني قرأت لكثير من الكتاب المجيدين ، وأصبحت لي قامة كقامة عمي ، وكان أمر « المزرعة » لا يزال سراً بيننا وكانت قد كلفته مالا جسيماً ولكنه ظل يعيش دائماً تحت تأثير فكرة أنه سرعان ما سيبيع الرمان ، ويسترد كل أمواله ليمضي بعد ذلك قدماً في تنفيذ مشروع حديقة الصحراء .

ولم يكن حال الأشجار على ما يرام فإن نموها كان ضئيلاً لا يكاد يلحظ ، ولم يلبث أن دب الذبول والموات في عدد منها .

وقال عمي : هذا هو المعدل المعتاد . عشرون شجرة في الايكر والأفضل ألا نزرع أشجاراً جديدة الآن ، ولنؤجل ذلك لوقت لاحق .

وكان لا يزال يدفع كذلك للأرض .

وفي العام التالي كان المحصول حوالي مائتي رمانة جمعناها سوياً ، وكانت رمانات بائسة المنظر للغاية وقمنا بتغليفها بصناديق جميلة المنظر ، وتولى عمي إرسالها إلى تاجر جملة في **شيكاغو** وبلغت أحد عشر صندوقاً .

ومضى شهر بأكمله دون أن يتلقى رداً ، وعلى ذلك أجرى عمي في إحدى الليالي مكالمة تليفونية طويلة مع تاجر الجملة ، وكان يدعى **اوغسطينو** ، وأخبره هذا أنه لم يجد حتى الآن من يرغب في شراء الرمان .

وهتف عمي في التليفون : وكم طلبت في الصندوق ؟

★ دولاراً واحداً .



وصرخ عمي : هذا لا يكفي . أنا لن آخذ في الصندوق أقل من خمسة دولارات . . ورد عليه اوغسطينو صائحاً : لا يوجد من يرغب في شراء الصندوق بدولار واحد .

وصاح عمي : ما السبب ؟

★ لأنهم لا يعرفون ما تكون .

— أي رجل أعمال أنت ؟ إنها رمان وأنا أريد في الصندوق خمسة دولارات .

★ أنا لا أستطيع أن أبيعها وقد ذقت واحدة منها بنفسي ولم أجد فيها ما يستحق الاعجاب .

صاح عمي : أنت أحمق . . لا توجد فاكهة في الدنيا مثل الرمان . . إن خمسة دولارات في الصندوق ليست بالسعر الكافي بالنسبة لها .

★ وما الذي أملك أن أفعله أنا بها ؟ أنا لا أستطيع تسويقها ولا أريدها عندي .

همس عمي عندئذ : أهكذا . . فلتعد شحنها إلي . . فلتعدها بالارسال السريع .

وكلفت المكالمة عمي حوالي سبعة عشر دولاراً . . ورجعت الصناديق الأحد عشر . . وقدأكلت أنا وعمي معظم الرمان .

ولم يستطع عمي في العام التالي أن يقوم بسداد أي أقساط أخرى من ثمن الأرض ، ومن ثم اضطر أن يعيد أوراق ملكيتها للرجل الذي باعه إياها . . وكنت معهما في المكتب ذلك اليوم .

قال عمي : يا سيد جريفيت إني مضطر أن أعيد أرضك لك غير أني أطمع في أن تسدي إلي خدمة صغيرة ، لقد زرعت عشرين ايكرا منها بأشجار الرمان ، وسأكون ممتناً للغاية لو أذنت لي أن أرعى هذه الأشجار .

★ ترعى هذه الأشجار ؟ ولكن لم ؟

وحاول عمي أن يشرح الأمر ولكنه لم يستطع ، كان من العسير أن يفسر المسألة لإنسان عديم الود . . وهكذا فقد عمي الأرض والأشجار معاً .

● ● ●

بعد ثلاثة أعوام قمنا بزيارة للمنطقة ومشينا خلال أطلال بستان الرمان . كانت كل الأشجار قد اعتراها الموات ، وعادت الأرض تغص بالصبار وأعشاب الصحراء ، وكان كل شيء يبدو كما كان من قبل في غابر السنين .

وتابعنا المسير برهة من الزمن خلال البستان ، ثم عدنا أدراجنا للسيارة وانطلقنا بها راجعين للمدينة .

ولم ننبس بحرف واحد طيلة الطريق ، لأن أشياء كثيرة كانت في نفسينا ولم تكن هناك أية لغة تستطيع أن تعبر عنها .

دائرة المعارف

دينية

أ

الامامة :

الله يصطفي من الملائكة رسلاً ومن الناس ، ولما كانت « **الامامة** » هي الدعامة التي تقوم عليها **الدعوة الاسلامية** ، فإن الله أعد للأمة أئمتها ، يقودونها ويدافعون عنها ويتحملون مسؤولية الحرب والسلم ودفع الناس إلى الهداية والنجاح . ومن **أهم صفات الامام** أن يكون قوياً عالماً ﴿ **إن الله اصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم** ﴾ (البقرة ٢٤٧) ، وعليه أن ينزل على رأي الجماعة ويشاورهم في الأمر ، **ولعمر** قولة مشهورة عندما قال له أحدهم : « اتق الله يا عمر » وزجره الزاجرون . قال خليفة رسول الله عليه أفضل الصلاة والسلام : « **لا خير في إن لم أسمعها ولا خير فيكم إن لم تقولوها** » . نعم لا خير فينا إن لم نقلها ولا خير فيهم إن لم يسمعوها .

ب

البلاء :

هو الاختبار - يختبرنا الحق تعالى بالضُرّ كما يختبرنا بالخير وقال ﴿ **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين** ﴾ (محمد ٣١) والصبر على البلاء من سمات المؤمنين ، فإنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ، والصبر على الصبر معروف فهو من شيمة العظماء ، ولكن كيف يصبر المؤمن على الخير؟ أقول ، بألا ينسى حق الله تعالى فيما أعطاه ، فيعطي السائل المحروم والمسكين وابن السبيل ، فيدوم الخير بدوام العطاء ولا نكون كقارون خدعه الخير عن نفسه فبغى وطغى ﴿ **فخسفنا به وبداره الأرض فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين** ﴾ (القصص ٨١) .

ت

التيمم :

الدين يسر لا عُسر فيه ، فمن لم يجد ماءً يتوضأ به فليتيمم ، قال تعالى ﴿ **. . . أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا فامسحوا بوجوهكم وأيديكم إن الله كان عفوا غفورا** ﴾ (النساء ٤٣) ، وحين تريد ذلك عليك أن تخبط بيديك على التراب الجاف ثم تمسح بالوجه واليدين ، فإن لم تجد فلتمعكهما في حائط أو ما شابه ذلك ، فعن **البخاري** أن شُعْبه ضرب بيديه الأرض ثم أدناهما ثم مسح وجهه وكفيه (**كتاب التيمم**) ، كما لو كنت جنباً وخفت على نفسك الموت أو المرض أو العطش فتيمم ، ويذكر أن **عمرو بن العاص** أجنب في ليلة باردة فتيمم وتلا قوله تعالى ﴿ **لا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما** ﴾ فذكر للنبي ﷺ ذلك ، فلم يعُنّف (كتاب التيمم - صحيح البخاري) .

ث

الثواب :

هو الأجر والجزاء من الله تعالى يخص به المؤمنين الصالحين ، والله ذو الفضل العظيم ، وعلى قدر ما يقوم به الإنسان من عمل يثيبه الله ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً ، والثواب نقيض العذاب والعقاب ، والثواب ثوابان ، **ثواب الدنيا وثواب الآخرة** ، وثواب الآخرة خير وأبقى ، أما في الدنيا فالإنسان يثاب على عمله الصالح بالصحة الموفورة حيث يترصدنا المرض ، وبالإيمان العميق فلا يمزقنا القلق ، وبالبنين الصالحين فلا يتوزعهم الشيطان ، وبالزوجة الصالحة فلا يزغ قلبها ، ثم يأتي المال من منبع خيرّ ليصب في مصب خيرّ ، وتنتهي الحياة ، فينتقل المؤمن من ثواب إلى ثواب ، من جنة الأرض إلى جنة الخلد ، ألم يقل الله تعالى ﴿ **فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة** ﴾ صدق الله العظيم (آل عمران ١٤٨) .

ج

الجنابة :

وهي من جنب الشيء وتجنبه أي ابتعد عنه ، وأنت أخي المسلم تكون جنباً في حالين ، **إن جامعت أو احتلمت ، فعليك أن تغتسل** . والنهي عن العبادات للجنب قياساً على نهي الصلاة وذلك في قوله تعالى ﴿ **يأيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون ولا جنبا إلا عابري سبيل حتى تغتسلوا** ،

وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا ﴾ (النساء ٤٣) . وإذا كنت في حال جنابة في الليل فلا ترقد قبل أن تتوضأ ، **سأل عمر بن الخطاب رسول الله : أيرقد أحدنا وهو جنب ؟ قال : « نعم ، إذا توضأ أحدكم فليرقد وهو جنب »** (صحيح البخاري كتاب الغسل) .



الحرام :

كل ما حرم الله على الناس هو حرام . فقد **حرم الخبائث وأحل الطيبات ، وحرم الزنا وأحل الزواج ، وحرم الربا وأحل البيع ، وحرم الفواحش ، كل الفواحش ﴿** ما ظهر منها وما بطن ﴾ (الاعراف ٣٣) . والمسجد الحرام هو بيت وضع للناس في الأرض وكل من وقع في حدوده فهو آمن ، ويقع الإنسان في الحرام لأنه لم يعمل عقله في كيفية استغلال الحلال فتغشى بصيرته ويزيغ بصره فتراه متصوراً في الحرام عيشاً أرغد وحالا أوفر ، فيكذب وينافق بل ويقتل ليستفيد من الحرام ، فيخرج من دائرة الاتزان إلى فضاء الجشع فيفقد الأمن النفسي فيجرفه التيار إلى حفرة من نار ويكون من الخاسرين ، والحلال بيِّن والحرام بيِّن ، واسأل قلبك فما تلجلج فيه دعه فإنه حرام .



الخشوع :

روح العبادات في الإسلام **الخشوع** ، وفلاح المسلم في خشوعه في عبادته ، وهو يتمثل في مهابة الله سبحانه وتعالى ، وبذلك يجازي الله الخاشعين خيراً فيقول **﴿ قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون ﴾** (المؤمنون ١-٢) . والخشوع يعني الخوف والرهبة من الله سبحانه وتعالى **﴿ ولمن خاف مقام ربه جنتان ﴾** (الرحمن ٤٦) . والخشوع الصادق لله جل وعلا يريح الإنسان من الخشوع الكاذب لذوي الجاه من البشر ، لأن القلب الذي امتلأ بحب الله والخشوع له لا مكان فيه للخوف من إنسان أو التزلف له ، وليس معنى عدم الخوف هنا الخروج عن الآداب المرعية والسلوك القويم ، فاجعل حبك للناس في الله وحدوده ، وغضبك من الناس لله وحدوده ، أما خشوعك فلله ولله وحده .



الدعوة :

دعانا الرسول إلى الإسلام فاستجبنا والحمد لله **﴿ يأيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم ﴾** والدعوة إلى الاسلام هي دعوة إلى الحياة ، وكل منا داع إما إلى الخير وإما إلى الشر ، وأنت في عملك الصالح أعظم داع إلى صواب هذا العمل فيقلدك الناس ، ولك بهذا ثوابك ، وإذا انحرفت فأنت داعية للسوء ولك عقابك وبئس المهاد ، وكلما كثر مقلدوك في الخير كثر ثوابك ، وفي الشر كذلك ، وإذا دعوت فاجعل سلوكك مصداقاً لقولك ، وإذا أردت أن يزداد مريدوك فاقنعهم بنفسك أولا ، وإذا وجهت لهم نصيحة فكن رفيقاً بهم حليماً معهم مقدراً لعقولهم ونزواتهم وضعفهم ، واتسم بسعة الصدر والصبر والعلم مع الورع ، ودعك من الجدل والخصام والهجوم على المخالفين مع العناد ، فمن ليس معك ليس بالضرورة أن يكون عليك ، واجعل الرسول أسوتك تكن أعظم الداعين ، بسم الله الرحمن الرحيم **﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا ﴾** (الاحزاب ٢١) . ألا ترجو الله واليوم الآخر . لا أظنك تبغي غير ذلك .



الذكر :

اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك ، وذكر الله تسبيحه وتحميده **﴿ فاذكروني أذكركم واشكروا لي ولا تكفرون ﴾** (البقرة ١٥٢) ، وذكر الله تذكره والخوف منه للرجوع عن المعصية **﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله ﴾** (آل عمران ١٣٥) ، وذكر الله أن تنصح في الله وتدعو إليه **﴿ فذكر بالقرآن من يخاف وعيد ﴾** (ق ٤٥) وذكر الله كتاب الله **﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾** (الحجر ٩) . وذكر الله الصلاة **﴿ إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني وأقم الصلاة لذكري ﴾** (طه ١٤) ، وقد أعد الله للذاكرين أجراً حسناً وثواباً عظيماً .



الرجم :

هو حكم شرعي لم يرد فيه نص كتاب إنما نفذه **الرسول** ﷺ فيمن ارتكب جريمة الزنا وكان مُحْصَناً . والحكمة من رجم المحصنين وجلد غير المحصنين ، أن دوافع الشاب إلى الخطيئة أقوى من دوافعها عند المتزوج ، فلزم التفاوت في العقاب ، **الشاب يجلد والمتزوج يرجم** ، وقد رأى **الشافعي** أن يحفر حفرة للزاني ويدفن فيها إلى وسط الجسم ويجتمع بعض المسلمين ويقومون بالقائه بالحجارة جزاء لما ارتكب من الاثم في حق الله وفي حق مجتمعه وفي حق نفسه ، **﴿ وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا . اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ﴾** صدق الله العظيم .



الزكاة :

وهي **ركن من أركان الاسلام الخمسة** ، والحكمة من فرضها أن

يحس الإنسان المسلم بأخيه المسلم «**إنما المسلمون إخوة**» ، وهي انفاق في سبيل الله يخرجها الإنسان طوعاً وحباً في الله وفي مرضاته وطلباً لأجره ، وهي تطهير للنفوس ، قال تعالى ﴿ **ذلكم أزكى لكم وأطهر والله يعلم وأنتم لا تعلمون** ﴾ (البقرة ٢٣٢) . **والزكاة تجب على القادر على أدائها طالما أن في ماله شيئا زائدا عن حاجته ، ولها شروط ومواقيت وأحكام وثواب** ، وثوابها الأعظم تطهيرها لنفوسنا وإعلاؤها من شأن الترابط والتكافل الاجتماعي بيننا ، إنها عطاء بإسماح وخروج من دائرة الذاتية المغلقة إلى فضاء الغيرية الرحب .

س

السهو :

«**إذا شك أحدكم في صلاته فلم يدر كم صلى ، ثلاثا أم أربعا ، فليطرح الشك وليبن على ما استيقن ثم يسجد سجدتين قبل أن يسلم**» (الصحيحان) ، فحاول في صلاتك أن يكون وجهك لله ، وقلبك مع الله ، أما إذا شغلتك الدنيا بمشاغلها وأنت تصلي ، فافعل ما أمرنا به الرسول ﷺ ، والسهو تقصير ﴿ **الذين هم عن صلاتهم ساهون** ﴾ (الماعون ٥) ، وهو دلالة على أنك جعلت صلاتك سجدات وركعات وآيات ترددها بلا وعي ، وأنت بين يدي الله ، أبعدَ هذا استخفاف ؟ ثم تضيق الضائقة فتهرع إليه سبحانه راجياً الفرج متمنياً العفو . وأنت ما أحسنت حتى أن تصلي صلاة سليمة لا تستغرق أكثر من عشر دقائق ، لا عليك فقد كتب الله على نفسه الرحمة فابدأ من جديد .

ش

الشورى :

كان **الرسول** ﷺ يشاور أصحابه في الأمر ، أكان هذا عن عجز ؟ لا ، أراد أن يعلمهم **أن الاسلام يقوم على مبدأ العدل والشورى والمساواة والعلاقة الوطيدة بين الحاكم والمحكوم** ﴿ فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر ﴾ (آل عمران ١٥٩) . وحين تكون الشورى ركيزة من ركائز حياتنا الاجتماعية بل الفردية ، فنحن إلى النجاح سائرون ، يعلمنا الله أن نتشاور في كل شيء وبخاصة في تلك الأمور الحاسمة التي تغير حياة وتعدل أوضاعاً ، قال تعالى ﴿ **فإن أرادا فصالا عن تراض منهما وتشاور فلا جناح عليهما** ﴾ (البقرة ٢٣٣) . وحين أراد الله تعالى أن يمدح المسلمين وفعالهم قال فيهم ﴿ **وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون** ﴾ (الشورى ٣٨) . أما العسف والقهر فإنه عمل غير صالح .

ص

الصلاة :

قال تعالى ﴿ **واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة إلا على الخاشعين** ﴾ (البقرة ٤٥) ، وهي من أقدس فرائض الإسلام بعد الشهادة مباشرة ، وأول ما يسأل عنه المرء يوم القيامة ، فإن صلحت صلح وإن ردت خسر الخسران المبين . **والصلاة من أقدم العبادات** أمر الله بها بني إسرائيل بقوله ﴿ **وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين** ﴾ (البقرة ٤٣) ، ولا خير في صلاة لا تنهى عن الفحشاء والمنكر ، فالدين كلٌ متكامل الصلاة والزكاة والصوم والحج في الاستطاعة عدة وجوه لعملة واحدة ، أركان لبناء واحد ، ولا يستقيم بناء الدين في الدنيا وركن من أركانه منقوص ، وأخطر ما استباحه المسلم لنفسه أن يصوم ولا يصلي ، أو يصلي ولا يزكي على أن الله يكافئنا على كل شيء لوحده ، مع أن الصلاة تنهانا عن الفحشاء والمنكر ، ومن المنكر الا نصوم أو لا نزكي أو لا نحج إذ استطعنا إلى ذلك سبيلاً ، الدين يكمل بعضه بعضاً فلا تقطعوه .

ض

الضحى :

الضحى من ارتفاع الشمس بقدر ملحوظ إلى أن ترتفع ويشتد الحر ، **وصلاة الضحى** مسنون عليها من الرسول ﷺ لما لها من فضل ، **وعدد ركعاتها ليس محدودا وإنما أقلها ركعتين وأكثرها ثمان** ، وهي صلاة من باب التطوع ﴿ **فمن تطوع خيرا فهو خير له** ﴾ مثلها في ذلك صلاة الاستخارة والشكر والاستسقاء ، وقد أقسم الله تعالى به ﴿ **والضحى والليل اذا سجى** ﴾ (الضحى ١-٢) . وعن **أبي هريرة** رضي الله عنه قال : «أوصاني خليلي ﷺ بثلاث ، بصيام ثلاثة أيام في كل شهر وركعتي الضحى وأن أوتر قبل أن أنام» رواه البخاري ومسلم .

ط

الطهارة :

لغويا الازالة والتنقية ، **واصطلاحا** النظافة للجسد وللقلب ، فالجسد قد يجنب فيجب تطهيره والثوب قد يقذر فيجب تطهيره والقلب قد يمرض فيجب تطهيره ، وطهارة الجسد بالاغتسال ، وطهارة الثوب بالنضح ، وطهارة القلب بالمجاهدة ، ولها وسائل ، منها الزكاة قال تعالى ﴿ **خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها** ﴾ (التوبة ١٠٣) ومنها الصلاة «**إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر**» وإبعاد شوائب الزيغ عن القلب سيملؤه إيماناً ، لأن الانحراف نقص في التفكير نتيجة سطحية الإيمان ، والمجاهدة ستجعل البصيرة قادرة على الكشف والإحاطة ومن ثم يتولد الرضا ويعيش المؤمن في توازن مع متطلبات دينه ودنياه ، فلا يغلب الدنيا على الدين ولا يضيق الدين فيحرم نفسه متع الدنيا التي أحلها الله ، فيسعد الانسان .

ظ

الظلم :

الظلم انحراف عن الحق ، **وهناك علاقة بين الظلم والظلام** ،

فأنت في المكان المظلم لا تحس إلا بنفسك ولا تستطيع أن تبصر من أمامك ، والظالم إنسان لا يرى إلا نفسه ولا يحس إلا بمصلحته ولا يعرف إلا رغباته ، ومن استطاب هذه المشاعر تولدت لديه القسوة والعنف وعجز عن أن يألم لعوز الآخرين ويبكي لحاجتهم ويسعى لراحتهم ، لأنه لا يراهم ، فهو ركيزة الحياة وهي وجدت من أجله ، وأعجب ما في الظالم أنه لا يحس بظلمه للآخرين بل يرى أن ما يقوم به هو العدل وهو الحق ، لأنه لم يطهر قلبه فأظلم القلب فلم يهتد ، قال تعالى ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ (الأنعام ٨٢) ، وقال تعالى ﴿ **ان الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما انما يأكلون في بطونهم نارا** ﴾ (النساء ١٠) ، ﴿ **فمن تاب بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه** ﴾ (المائدة ٣٩) .



العدل :

هو المساواة ، هو الاستقامة ، ونحن مأمورون به ﴿ **إن الله يأمر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربى** ﴾ (النحل ٩٠) ، وهو مبدأ من أهم دعائم الحكم في الإسلام ، وإذا عدلت في الأمر فقد قسطت فيه ، وإذا عدلت عنه فقد رجعت عنه ، والصدق عدل وأداء الواجب عدل والدفاع عن الوطن عدل ، والتقرب إلى الله عدل . وكل ما يجعلك إنساناً حقاً هو عدل وحين تقوم به فأنت عادل ، قال تعالى ﴿ **اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله** ﴾ (المائدة ٨) ، وقيل للرسول ﴿ **وأمرت لأعدل بينكم** ﴾ (الشورى ١٥) ، ولأن الله تعالى يعلم بشريتنا حصننا من الوقوع في الظلم بالزواج من أربع فقال﴿ **فإن خفتم ألا تعدلوا فواحدة أو ما ملكت أيمانكم** ﴾ (النساء ٣) .



الغسل :

أتدري كيف كان **الرسول** ﷺ يغتسل مما يوجب الطهارة منه ؟ « عن **ميمونة** : أنها وضعت له ماء للغسل فغسل يديه ثم أفرغ على شماله فغسل مذاكريه « القُبُل والدبر » ثم توضأ وضوءه للصلاة بأن غسل يديه ومضمض واستنشق وغسل وجهه ويديه ثم غسل رأسه بأن خلخل شعر الرأس جيداً إلى منابته ، ثم أفاض على شقه الأيمن ثم تابعه بالأيسر وانتهى بغسل قدميه وتخلخل أصابع القدمين » ، ولا حرج في أن يستخدم الإنسان بعض العطر في أماكن العرق . « صحيح البخاري باب الغسل وفقه السنة » .



الفوز العظيم :

من زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز ، والسبيل اطاعة الله ورسوله ﴿ **ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك الفوز العظيم** ﴾ (النساء ١٣) ، والطاعة عدالة ، وهي خضوع لأمر الله ومهابته ومرضاته وخشيته في السر والعلن والصبر على البلاء . أما الظالم فيقول ﴿ يا ليتني كنت معهم فأفوز فوزاً عظيماً ﴾ (النساء ٧٣) ، **والفوز العظيم في رضا الله عنك ورضاك عن العبودية لله تعالى** ، وهذه العبودية هي الوحيدة التي تجعلك سيداً على نفسك ، سيداً بين قومك ، شامخاً مهاباً محترماً ، لا يمسك سوء ، ﴿ **وينجي الله الذين اتقوا بمفازتهم ولا يمسهم السوء** ﴾ (الزمر ٦١) .



القدر :

المؤمن من يؤمن بالقدر خيره وشره ، **والقدر أمر الله الذي لا مرد له** وهو على كل شيء قدير متمكن ﴿ **وما كان الله ليعجزه من شيء في السموات ولا في الأرض إنه كان عليما قديرا** ﴾ (فاطر ٤٤) ، والمقدر هو المكتوب ، ويرى السذج أن منهم من كتب عليه الفقر فلا حيلة له ، والأغنياء كتب لهم الغنى فهم في النعيم رافلون ، فليعلموا أن الله تعالى علم حقيقة سعيهم ومقدار جهدهم فأعطاهم الفقر جزاءً للتواكل والعوز وفاقاً للتراخي ، أما من يسعى ويكد فله النعيم والرخاء ، ولكن هناك أناس يكدحون ويشرقون من عرق كفاحهم وبالرغم من ذلك نجدهم فقراء ، إن هؤلاء ليسوا فقراء بل مظلومين ، لأن حقوقهم يسرقها الجبابرة في المجتمع ، وهم حين يحرمون من المال قهراً ، يعوضهم الله بالصحة والعافية والصبر والرضا بأمر الله انتظاراً للفرج ، وفرجه قريب ، فالعدالة من صفات الله تعالى ، **إذن فالفقر خلل اقتصادي يقع في المجتمع .**



كليم الله :

هو موسى عليه السلام ، قال تعالى ﴿ **تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات** ﴾ (البقرة ٢٥٣) ، ولكنه خص موسى عليه السلام بأنه كلمه وذلك في قوله تعالى ﴿ **وكلم الله موسى تكليما** ﴾ (النساء ١٦٤) ، ولما كلمه ربه أوجس في نفسه خيفة وأراد أن يرى ربه ﴿ **قال رب أرني أنظر إليك** ﴾ (الأعراف ١٤٣) ، واستغرق هذا الحوار الرباني أربعين ليلة ، وعاد موسى إلى قومه ليجدهم على عجل عاكفين ، أضلهم السامري ، **وكلام الله لموسى إحدى المعجزات التي كرم بها موسى** ، وتلك خصائص الرسل والأنبياء يمنحون ما يقنعون به الآخرين أما هم فليسوا بحاجة إلى دليل على قدرة الله ﴿ **ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلا ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله ولكن أكثرهم يجهلون** ﴾ (الأنعام ١١١) .



اللغو :

بعض الحديث لا طائل من ورائه وهذا هو اللغو ، **والمؤمنون تراهم عن اللغو معرضين** ، لأن الإسلام يرفض هذه السبل ، فالرجل الجاد حديثه جاد ، وصمته فكر ونظره تأمل ، واللغو يتطرق بنا إلى الكذب والنفاق طلباً للهو والعبث ، قالوا لرسول الله ﷺ : « أيكون المسلم لعانا ؟ قال : نعم ، قالوا أيكون سارقاً ؟ قال : نعم ، قالوا أيكون كذاباً ؟ قال : لا » صدق رسول الله . (رواه مسلم) . وحين أراد المشركون أن يقللوا من روعة القرآن في القلوب لغوا فيه ﴿ **وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه** ﴾ (فصلت ٢٦) ، أما اليمين اللغو فلا يحاسبنا الله تعالى عليه ، لأننا لسنا جادين فيه ، ولكن يجدر بالمسلم أن يكون قوله صدقاً فيعرف بالصادق فلا يحتاج إلى يمين ، وان اضطر إليه فليعرف قدره وخطره فيحترمه الناس ولا يطلقون عليه « **الحلاف** » و « **المهين** » فإيمانه أرفع من أن يزل إلى هذه المهاوي .



الميعاد :

ويقصد به الوقت المحدد المسبق بعلمه بين متواعدين ولذلك قصد بها الساعة « **يوم القيامة** » لأنه موعد ضرب بين العبد وربه ولا مبدل لكلماته ﴿ **قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون** ﴾ (سبأ ٣٠) ولكن ، لماذا يواعد الله الناس يوم القيامة ؟ إنما هو انذار وتحذير لمن خاف مقام ربه وأيضاً إعلام للفاجر المكذب . ويختلف الناس في النظر إلى هذا الموعد ، فالذين أرهقوا أنفسهم في الدنيا بالعمل والصلاح والتقوى يصير لهم وعداً بالجنة والذين أفنوا أنفسهم في التوافه والنزق يصير لهم وعيداً بالنار . وإنه لوعد ووعيد حق ﴿ **إن الله لا يخلف الميعاد** ﴾ (الرعد ٣١) .



النشور :

وهو الخروج **والبعث يوم القيامة للحساب** ، وإن كانت **تعني لغويا (الانتشار) ، وهنا يقصد بها البعث لقوله تعالى ﴿ فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور** ﴾ (فاطر ٩) ، وكان **الرسول الكريم** يدعو - إذا استيقظ - « الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور » (اللؤلؤ والمرجان) اعتباراً منه - صلوات الله عليه - أن النوم موتة صغرى وما استيقاظنا منه إلا بعثاً ونشوراً . **والايمان بالنشور من أسس العقيدة الاسلامية** ، وحين يخسر الإنسان دينه وإنسانيته لا يرجو لقاء ربه ، والمفلحون يتعجلون لقاءه جل وعز ليفوزوا بالوعد الحق . وتكون الجنة هي المثوى .



الهجرة :

كانت **صورتها المادية** حين هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة لاعلاء كلمة الله وشريعته أن يطمسها المشركون ، وما هم قادرون ، ﴿ **إن الذين آمنوا والذين هاجروا وجاهدوا في سبيل الله أولئك يرجون رحمة الله** ﴾ (البقرة ٢١٨) ، أما **صورتها المعنوية** ففي هجر السوء والفحش والمنكر ﴿ **والرجز فاهجر** ﴾ (المدثر ٥) ، والمؤمن من كان في هجرة دائمة من موطن السوء إلى موطن الخير والرشاد ، ﴿ **الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله** ﴾ (التوبة ٢٠) ، فدروس الهجرة عظيمة حين يتمثلها الفرد ويتمثلها المجتمع ويعيشها البشر من أقصاهم إلى اقصاهم .



الوضوء :

لا تصح الصلاة ولا تقبل بغير وضوء ﴿ **إذا قمتم إلى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين** ﴾ (المائدة ٦) ، أما عن وضوء الرسول فكيف كان ؟ دعا بوضوء وسمى الله الرحمن الرحيم ، ثم أفرغ على يديه من إنائه فغسلهما ثلاث مرات وخلخل ما بين الأصابع ثم أخذ الماء بيمينه فتمضمض ثلاثاً واستنشق واستنثر ثلاثاً وكان يستنشق باليمنى ويستنثر باليسرى ثم غسل وجهه ثلاثاً ويديه إلى المرفقين ثلاثاً ومسح برأسه (وكان يبلل يديه بالماء ويمسح الرأس كله مدبراً ثم مستقبلاً ثم يمر على أذنيه بنفس المسحة فيمسحها من الداخل والخارج جيداً) ثم غسل كل رجل ثلاثاً وخلخل الأصابع ، (البخاري كتاب الوضوء) .



اليمين :

ونقصد بها أهل اليمين ، والتيامن في الأعمال ، فقد روي عن **عائشة رضي الله عنها** أن الرسول ﷺ « كان يتيامن في كل أعماله في مأكله وملبسه ومشربه وتنقله » (**البخاري**) ، وكان يقدم التياسر مستعملاً اليد اليسرى إذا دخل الخلاء . وإذا خرج من المسجد ، وقد كرم الله أهل اليمين قائلاً ﴿ **وأصحاب اليمين ما أصحاب اليمين في سدر مخضود** ﴾ (الواقعة ٢٧ - ٢٨) . وقال أيضاً ﴿ **فأما من أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حسابا يسيرا وينقلب إلى أهله مسرورا** ﴾ (الانشقاق ٧ - ٩) . جعلنا الله من أهل اليمين .

---

(١) عفوا - بعد الواو هاء ولكن في القاموس ن ثم هـ ثم و .

العلة ليست في اللغة العربية

بقلم: إليـــاس قنصـــل

كثر الذين بحثوا في اللغة وحددوا معناها ، فمنهم من قال إنها مفردات تجلو شخصية الأشياء وأداة ترسم الشعور وتعرضه على الأذهان ، ومنهم من اعتبرها سلسلة من الأصول سداها التصريف ولحمتها الاشتقاق مهمتها التعريف بما يريد المرء ، ومنهم من رآها وسيلة لاتصال الفرد بمجتمعه يتكشف في مدلولها ما يهمها .

ولا شك أن اللغة هـي كل ذلك وأكثر ، لأنها المجموع مختصراً في عدة آلاف من الألفاظ يسبح في فلكها جميع ما يملكه الناطقون بها من متاع روحي ومادي يشتمل على ماضيهم وحاضرهم ومستقبلهم .

ومن أصدق الأدلة على عظمة بلاد انتشار لغتها وراء حدودها ، لأن الاقبال عليها وممارسة ما فيها من التعابير الخاصة هو الاعتراف بنصيبها من امتياز تنعكس على صفحته قمة أصحابها من الاجتهاد والتفوق بشتى مناحي النشاط الثقافي والفكري والعملي .

إن **الحضارات** التي توالت على الدنيا هي السجلات التي تبسطها لنا اللغات ، فهي خزانة الحوادث التي تتألف من جزئياتها المجموعة التي تكون صورة عن حقيقتها ومن دراسة هذه اللغات والتغلغل في أسرارها نضع كل حضارة في مكانها من التأثير العالمي .

اللغة .. والمادة

● إن المرحلة التي نجتازها الآن - ولا نسميها حضارة لأن أسبابها لم تكتمل - إن هذه المرحلة يغلب عليها **الطابع المادي** ، وها هي اللغة - لغة هذه المرحلة - في معظم أنحاء العالم كلمات وتعابير مادية تكاد تخلو من ملامح العاطفة .

وإذا رد معترض بأن هذا التمييز غير وارد في صميم اللغة أجبنا ان كلمة « **نسيم** » مثلا لا يمكننا أن نسلكها مع كلمة « **حجر** » متى صنفنا الكلمات في مراتب الحس وإن كان لكل كلمة تكوينها الذي رضيت به الألسنة والأذواق وأقره التداول في أداء رسالتها التعبيرية .

ولا يعني ما سبق أن الكلمات العاطفية الروحية قد اضمحلت . إن الكلمات لا تتلاشى وفقاً لمرتبتها في التصنيف ولكنها تزول من أي صنف كانت عندما تقل الحاجة إليها في التبادل اليومي الرتيب . إن الذي نعنيه هو أن التراكيب التي تشترك فيها الألفاظ الروحية التي تنجلي مفاتنها دون تبذل أصبحت نادرة ، إذا جرت في خاطرة مكتوبة مخطوطة أو مسموعة أثارت الاستغراب كان قائلها أو كاتبها يعيش بعقل كهفي .

إن اللغة التي تسعى إليها **الحضارة المادية** أو الطور المادي في عصرنا هذا هي التي تكتفي بأن تؤدي حاجتك إلى التعبير عن مرادك اولا وحاجة من يسمعك إلى ما تبغي ثانياً ، وما زاد عن ذلك فهو رجس من عمل الشيطان . المهم في عرف هذه المرحلة أن يكون التعبير كافياً وليس المهم أن يكون جميلا أو أن يهبك قسطاً من الارتياح النفسي . وهذا هو السبب الرأسي الذي أدى إلى انهيار مقام الشعر وجعل الأسلوب الصحفي أسلوباً سائداً حتى في تحليل الخوالج التي تختلف في كل فرد عن كل فرد وتفتقر إلى كمية من الاحساس ترتفع عن سوية الواقع .

إن أدوات « **الترفيه** » التي نزهو بها الآن ضيقت علينا آفاق الخيال ووضعت في

افهامنا ـ نعم في افهامنا ـ قيوداً تمنعها من الحركة التلقائية التي تمنحها الحرية . نحن ندور في مجال نشاهد شرقه وغربه ونعاين الخطوط التي لا قدرة لنا على أن نتعداها ، شأننا شأن السجين الذي له من الدنيا الواسعة التي يعرفها هذه الرقعة الصغيرة التي تضمها جدرانها لا يمكنه أن يتلذذ بأن يزاد له شبر واحد عليها ولا أن يتمتع بهبة جديدة من الهواء ولا أن ينتفع بدفقة أعم من النور .

وتسير اللغة كما نسير نحن ـ على خط مواز ـ لا يتسنى لها ان تخرج من صراطها كما لا يتسنى لنا أن نخرج عن صراطنا فان ظهرت آلة مبتكرة ظهرت معها لفظتها ثم ... إلى أمر آخر ، فلا كلمة مرادفة للكلمة الأصلية تختار إحداهما لتعلن عن ذوقك ولا انطباق على قواعد ترسم لك صيغاً متباينة عنها ولا استناد إلى تركيب تفضله على تركيب آخر ثان ولا استعارة توسع المدى في توضيح ما ترمي إليه .

وبعد أن كانت اللغة ما ذكرنا في بدء هذه الكلمة أمست شيئاً واحداً فقط : أداة جامدة مقتصرة على تأدية مهمتها اللفظية فكأنها المطرقة تدخل بها مسماراً في خشبة ومتى فعلتْ ذلك انتهت وظيفتها فإذا أردت أن تقتلع المسمار جئت بملزمة مرصودة للاقتلاع لا تصنع غير ذلك ثم .. ثم إلى أمر آخر .

قد يكون هذا الأداء السريع الذي لا يرضى بالشعور حكماً ولا بالقلب هادياً ، ويكتفي بالمدلول المحدد من مستلزمات العيش الحاضر الذي لا يضيع دقيقة من الوقت . **ولكن أبالخبز وحده يحيا الانسان ؟ وهل رأينا الوجود لنقطع دروبه مسوقين بأسواط الالتزام تدفعنا مناخس السرعة مراحاً ومغدى ؟ .**

لئن كانت هذه الغاية من الوجود فعلام خلق الله الأزاهير التي تتوشى بالألوان الزاهية والعطور الفاتنة ولا تصلح ـ في اهم شؤونها ـ الا للزينة ؟ أما كان الأولى ان يستغني عنها بخلق « **البصل** » الذي ينفع ولا يزخرف ؟ .

نحن لا نرغب في أن يكون التعبير مثقلا بالكلمات التي لا تضيف شيئاً إلى المعنى المقصود ، ولا يروقنا ، أن يجر المرادفات التي لا توسع المدى التصويري في الأذهان . نحن لا يسرنا أن تكون الكلمات التي يمكن تصنيفها في المرتبة الوجدانية كالرقع الجديدة المختلفة الأصباغ والأحجام في الجدار القديم المتداعي ، ولا أن تتحول التفاسير إلى دروب ملولبة يسهل الدخول إليها ويصعب الخروج منها ويستحيل الوصول بها إلى المحجة المطلوبة .

نحن نطمع في ان يكون التعبير أجمل قليلا مما هو . أن لا يقتصر على النفع البحت ، أن يعرف القارىء أن الكاتب يحفل به ويوليه عناية تنبع من قلبه ، من عاطفته . نحن نطمع إلى أن يجد القارىء في العبارة التي يطالعها لنفسه انساً ولفؤاده متاعاً فتجعل الحياة أحب إليه مما قبل في كثير من صورها .

نحن لسنا من مويدي الجمود أو من دعاة الرجوع إلى الوراء . إننا ندرك أن اللغة تتطور كسائر الأشياء التي فيها حياة .. وأنها إذا بقيت حيث هي لا تؤدي المهمة التي ألقيت على عهدتها ولا تقوم بالمسؤولية التي خلقت لها . ولكن الفرق بعيد بين تدرّج يحمل في طياته الخير وبين طفرة فيها من الهوج السيئات والمباذل . أما الذين يسمّون هذه النشوفة ثورة فهم على ضلال مبين .

اللغة .. والحدث

إن الهدم سهل . والذي يصنعه الذين ينتقدون **الجهال في اللغة** ويريدونها عضواً أشل يصنعه من ينقض بناية عتيقة ولا يشيد مكانها بحجة أن الأرض البور خير من البناء القديم .

والأحداث التي غيّرت مجرى التاريخ وألهبت بين الجوانح نزعة الرقي وبدلت اضطراب الدنيا سكينة تناولت الأفكار ولم

تتناول الألفاظ . كانت مبنية على أساس التمرد على الظلم وكانت وسيلتها إلى الاصلاح .. التعابير الجميلة التي تخاطب القلب قبل أن تخاطب العقل . ومن أمعن النظر في أسرار هذه الأحداث تبين له ان أسرعها إلى الانتشار وأبعدها أثراً في المجتمع هي التي كان في الدعوة إليها وفي شرح أهدافها اكبر نصيب ممكن من الجمال .

إن القطعة الفنية الجميلة التي تضم فكرة اصلاحية تعلق في النفس اولا لأنها قطعة فنية جميلة . وجمالها وفنها يمهدان الطريق للفكرة الجديدة ، ولا يلبث القارىء أو السامع أن يعتنقها وقد أغراه اولا ما فيها من حسن ثم ما فيها من الدعوة إلى المساواة والاخاء وما إليها .

ولو حاولنا أن نجاري الذين يدّعون أن اللغة للأداء فحسب فماذا نفعل **بالآثار الأدبية العالمية** التي تزخر بالجمال وهي التراث الخالد الذي يتحدر من جيل إلى جيل ، وفيه تجارب الإنسان يلتمس فيها علاج النفس ويمتلك به ناصية الهناء ، أنعرض عنها أم نلقي على عواتقهم تبعة تجريدها من كل رائع طريف وجعلها مرجعا للجمود والبلادة ؟ .

العربية .. في المواجهة

إن الأساليب المجردة التي يطالب بها هؤلاء لا يمكن أن تميز كاتباً عن آخر فكأنها خارجة من قالب واحد في معمل واحد فيها تتلاشى الشخصية الإنسانية وتحل محلها الآلة التي لا تبدي ولا تعيد .. وهكذا يمكن الاستغناء بكاتب عن بقية الكتاب . أما الأساليب التي تبهرنا ، وأما اللغة التي تحرز اعجابنا فهي التي تجعل كل كاتب شخصية مستقلة تتميز عن سواها بخصائصها الواضحة .

في وسط هذا التيار الجارف من اليبوسة المؤلمة تقف اللغة العربية - للاحتفاظ بروحيتها - موقف المجابهة ، وهي تدرك اشمل ما يكون الإدراك أنها مضطرة إلى تذليل الصعاب الكأداء وتخطي العقبات الخطيرة . إن أعداءها حاقدون ، والحجة التي يتكلمون عليها تغري وتغوي ما أسهل أن يعلق في أشراكها الذين لا يبالون بالبحث والتنقيب . أو ما تسمعهم يصرّحون بأنهم يريدون مجاراة روح العصر ومسايرة القافلة الإنسانية السائرة إلى الأمام **ويدعون أن التخلف الذي تعاني منه العروبة ما تعاني من دواعيه لغتها وما في لغتها من تعقيد ، يجهلون او يتجاهلون ، أن هذه اللغة التي يعيبونها كانت رسولة حضارة نشرت أعلامها في الشرق والغرب ورافقت الفتوحات - وكانت طليعة فيها - ووطدت في الأصقاع التي دخلتها معالم العمران وظلت - بعد أن تقلصت البنود السياسية في البلدان المذكورة - تزود الأفكار بالروائع وتمون القلوب بالبدائع وتقع موقع الرضا والترحاب حيث حلت .**

ويجهلون أو يتجاهلون أن هذه اللغة هي من دقة التعبير وقوة الاشتقاق وجلاء الصيغ وغنى المفردات بحيث اختارها الكثيرون من العلماء غير العرب في الدولتين **الأموية والعباسية** للدراسة والتأليف . فقد رأوها من أصلح اللغات للتعبير عن أدق الشؤون العلمية المختلفة .

إن العلة ليست في اللغة العربية ، بل في الذين لا يفهمونها ويهذرون وهم في معزل عن الحق .

إن التعقيد ليس في اللغة العربية ، بل في عقد النقص التي تسيطر على الذين لا يعرفون منها إلا ما تلقوه من الذين يخيفهم الدرس أو من الذين لهم أغراض ما أنزل الله بها من سلطان .

إن هؤلاء الذين يحكمون على اللغة العربية بأنها عالة على التقدم ، هم عالة عليها ، لأنهم ينتفعون من خيراتها الحاضرة الثرة ويعتزون بمكرماتها الغزيرة الماضية التي غرفت منها الانسانية ما غرفت ولا يفيدونها بشيء من مساعيهم وجهودهم .

● ونحن نسأل :

ألم يؤلف العلماء العرب ما ألفوه من كتب الطب والفلسفة والكيمياء والجبر والفلك والرياضيات والعلوم الاجتماعية المختلفة باللغة العربية ؟ ألم تكن المصطلحات الخاصة بهذه الفروع الواردة في هذه المؤلفات باللغة العربية ؟ ألا يعد الرازي وابن سينا وابن زهر وأبي القاسم وابن رشد وابن خلدون رواداً في عدد من مناحي الفكر ؟

● ونسأل من جديد :

لقد ترجم العرب جميع ما وصل إليهم من العلوم اليونانية وزادوا عليها ما ابتكروه ، أفلم يترجموها الى اللغة العربية ؟ أولم تتفرع من اللغة العربية سائر المصطلحات الجديدة ؟

مرت هذه اللغة بتجارب لا يحصيها عدد وحاول الأمارون أرباب البطش الجائر أن ينالوا من حيويتها تمهيداً للقضاء عليها ، فعادوا بالفشل ، وظلت تبعث بأشعتها فتبدد عن النفوس ظلمات بعضها فوق بعض .

تحضير الأرواح

**** **يسأل القارىء الطالب (علي حسن التيني) في كلية الزراعة - شبين الكوم - مصر.. يسأل عن موضوع «تحضير الأرواح».. هل هو حقيقة.. أم خيال وخرافات.. وهل صحيح أن الإنسان يستطيع تحضير الأرواح إذا توافرت له مميزات معينة؟**

** ويجيب الدكتور محمد محمد حسين الأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - الرياض بقوله:

بدأت هذه البدعة في **أوروبا** مع بداية هذا القرن الميلادي. وازداد نشاطها بعد **الحرب العالمية الأولى**. فقد اجتذبت إليها عدداً من المنكوبين في أزواجهم وأبنائهم من ضحايا الحرب. فتقاطروا على جلسات **تحضير الأرواح**، يلتمسون العزاء فيما يتوهمون من صدق الرسائل الواردة إليهم ممن فقدوا من الأزواج والأولاد. وزاد في انخداع الناس انضمام بعض المبرّزين في ميادين الطب والعلوم التجريبية إلى هذا الميدان، من أمثال **سير آرثر كونان دويل** مؤلف كتاب **(حافة المجهول)**. **وإدوين فردرك باورز مؤلف (ظواهر حجرة تحضير الأرواح)**. **والكسيس كاريل مؤلف (الإنسان، ذلك المجهول)**.



والدعوى تحاول أن تلبس ثوب العلم التجريبي، كما تحاول أن تبني مزاعمها على قوانين علم الطبيعة، الذي يؤكد أن مجال الحواس البشرية في السمع والبصر محصورة في حدّها الأدنى وفي حدّها الأعلى بين موجات عيّنت التجارب درجات ترددها، بحيث لا يدرك السمع والبصر ما دونها انخفاضاً أو ارتفاعاً.

وقد انتقلت الدعوى إلى البلاد العربية في جملة ما انتقل إليها من حضارة الغرب وفكره صالحه وفاسده. وخُدع بها بعض الذين تأثروا بها باعتبارها ردّ فعل لتيار المادية الذي ينكر الحياة الآخرة. **وكان من أقدم من تأثر بدعاتها ونقل عنهم محمد فريد وجدي**، الذي نشر سلسلة من المقالات في أعداد مجلة **(المقتطف)** سنة ١٩٢٠م تحت عنوان (اثبات الروح بالمباحث النفسية). وتأثر بهم كذلك **طنطاوي جوهري** فنقل كثيراً من دعاواهم في مواضع كثيرة متفرقة من كتابه **(الجواهر في تفسير القرآن الكريم)** الذي يقع في ستة وعشرين جزءاً، والذي بدأ طبعه في المحرم ١٣٤١ (١٩٢٣م).

ولكن المحاولة الأولى في تحضير الأرواح، على الطريقة التي تجري بها في الجمعيات الأوروبية بدأت سنة ١٩٣٧م بمحاولات (أحمد فهمي أبو الخير) مدرس العلوم الطبيعية والرياضية في مصر، عقب وفاة ابنه الأوحد الذي رزقه بعد حرمان طويل من الذرية، وبعد أن قرأ في هذا الموضوع كتاب **(آرثر فندلاي)** الذي ترجمه من بعد بعنوان **(على حافة العالم الأثيري)**. وعن طريق هذه الدائرة التي أسسها (أحمد فهمي أبو الخير) تفرعت كل الدوائر التي جاءت من بعد في مصر، ثم انتشرت في بعض البلاد العربية.

والتجارب التي تجرى في غُرف تحضير الأرواح فيها ثغرات كثيرة يمكن أن يتسرب منها الخداع. فهي أولاً تجرى من طريق **(وسيط)** واقع في غيبوبة، يزعم أنه يتكلم خلالها بلسان الأرواح المتسلطة عليه. ثم إنها تجري في الظلام الكامل. أو في ضوء أحمر خافت تتحرك فيه أشباح لا يمكن تمييزها تمييزاً واضحاً من خلاله. وهذه الأشباح تخرج من حجرة جانبية معزولة عن الحاضرين في غرفة تحضير الأرواح يسمونها **(الخِدْر) أو (المخدَع)**. ويُستعاض عنها في بعض الأحيان بخِباء أو بجانب من الحجرة يفصله عن الحاضرين حجاب كثيف. ثم إن عدد الذين يحضرون هذه الجلسات محدود، يتراوح بين عشرة وخمسة عشر شخصاً. ويشترط الروحيون لنجاح الجلسة أن يكون نصف هذا العدد على الأقل أعضاء ثابتين لا يتغيرون، ضماناً للتحكم في توجيهها. والبيّنة الكبرى التي يطنطن بها الروحيون وهي تصوير الأشباح المزعوم بأنها تظهر في غرفة تحضير الأرواح لا تجري إلا من خلال **آلات تصوير** خاصة لا يُسمح لغير الوسطاء المحترفين باستعمالها. على أن صور الأشباح الملتقطة والمزعوم أنها أرواح، كلُّها صور غائمة غير واضحة القسمات.

أما **علماء الفيزياء والطب** المشتغلون بهذه التجارب فهم لا يرتفعون عن شبهة الانخداع. والمعروف أن بين المشهورين من المشتغلين بالعلوم التجريبية كثيراً ممن تغلب عليهم الغفلة وممن تُروى عنهم النوادر والحكايات في هذا الباب. وذلك لطول عكوفهم على أنفسهم وانكبابهم على الدائرة الضيقة التي حصروا أنفسهم فيها، مِمّا يعزلهم عن الناس ويُضعف خبرتهم بالحياة، ويجعل كل واحد منهم أقرب إلى الصانع الماهر منه إلى العالِم المفكّر المتدبّر.

ومع ذلك كله فمن المعروف المشهور أن مجلة **(ساينتفك أمريكان)** قد أعلنت عن جائزة ضخمة لمن يُقيم الحجة على صدق الظواهر الروحية. ولا تزال الجائزة قائمة لم يظفر بها أحد، رغم انتشار الروحيين ونفوذهم وبراعتهم في **أمريكا**. وقد ضُمّ إلى هذه الجائزة جائزة أخرى تبرع بها **الساحر الأمريكي (دَننجره)** للغرض نفسه، ولم يظفر بها أحد أيضاً. ومن المعروف المشهور كذلك أن السحرة يعارضون الروحية ويتحدّونها. فيمارسون بالسحر كلّ ما يَخلِب به الروحيون ألباب الناس من خوارق العادات، وعلى رأسهم الساحر الإنجليزي **(ماسكيلين)** والساحر الأمريكي **(هاوديني)**. وقد خلّف هذا الأخير بعد موته **(دانِنجره)**.

وحقيقة هذه الدعوة التي تسمي نفسها (الروحية)، والتي تزعم القدرة على تحضير الأرواح أنها دين جديد، باعتراف أصحاب الدعوة أنفسهم في كتبهم ومنشوراتهم، وعلى لسان أرواحهم المزعومة ممن يسمونهم (المرشدين) أو **(الأرواح الحارسة)**. فقد وَرَد على لسان أحدهم المدعو **(هوايت هوك)**: «يجب أن نتحد في هذه الحركة. في هذا الدين الجديد. يجب



أن تسودنا المحبة» ويمضي في حديث يبيّن فيه معالم هذا الدين الجديد ويختمه بقوله: «يقول الناس في زمانكم إن الطقوس والفرائض عديمة النفع. ولكنّ طقوسي وفرائضي تنحصر في تدريب الناس على تركيز القوة الروحية». وقد ردّد ذلك المعنى (فريد وجدي) في سلسلة مقالاته التي نشرها في مجلة (المقتطف) سنة ١٩٢٠، حيث جاء في أحدها على لسان أحد الأرواح المزعومة: «نحن مرسلون كما أُرسِل المرسلون من قبلنا. غير أن تعاليمنا أرقى من تعاليمهم»

والدعوة في شكلها العام، كالماسونية، فرع من الدعوات العالمية التي تسيطر عليها الصهيونية، والتي تسعى لتمييع الحدود بين الأديان، ومحو العصبيات بكل أنواعها، دينية كانت أو وطنية، لتمهّد لها سبيل السيطرة عليها وقهرها. ذلك ما تؤكده دلالات كثيرة مشتركة يمكن استنباطها من كتبهم وصحفهم. ويمكن تتبُّع الصور والأهداف، التي يشترك فيها الروحيون مع أجهزة الصهيونية العالمية، بمقارنة ما جاء في كتب الروحيين بما جاء في الوثيقة الصهيونية التاريخية المشهورة، المعروفة بـ **(مُقرَّرات حكماء صهيون)**. وبما جاء في نشرات جمعية **(شهود يهوفا)**، التي أُغلِقت مكاتبها في كثير من البلاد العربية والإسلامية لثبوت صلتها بالصهيونية العالمية.

ويكفي في بيان النزعة العالمية الهدّامة التي تَصدُر عنها الجمعيات الروحية أن أنقل ما جاء في مقالٍ **للدكتور علي عبد الجليل راضي الأستاذ بكلية العلوم بالقاهرة**، تحت عنوان (الروحية العالمية)، وفيه يقول: «إن هذه المنظّمة ستكون لكل البشرية. وعن طريقها سوف يوضح لنا سكان العالم الروحي طريقة جديدة للحياة، ويُعطوننا فكرة جديدة عن الله ومشيئته. إنهم سوف يأتون لنا بالسلام والطمأنينة الروحية وسعادة النفس والقلب. سوف يحطمون الحواجز بين الشعوب والأفراد، بين العقائد والأديان.» وواقع الأمر يصدّق هذا القول. لأن هذه الجمعيات الروحية تجمع أشتاتاً من الناس ينتمون إلى ديانات مختلفة. والأرواح التي يزعمون حضورها في جلساتهم تنتمي كذلك الى ديانات شتى. فيهم **المسلم والنصراني واليهودي والبوذي والمنتمي إلى ديانات مجهولة كالهنود الحمر**. وكلهم يدّعي أنه سعيد في حياته الأخرى. وكلهم يقدّم صوراً لتلك الحياة ولما وراءها تخالف ما جاء في النصوص الإسلامية، بل تناقضه في بعض الأحيان أشد المناقضة.

بقي شيء مهم أحب أن أنبّه إليه قبل أن أختم كلمتي، هو **أن الروح من عالَم الغيب. وأن المسلمين منهيون عن أن يستمدوا معرفتهم فيه من غير طريق الوحي المنزّل على نبيهم صلى الله عليه وسلم. وأنّ تتبع الغرائب والخوارق يؤدي إلى الزيغ والضلال.** لأن الغرائب والخوارق تجيء من طريق شيطاني كما تجيء من طريق رحماني. والتمييز بينهما من أصعب الأشياء. لذلك كان الوحي المنزّه عن الباطل والمنزّل على رسولنا ﷺ هو حبلَ النجاة. من اعتصم به اهتدى. ومن التمس الهداية في غيره اشتبهت عليه السبل فضلّ وغوى. (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه. ولا تتّبعوا السُّبل فتفرّق بكم عن سبيله. ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون) (الأنعام ١٥٣).

مناقشات و تعليقات

النضر بن الحارث بن كلدة الثقفي

جاء في مجلة (الفيصل) الغراء العدد الثاني عشر ص ١٩٥ تحت عنوان (النضر بن الحارث بن كلدة الثقفي) .

هو ابن خالة النبي الأمين وأنه اجتمع مع الأفاضل من علماء مكة المكرمة وغيرها واطلع على الفلسفة وتعلم من أبيه ما كان يعلم من طب وغيره وأنه قتل بعد (بدر) إلى الخ . .

ويظهر أن الكاتب الفاضل التبس عليه الأمر بين شخصين أحدهما (النضر بن الحارث بن كلدة العبدري القرشي) ، والثاني (الحارث بن كلدة الثقفي الطبيب) .

●● (الأول) فهو من زنادقة قريش وكان شديد الأذى لرسول الله ﷺ وقد قتل صبرا بُعَيد (معركة بدر) (نسب قريش لأبي عبد الله المصعب الزبيري ص ٢٥٥) طبع دار المعارف القاهرة عام ١٩٥١م .

(المنمق في أخبار قريش) لمحمد بن حبيب طبع الدكن ص ٤٨٨ عام ١٩٦٤م .

●● وأما الثاني فهو طبيب العرب ولم يكن ابن خالة الرسول ﷺ وقد أسلم

(جمهرة أنساب العرب) لابن حزم طبع دار المعارف ص ٢٦٨ عام ١٩٦٢م .

ومن الانصاف القول إن هذا الالتباس ورد في بعض المصادر الشرقية منها عيون الأنباء في طبقات الأطباء ـ لابن أبي أصيبعة ص ١٦٧ والمنجد في الآداب والعلوم للأب فردنيان توتل ص ٥٣٥ طبع بيروت عام ١٩٥٦م ، وأذكر اني قد أشرت إلى هذا في مناسبة سابقة .

هادون أحمد العطاس
مكة المكرمة

مع الحداثة في الشعر السعودي

تحدث كاتب في **مجلة الفيصل** (العدد السادس) عن « **الاتجاهات الحديثة في الشعر السعودي** » ، وللأهمية التي تنطوي عليها هذه المقالة حيث تمس مباشرة حياتنا الأدبية وتاريخها الغني فقد تناولتها بروح متعطشة بحثاً عن الجديد والحديث في هذا الموضوع الشيق . وقرأتها مراراً أستجلي معانيها ، وأقيد وقائعها . ولكني في النهاية لم أجد بداً من تسجيل هذه الملاحظات عليها .

١ ـ عنوان المقالة يتيح للقارىء أن يتخيل أن الحديث في صميم اتجاهات الشعر السعودي من حيث تياراته الجوهرية ، ومراحل تطورها في وسائل الأداء التعبيرية ، وأساليب الصياغة الفنية ، والتناول العاطفي ، والطوابع المميزة والخصائص البارزة في الموقف ، والتجربة ، والمعاناة ، والرؤيا .

والواقع أن المقالة ضربت صفحاً عن هذه المحاور التي تشكل لب كل محاولة تحليلية للاتجاهات في الشعر ، وإنما انصبت على بعض موضوعات الشعر وأغراضه وخطوطها الرئيسية ، وفي هذا تشكيل جد سطحي للاتجاهات يسلب ما لهذه الكلمة من معاني وخلفيات وظلال عرفها النقد والنقاد فكيف بها إذا وصفت بالحداثة ، والحداثة مصطلح له معناه الدقيق والعميق ومكانته الخاصة التي بدأ يحتلها بين المصطلحات المعاصرة في النقد .

٢ ـ لم تتناول المقالة في متنها سوى « اتجاهين » موضوعيين هما (الشعر الديني ، والشعر السياسي والاجتماعي) دون بقية الأغراض الحيوية التي عرفها الشعر السعودي وهي كثيرة . نضيف إلى هذا أن الكاتب تحدث عن الشعر السياسي فقط ولم يتحدث عن الشعر الاجتماعي دون سبب يبرر ترك الحديث عنه ، أو يشير إلى استئناف الحديث عنه في المستقبل .

٣ ـ مع الخلل الذي بدا في الترابط الموضوعي ومنهج الحديث ، نلمس في النهاية عدم وجود نتيجة طبيعية للبحث ، ولم نشعر بوصول محطة معينة كنا متلهفين لها ، هذا إلى أن مجمل الأفكار والقضايا التي حملتها المقالة عادية جداً وتقليدية جداً وهي لم تورد من أحدث الآراء الشيء الكثير ، بله الآراء والأفكار المبتكرة الجديدة ، ومن هنا نشأت قضية الشك في مدى الجهد المبذول في هذه المقالة ، ونصيبها من الصدق الفني الذي هو قوام الإبداع الأدبي والدراسات النقدية .

٤ ـ وخلال مراجعة يسيرة لمراجع الحياة الأدبية ومصادرها في المملكة العربية السعودية ، ظهر جلياً أن المادة العلمية والأدبية في المقالة أخذت من كتاب « **الحركة الأدبية في المملكة العربية السعودية** » للدكتور **بكري شيخ أمين** المطبوع **في بيروت عام ١٣٩٢هـ** . . وبهذا زال الغموض الذي لف المسألة . . فالخطوط العريضة والأفكار الجزئية كلها لها أصول في كتاب الدكتور ، إلا أنها ابتسرت ابتساراً ومزقت وأعيد تركيبها بشكل تعسفي غير منسجم أدى إلى العيوب التي ذكرناها .

٥ ـ لا يعيب الباحثين اعتمادهم على من سبقهم ولكن ليس من أمانة البحث اهمال ذوي الفضل ، كما أن من المؤسف أن يلتهم بعض إنتاج بعض بشراهة دون مساهمة حقيقة تذكر ، أو إضافات تخدم المادة العلمية والأدبية وتدفعها للنمو والخصب .

٦ ـ وتسهيلاً على القارىء إن حاول أن يقارن بين المادة المأخوذة وأصلها في الكتاب ، أورد هنا فهرساً يأخذ بيده في هذا السبيل :

المادة في المقالة	المادة في الكتاب
* اتجاهات الشعر السعودي	صفحة ٦٢ وما بعدها بقليل
* « الشعر الديني »	صفحة ٦١
* « الشعر السياسي والاجتماعي »	صفحة ٢٧٤و٣٢٢ إلى ٣٣٠
* « الشعر القومي »	صفحة ٣٣٠ إلى ٣٥٢
* « الشعر الإنساني »	صفحة ٣٥٨ حتى ٣٦٤

أما النماذج الشعرية التي ساقها كاتب المقالة فكلها منقولة من الكتاب مما يؤيد أن الكاتب أعفى نفسه من مهمة مراجعة القصائد في دواوين الشعراء أنفسهم وإليك صفحاتها في الكتاب :

النموذج الأول صفحة ٦٥ ، الثاني ٦٨ ، الثالث ٨٧ ، الرابع ٣٢٩ ، الخامس ٣٣٠ ، السادس ٣٢٧ ، السابع ٣٣٢ ، الثامن ٣٣٧ ، التاسع ٣٣٨ ، العاشر ٣٤٠ ، الحادي عشر ٣٤١ ، الثاني عشر ٣٣٤ ، الثالث عشر ٣٤٢ و٣٤٣ ، الرابع عشر ٣٥١ و٣٥٢ الخامس عشر ٣٦٤ ، السادس عشر ٣٣٥ .

٧ ـ ولا يغيب عن البال أن القارىء سيلمس محاولة تمويه غريبة إما بالتقديم أو التأخير أو تشتيت المعلومات ، أو تغيير لفظي للعبارات والكلمات ، وهذا يزيد من خطورة الأمر حيث يصبح المستهلك « القارىء » هدفاً لخداع مقصود ضد كيانه وعقله وثقافته .

٨ ـ ليت الأمر توقف عند هذا المستوى فلربما نحسن الظن فنقول إن الكاتب ربما استأذن الدكتور ليكون له حق الاقتباس أو الأخذ ، إلا أن في الموضوع ما هو أخطر وأدهى من هذا . إنها مواقف فيها بعض الجحود تجاه قضايا شبه جوهرية ، وانتهى تقريرها تقريباً وهي :

● أولا : كرر الكاتب أن من عيوب **شعر الدعوة السلفية** كونه يشبه النظم العلمي ، وأشار بشكل غامض إلى أن الحماس للدعوة كان هو الدافع إلى هذا العيب ، بينما نجد الدكتور ألمح إلى هذا ولكنه أردفه بأن من المحسنات التي تخفف من وطأته صدق العاطفة وحرارة المشاعر ونبض الحماس القوي وفي هذا بعض التعويض عن نقص الصور الجمالية . وهنا تباين واضح بين أن يكون الحماس دافعاً للعيب أو يكون تعويضاً عنه .

● ثانياً : شعر الحنين إلى الوطن والتغني بمفاخره ومزاياه وأمجاده أطلق عليه الكاتب الشعر المحلي ، أو الإقليمي بينما سماه الدكتور **الشعر الوطني** .

● ثالثاً : الشعر الذي تغنى بآمال أمة العرب والدفاع عن حقوقها سماه الكاتب الشعر القومي ، وهي تسمية تحاشاها الدكتور منبهاً إلى ضيق معناها . وما تؤدي إليه من أفكار جانبية وآثار بعيدة عن عالم الشعر والأدب والفن . مع تأكيده على التحام الإسلام بالعروبة عند السعوديين ، وهذا ما أغفله كاتب المقالة برمته دون مبرر واضح .

● رابعاً : تحدث صاحب الكتاب عن **الاتجاه الاسلامي في الشعر السياسي** بانفراد ، وتحدث عن الاتجاه الإنساني أيضاً بانفراد ، أما الكاتب فتحدث عن الخط الإنساني مغفلاً الخط الإسلامي كخط متميز له دوافعه الخاصة ، وأهدافه السامية ، ومنابعه الأصيلة ، فالشعر الإسلامي بهذا يختلف عن الشعر الإنساني .

● خامساً : عندما يتحدث الكاتب عن بعض المواقف التي وقفها الشعراء السعوديون مع شعراء الأقطار العربية الأخرى لم يحاول أن ينبه إلى ما فاق فيه الشعر السعودي غيره أو على الأقل ذكر الخصائص والطوابع التي تميزه وانفرد بها . وأخص من هذه المواقف ، الشعر وقيام **الثورة الجزائرية** ، والشعر **والنكبة الفلسطينية** . وقد تحدث الدكتور عن كل هذا وأكثر منه بدقة وأمانة علمية ووفاء .

٩ ـ لو سلمنا فرضاً بأن الأفكار في الحديث المنشور في مجلة (الفيصل) والمشار إليه آنفاً كلها من ابتكار صاحب المقالة ، وأنه سبق صاحب كتاب الحركة الأدبية في التوصل إليها ، أو كانت من توارد الخواطر . . فإن نشر هذه الأفكار الآن وبهذه الصورة أمر غير مقبول لسببين ، **أولهما** أن الحديث نفسه يفتقر إلى بعض الأسس الفنية والأصول الأدبية للمقالة من حيث ترابطها الموضوعي ، ودقتها المنهجية ، **وثانيهما** أن هذه المقالة بصفتها دراسة نقدية للشعر السعودي تشكل تراجعاً للوراء ، فبالإضافة إلى أنها لم تأت بجديد فهي لم تواكب أحدث الآراء وأكثرها عمقاً .

١٠ ـ أما لو رجحنا احتمال أن الكاتب سطا على كتاب بعينه ومزق منه قطعاً صاغ منها مقالة مرقعة ، غير متناسقة ، ففي هذا تكمن المخالفات التالية :

● أولا : أن الكاتب تجاهل فضل سابقه ولم يشر إليه في دراسته المزعومة ، وليس من العيب الاعتماد على دراسات السابقين ، ولكن العيب اغفال فضلهم .

● ثانياً : أن الكاتب اكتفى بأقل الجهد وأكثر النقل والأخذ وينبغي أن يكون الواقع هو العكس تماماً .

رشيد فهد العمرو

السعودية ـ حائل ـ إدارة التعليم



كتب وردت إلى المجلة

« وردت للمجلة هذه الطائفة من الكتب في مختلف مجالات المعرفة الانسانية والمجلة ترحب بكل عطاء ثقافي جديد من شأنه أن يفتح امام القارىء آفاقا أوسع وارحب وابعد مدى » .

** **« قاطع الطريق »** قصة شعرية للشاعر السعودي **أحمد قنديل** الذي يمتاز شعره بالبساطة والسهولة مع المحافظة على اشراقة العبارة .. ويمثل الجزء ٢٠ من السلسلة .. يقع في ٧٩ صفحة من القطع الصغيرة .



** **« حمزة شحاته .. قمة عرفت ولم تكتشف »** تأليف **عزيز ضياء الكاتب السعودي** .. وصديق الشاعر السعودي شحاتة المتوفي قبل سنوات .. والدراسة محاولة لرصد جوانب من عبقرية ونبوغ حمزة شحاته الذي لم يعط حقه من الدراسة والبحث .. يقع في ١٠٣ صفحات من القطع الصغير .

حنانيك

ديوان شعر فيه كثير من المفارقات ، فالشاعر هو **الدكتور عبد العزيز محيي الدين خوجه وكيل وزارة الاعلام السعودية للشؤون الاعلامية** .. وتخصص الدكتور علمي بحت ليس له علاقة بالشعر .. ولكن الموهبة غلبت التخصص ، فكان هذا الديوان الذي يتألف من ٣٠ من قصار القصيد يقع في ١١٣ صفحة من القطع الصغير في طباعة أنيقة ، طباعة مطابع مؤسسة جواد ، بيروت ١٣٩٨هـ .



** **« ضرار بن الأزور .. الشاعر .. الصحابي .. الفارس »** تأليف الأستاذ الرفاعي صاحب المكتبة الصغيرة .. وهو دراسة جديدة عن الشاعر الصحابي ضرار بن الأزور .. ويمثل الجزء ١٩ .. ويقع في ٩٥ صفحة من القطع الصغير .

البحث العلمي

مجلة دورية تصدر في مدينة **الرباط - بالمغرب** ثلاث مرات في السنة .. وصل منها العدد ٢٦ للسنة ١٣ رجب - ذو الحجة ١٣٩٦هـ يوليو - ديسمبر ١٩٦٧م ، وهذه المجلة تصدر عن **المعهد الجامعي للبحث العلمي** في مدينة الرباط .. المدير **الدكتور عبد الهادي التازي** .. رئيسة التحرير **زبيدة بو رحيل** .

وهذه المجلة تتميز ببحوثها الأكاديمية العميقة .. ودراساتها الرصينة في التاريخ .. والأدب .. والفلسفة .. واللغة .

في نهاية العدد خمس صفحات **« ملخصات باللغة الفرنسية »** .. والمجلة عموماً جهد قيم .. يثري المكتبة العربية خاصة فيما يتعلق بشؤون المغرب الشقيق وقضاياه .

** **« غناء وشجن »** ديوان شعري يعتبر باكورة نتاج **الشاعر السعودي محمد سراج خراز** .. استطاع صاحب المكتبة الصغيرة أن يخرجه إلى النور .. ويعرفه للقارىء المعاصر من خلال شعره .. والمقدمة التي تصدرت الديوان .. يقع في ١٣٤ صفحة من القطع الصغير .



مجلة التوثيق التربوي

مجلة نصف سنوية تصدر عن مركز المعلومات الاحصائية والتوثيق التربوي التابع **لوزارة المعارف السعودية** .. وهي تعنى بالدراسات التربوية من تعليم .. وتدريب .. ووثائق .. وصل منها العدد ١٤ شوال ، ١٣٩٧هـ اكتوبر ١٩٧٧ . يقع في ١٤١ صفحة من القطع الصغير .

المجتمع الأصيلي ، والمسرح

كتاب يرصد تاريخ الحركة المسرحية في مدينة **« أصيلة »** بالمغرب ، تأليف **مصطفى عبد السلام المهماه** أحد المهتمين والمشاركين في الحركة المسرحية .. قدم للكتاب **عبد السلام العزيز** .. والكتاب مزود بالصور الفوتوغرافية .. يقع في ١٠٩ صفحات من القطع المتوسط .

التخطيط للاذاعة عبر الأقمار الصناعية

كتاب اصدار **اتحاد إذاعات الدول العربية بالقاهرة** ضمن سلسلة **« دراسات وبحوث إذاعية »** .. والكتاب يطرح تجربة **التليفزيون التربوي عبر الأقمار الصناعية في القارة الهندية** (سايت) أملاً في أن تفتح هذه التجربة آفاقاً جديدة في أسلوب العمل والتعامل مع الأقمار الصناعية أمام المختصين في استخدام الشبكة الفضائية العربية .. الكتاب بأقلام عدد من المؤلفين .. ويقع في ١٧٨ صفحة من القطع المتوسط .

خليل جرجس خليل .. شاعرا وباقة حب إليه

محاولة لتقديم الشاعر **خليل جرجس خليل** من خلال قصائده .. وما قيل عنه بأقلام شعراء ونقاد أمثال **د . محمد عبد المنعم خفاجي** .. والشاعر **عزيز أباظة** .. والأب **يوسف مظلوم** .

والمحاولة كتيب صغير لا يتعدى ٤١ صفحة طبع بحروف صغيرة .. وأبرز ما اشتمل عليه قصيدته **« وحي الأربعين »** .. وترجمة حياته .

والكتيب هو كما أراد له صاحباه (**حسني سيد لبيب .. وحسين علي محمد**) باقة حب إلى هذا الشاعر .

الخنساء الشاعرة أم الشهداء

مسرحية شعرية من فصلين تأليف **أحمد عبد الهادي** .. وكل فصل ينقسم إلى عدد من المشاهد .. ويذكر المؤلف أن الدافع القوي لتأليف هذه المسرحية الشعرية هو موقف **الخنساء** في **معركة القادسية** .. واستشهاد أبنائها الأربعة .. أشاد بالمسرحية **عبد الرحمن قاضي** عضو اللجنة التنفيذية لاتحاد الأدباء والكتّاب **اليمنيين** .. تقع المسرحية في ٧١ صفحة من القطع الصغير .. والطباعة العادية .

وللشاعر أحمد عبد الهادي قصيدة طويلة بعنوان **« القصيدة الهمزية في مدح خير البرية »** ** .

على درب السعادة

قصة طويلة للكاتبة **جميلة الفقيه** .. تعكس صورة من البيئة بصدق وواقعية .. وقد التزمت الكاتبة في أسلوبها باللغة الفصحى سرداً وحواراً ، وهي بادرة طيبة تستحق الاهتمام .. ويبدو أن هذه هي قصتها الثانية بعد قصة **« ابنة عواد »** .. القصة تقع في ١٣٢ صفحة ، طبع **مطبعة الحجاز بدمشق** .



مسـابقة مجلة الفيصـل

شـروط المسـابقة وإيضـاحات أخـرى

اعتذار

في العدد الماضي وقع خطأ غير مقصود في شروط المسابقة حيث نشرت الفقرة الخاصة بشروط مسابقة العدد الأول ـ السنة الثانية مكررة في العدد الثاني ـ السنة الثانية .. وهي الفقرة المتعلقة بتوزيع قيمة المسابقة المالية للمجلة إلى عشرين جائزة قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي) . وكنا قد أشرنا إلى أن هذا التوزيع خاص بمسابقة العدد المذكور فقط ، لأن كل الأسئلة يمكن اجابتها من أعداد السنة الأولى للمجلة .

وتفريعاً على ذلك فإن الشروط المنشورة في هذا العدد هي شروط العدد الماضي بعد حذف الفقرة التي تكرر نشرها خطأ

وبهذه المناسبة فإن لجنة المسابقة سوف تراعي قضية تأخير وصول الأعداد إلى بعض البلدان بحيث تضاف مدة التأخير إلى مدة المسابقة الأساسية وهي ٤٥ يوماً لاعطاء القراء فرصة أطول للرد على أسئلة المسابقة ووصولها إلى المجلة .

هذا .. على أمل أن ينتظم صدور المجلة بعد التغلب على مصاعب الطباعة والمواصلات .. و هو ما نسعى إليه بكل جدية .. والله الموفق .

١ ـ قيمة المسابقة عشرة آلاف ريال سعودي .. موزعة على عشر جوائز على النحو التالي :

ا ـ الجائزة الأولى ٣٠٠٠ ريال

ب ـ الجائزة الثانية ٢٠٠٠ ريال

جـ ـ الجائزة الثالثة ١٥٠٠ ريال

إلى جانب سبع جوائز مالية آخرى قيمة كل جائزة (٥٠٠ ريال سعودي)

٢ ـ المطلوب الاجابة على جميع الأسئلة .. وارفاقها مع قسيمة العدد الخاصة بالمسابقة موضحا عليها الاسم ثلاثيا أو رباعيا ـ إن أمكن ـ مع وضع العنوان بوضوح لضمان وصول قيمة الجائزة إلى المشترك في المسابقة حالة الفوز .

٣ ـ ترسل الاجابات على العنوان التالي :

(الرياض ـ المملكة العربية السعودية ـ مجلة الفيصل ـ ص . ب . (٣) المسابقة) .

مع ذكر رقم المسابقة على الغلاف من الخارج .

٤ ـ أية إجابة تصل بعد ٤٥ يوما من صدور العدد لا يلتفت إليها .

٥ ـ ننصح بمتابعة أعداد المجلة لأن أغلب أسئلة المسابقة سوف يجدها القارىء في ثنايا المواضيع المنشورة فيها .

٦ ـ من حق القارىء أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط ارفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة .

نتائج مسابقة العدد العاشر

●● فاز بنصف قيمة الجائزة الاولى وقدره (**٢٥٠٠ ريال سعودي**) الاخ **عبد الرحمن صبار ـ زنقة خالد بن الوليد ـ عمارة البلدية رقم «١» مراكش ـ المغرب .**

●● وفازت بالنصف الآخر لقيمة الجائزة الاولى وقدره (**٢٥٠٠ ريال سعودي**) الاخت **نوال علي بنجر ـ اجياد ـ عمارة الاشراف ـ رقم ٢ شقه ٦٩ مكة المكرمة .**

●● كما فاز بنصف قيمة الجائزة الثانية وقدره (**١٥٠٠ ريال سعودي**) الاخ **فاضل رجب باشا . كلية الطب ـ حلب ـ ص . ب ٦٠٥١ سوريا .**

●● وفازت بالنصف الآخر لقيمة الجائزة الثانية وقدره (**١٥٠٠ ريال سعودي**) الاخت **فاطمة سعيد يوسف ـ مديرية النيل ـ الشريك ـ الجزيرة ـ ارتل ـ السودان .**

●● كما فاز بنصف قيمة الجائزة الثالثة وقدره (**١٠٠٠ ريال سعودي**) الاخ **عبد العزيز صالح السويح ـ المدرسة الخالدية ـ الرياض .**

●● وفازت بالنصف الآخر لقيمة الجائزة الثالثة وقدره (**١٠٠٠ ريال سعودي**) الاخت **فوزيه عبد الجليل عماشة . مدرسة ٦ اكتوبر الثانوية للبنات ـ بور سعيد ـ مصر .**

●● فازت الاسماء التالية باشتراك سنوي مجاني في المجلة (١٢ عددا) .

● الاخ **سيد ساجد محمد ميان** ـ ٢١٤١ شارع قاسم جان ـ **دلهي ١١٠٠٦ الهند .**

● الاخت **امال يوسف زكريا** ـ مدرسة وادي السير الثانوية للبنات ـ **وادي السير ـ الاردن .**

● الاخ **ارون بون شوم التايلاندي** ـ ص . ب ١٢٦٠ **المدينة المنورة .**

● الاخ **سيد احمد الحاج** ـ ص . ب ٤٧١ مقاديشو ـ الصومال .

ألف مبروك للفائزين

السؤال الأول :

الصوم .. فريضة جاءت بها الديانات السماوية اليهودية .. والمسيحية .. والاسلامية .. تحدث عن الصوم في اليهودية .. والمسيحية .. ومتى فرض الصيام على المسلمين ؟

السؤال الثاني :

قال عنه الرسول الكريم إنه « ابن عمتي وحواري من أمتي » .. ويروى أن أبا هريرة قال إن النبي ﷺ قال عنه إنه وطلحة جاراي في الجنة .. كان من الفرسان .. وأبلى بلاء عظيماً في غزوة (الخندق) .. قتله « ابن جرموز » . ودفن بوادي السباع .. حزن الإمام علي على موته كثيراً .. من هو ؟

السؤال الثالث :

استعمل المسلمون « الخنادق » كوسيلة دفاع حربية .. أخذوها من الفرس .. متى استعمل المسلمون هذه الوسيلة .. مع ذكر أسماء الذين استعملوها في الحروب الإسلامية .

السؤال الرابع :

ولد في قرية « ترمذ » على نهر « جيجون » .. أشهر كتبه « الجامع » .. كان ضريراً .. قال له البخاري : « لقد انتفعت بك أكثر مما انتفعت بي » .. من هو ؟

السؤال الخامس :

من هو أول من دون وكتب في علم الأصول ؟

السؤال السادس :

من بنى الآثار التالية :

الهرم الأكبر - برج إيفل - أبا الهول - حدائق بابل المعلقة - منارة الإسكندرية .

السؤال السابع :

وصفته الصحافة الايطالية بأنه أشجع رجل في العالم .. حارب الايطاليين ببسالة .. حين أصيب برصاصة في جمجمته ألقي القبض عليه .. وقدم إلى محاكمة عسكرية صورية ثم صدر الحكم بإعدامه .. حين سأله الايطاليون عما يريد قبل إعدامه قال : « إني أرغب في جلائكم عن بلادي .. وسألتزم بتنفيذ رغبتكم في قتلي على يد آخر جندي ايطالي يغادر بلادي » .. من هو هذا البطل العربي المسلم ؟

السؤال الثامن :

إحدى المعارك التاريخية التي انتصر فيها العرب المسلمون على الاسبان بقيادة يوسف بن تاشفين .. ما اسم المعركة .. ومتى وقعت ؟

السؤال التاسع :

من القائل : « وددت لو أنني أقاتل في سبيل الله فأقتل .. ثم أحيا .. فأقتل .. ثم أحيا .. فأقتل » .

السؤال العاشر :

أين تقع هذه المساجد والجوامع :

الخرالدة - الكتبية - القصبة - جامع عقبة بن نافع - الجامع الكبير - مسجد الجن - مسجد قلاوون - مسجد الكوثر - جامع الزيتونة - جامع أروى بنت أحمد .

قسيمة مسابقة مجلة الفيصل العدد الثالث - السنة الثانية	الإسم : ------------------------------ المهنة : ------------------------------ العنوان : ------------------------------ ------------------------------

أجوبة مسابقة العدد العاشر

ج ١ النعت لا يستعمل إلا في المدح وإن الوصف يستعمل في المدح والذم فقولك فلان كريم (فاضل) يجوز أن يسمى نعتا ووصفا أما قولك (فلان لئيم ناقص) فهو وصف لا يصح أن يسمى نعتا فكل نعت وصف وليس كل وصف نعتا .

ج ٢ اسم المركبة سيرفيوز ٣ الأميريكية .

ج ٣ أول من صنع اسطرلابا من العرب هو محمد بن إبراهيم الفزاري ، وأول من ألف فيه كتاب أسماه (العمل بالاسطرلاب المسطح) وأهم استخداماته :
١ ـ يستعمل لمراقبة مواضع الكواكب .
٢ ـ تحديد علو الكواكب عن الأفق .
٣ ـ يستعمل في رصد الأجرام السماوية .
٤ ـ ساعد على معرفة طول السنة الشمسية وعلى وضع ازياج (جداول فلكية) لأمكنة الكواكب السيارة .
٥ ـ ساعد على تقدم صناعة التنجيم وشاع استعماله في رحلات الاستكشاف البحرية .

ج ٤ الشلالات
اينجيل — يقع في فنزويلا
جويري — يقع في بارجواي في البرازيل
كوفري — يقع في الهند
فيكتوريا — روديسيا ـ زامبيا
توجيلا — جنوب إفريقيا

ج ٥ المرقش — عمرو بن سعد بن مالك
صريع الغواني — مسلم بن الوليد الأنصاري
المتلمس — جرير بن عبد المسيح الضبعي
عويف القوافي — عويف بن معاوية بن عقبة ابن حذيفة
ذو الرمة — غيلان بن عقبة
تأبط شرا — ثابت بن جابر

ج ٦ مخترع الفانوس السحري — اثناسيوس كيرشنري

ج ٧ من أين يستخرج الفلين ـ يستخرج الفلين من شجر البلوط الدائم الاخضرار والمعروف علميا باسم (كويركس سوبر) وهو الاسم الذي استمد منه الفلين اسمه .

ج ٨ درجة الحرارة في القارة القطبية الجنوبية تصل عادة إلى ٧٠ درجة مئوية تحت الصفر . وعادة فكثيرا ما تنخفض عن ذلك فقد سجل في القارة أخفض درجة حرارة في العالم وهي ٨٨ درجة مئوية تحت الصفر .

ج ٩ الحيوان — للجاحظ
الديوان — للعقاد والمازني
تاج العروس — محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدي
صفة جزيرة العرب — للهمذاني أبو محمد الحسن بن أحمد
لحن العامة — إلى عثمان بكر المازني
الجامع لمفردات الأدوية — الين البيطار
عجائب المخلوقات — زكريا القزويني

ج ١٠ الأول الخيل والثاني الشلالات والثالث الصحراء والرابع القمر والخامس النخيل والسادس المركز الاسلامي في لندن والسابع الفراش والثامن الطيور المهاجرة والتاسع كرة القدم .

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية
تصدر عن
دار الفيصل الثقافية

المراسلات
الرياض - المملكة العربية السعودية
مجلة الفيصل
ص.ب (٣)
هاتف : ٤١٩٦٨

ALFAISAL MAGAZINE

MONTHLY CULTURAL MAGAZINE
PUBLISHED BY
AL-FAISAL CULTURAL HOUSE

All Correspondence To:
Riyadh-Saudi Arabia
Al-Faisal Magazine
P.O.Box 3
Tel.: 41968

المملكة العربية السعودية	٦ ريالات
الكويت	٣٠٠ فلس
ابو ظبي	٥ ريالات
قطر	٥ ريالات
البحرين	٤٠٠ فلس
دبي	٤ ريالات
سلطنة عمان	٣٠٠ بسة
الشارقة	٤ ريالات
الأردن	٢٥٠ فلس
ج.ع. اليمنية	٣ ريالات
ج. اليمن الديمقراطية الشعبية	٤٠٠ فلس
مصر	٢٠٠ مليم
السودان	٢٥٠ مليماً
المغرب	٤ دراهم
تونس	٤٠٠ مليم
الجزائر	٤ دنانير
العراق	٣٠٠ فلس
سوريا	٣٠٠ قرش
لبنان	٣٠٠ قرش
ليبيا	٤٠٠ درهم

في أوربا.. وأمريكا.. وآسيا

بريطانيا وايرلندا	١,٢٥ جنيها استرلينيا
فرنسا	١٠ فرنكات
هولندا	٧,٥ فلورن هولندي
بلجيكا	١٠٠ فرنك بلجيكي
سويسرا	٧ فرنكات سويسرية
المانيا الغربية	٧ ماركات ألمانية
ايطاليا	٢٠٠٠ ليرة ايطالية
اسبانيا	١٠٠ بيزيتا اسباني
البرتغال	٨٠ اسكودو
اليونان	١٠٠ درخما
الدانمرك	١٥ كرونا
النرويج	١٥ كرونا
السويد	١٥ كرونا
فنلندا	١٥ كرونا
الولايات المتحدة الاميريكية	٢,٥٠ دولاران ونصف
الباكستان	٨ روبيات

أسعار الاشتراكات السنوية

للأفراد ١٠٠ ريال سعودي
لغير الأفراد ٢٠٠ " "